



E ISSN : 2617 -5894

ISSN : 3006 -6018

مجلة

جَامِعَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعِلْمِ الْإِسْلَامِيِّ

مَجْلِدٌ عَلَيْهِ مِائَةُ سَنَةٍ

تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - اليمن

(عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث) المجلد الأول

سبتمبر 2025م

- الانحراف الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي.
أ.م.د. منى حامد النعيمي
- قواعد إصلاح الفكر السياسي في القرآن الكريم "سورة المائدة أنموذجاً".
د. عصام الدين أحمد محمد بابكر
- مشكلات تعليمية من زاوية النظر القرآني.
د. عبد الكريم عبد الواحد أحمد عبد الله الأهدل
- مشكلة الفكر الإنساني ومعالجتها من خلال القرآن الكريم.
د. فريد بودربالة
- مناهج القرآن الكريم في القضاء على المشاكل المالية وتحسين الكسب.
د. حكيم إبراهيم عبد الجبار الشميري
- منهج القرآن الكريم في علاج المشكلات الاقتصادية - البطالة أنموذجاً.
د. عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم
- منهج القرآن الكريم في معالجة مشكلات التربية المعاصرة عند الناشئة من خلال التأمل في وصية لقمان الحكيم لابنه.
د. محمد الصالح ستي
- القرآن ومشكلة الفقر.
عبد العزيز الحديوي بن الحسن
- الحلول الشرعية المقترحة لمشكلة الفقر من خلال القرآن الكريم.
د. داود عبد الكريم زكريا
- معالجة النص القرآني لمشكلة التعصب الفكري.
د. محمد حامد محمد باحميش
- منهج القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية.
أ.د. محمد علي هارب جبران

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث
المجلد الأول
سبتمبر 2025م

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية:

موقع المجلة



Crossref



DOAJ



SEMANTIC SCHOLAR



معرفة
e-Marefa



دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مَجَلَّةٌ نَحْكُمُ بِتَقْدِيرِهَا عَنْ جَامِعَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ - لَيْمَن

الهيئة الاستشارية

- أ.د. عبد الحق عبد الدائم القاضي (اليمن)
أ.د. عبد الله عثمان المنصوري (السعودية)
أ.د. حسن عبد الجليل العبادلة (الأردن)
أ.د. صالح عبد الله الظبياني (اليمن)
أ.د. عبد الرحمن إبراهيم الخميسي (اليمن)
أ.د. أحمد صالح قطران (اليمن)
أ.د. علي يوسف عاتي (اليمن)
أ.د. محمد حاتم المخلافي (اليمن)
أ.د. حسن ثابت فرحان (اليمن)
أ.د. داود عبد الملك الحدابي (ماليزيا)
أ.د. ياسر طرشاني (ماليزيا)
أ.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن صالح (السودان)
أ.د. عامر فائل بلحاف (عمان)
أ.د. عبد الحميد محمد زرؤم (ماليزيا)
أ.م.د. عبد الرشيد أولاتنجي عبد السلام (ماليزيا)

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. يحيى مقبل الصباحي

مدير التحرير

أ.د. عبد الحق غانم القريضي

أعضاء هيئة التحرير

- أ.د. عبد الله أحمد بن عثمان
أ.م.د. محمد سرحان المحمودي
أ.م.د. أسماء غالب القرشي
أ.م.د. أحمد صالح بافضل

سكرتير التحرير

م. شوقي صالح بامفروش

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان الآتي:

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - الجمهورية اليمنية

00967 771161908 جوال: algarizi2012@gmail.com

الموقع الإلكتروني: <http://journals.uqs-ye.info/index.php/uqs>

البريد الإلكتروني: journals@uqs-ye.info

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا عدد من مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثالث الذي كان بعنوان القرآن الكريم ومشكلات الأمة المعاصرة، وهو عدد حافل بأبحاث علمية ضافية في المشكلات الفكرية والعملية، وتناولت جانباً من التجارب الناجحة ذات المرجعية القرآنية التي تستدعي الاهتمام والنظر في إمكانات التعميم والتخطيط لذلك، في ضوء البصائر القرآنية التي دلنا الله على الاستبصار بها في مختلف مناحي الحياة (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) النحل: 89.

وقد حصلت المبالغة المركبة النادرة في قوله (تبياناً) لإفادة العمق والكمال في البيان الشامل الذي يحتاجه الناس في مختلف مناحي حياتهم: معاشهم ومعادهم وتحركاتهم وتعاملاتهم، في الأخلاق والاجتماع والتزكية وعموم مقاصد العمران (لكل شيء)، حقيقة وعرفاً.

وقد تجلّى من هذا الهدي القرآني شيء طيب نافع في عموم أبحاث هذا المؤتمر مما انقدحت به قرائح جمع من العلماء والباحثين مستهدفين الارتقاء بالعقول والأفكار والعلاقات والأخلاق في ضوء الهدايات القرآنية المتجلية لأولي الأبواب.

وسأترك أخى القارئ اللبيب لتجول ببصره وخاطره في تلك الهدايات السامية مصطحباً التوفيق والسداد.

مدير التحرير

أ.د. عبدالحق غانم القريضي

المجلة علمية محكمة تصدر كل ستة أشهر، وتقبل نشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وفقاً للشروط والضوابط الآتية:

أولاً: الضوابط العامة:

1. أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، وذلك في مجالات (علوم القرآن والعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية).
2. أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومراعياً لقواعد الضبط والإملاء والتنسيق ودقة الرسوم والأشكال (إن وجدت)، ومطبوعاً على الحاسوب.
3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي وسيلة نشر أخرى، (يقدم الباحث إقراراً بذلك، أو يعتبر اطلاعه على هذه الضوابط إقراراً بذلك).
4. أن يتوفر في البحث دقة التوثيق، وحسن استخدام المصادر والمراجع.

ثانياً: الضوابط الفنية:

1. تكتب الأبحاث باللغة العربية بخط (Traditional Arabic)، وبنيت (16)، وتكتب الأبحاث باللغة الإنجليزية بخط (Times New Roman) وبنيت (14).
2. ألا تزيد صفحات البحث عن (25) صفحة متضمنة المقدمة والمراجع والملخصات.
3. الهوامش من جميع الجوانب 2.5 سم. والصفحة بحجم: (17x25 سم).
4. تكون المسافة بين الأسطر للأبحاث باللغة العربية والإنجليزية (1.15).
5. يكون حجم الخط للجدول والأشكال للأبحاث باللغة العربية (14)، ويكون حجم الخط للجدول والأشكال للأبحاث باللغة الإنجليزية (11).

6. أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم صفحة المجلة.
7. تكتب الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وبحجم الخط (13)، وتوضع بين قوسين مزهرين.
8. . توثق الآيات في صلب البحث، بالسورة ورقم الآية.
9. تكتب الأحاديث النبوية بنفس خط متن البحث وحجمه، وتوضع بين قوسين كهذه « مسودين مقاس 12. وتشكّل فقط الكلمات التي تحتاج لتشكيل.
10. النقول العلمية تكتب بين علامتي تنصيص " "، وبحسب أنظمة الاقتباس وأخلاقيات البحث.

ثالثاً: الضوابط العلمية والتوثيق:

1. أن يكتب الباحث ملخصاً للبحث في حدود (150—200 كلمة) يوضع في الصفحة بعد صفحة عنوان البحث كفقرة واحدة، بحيث يشتمل على: عنوان البحث، وقضية (مشكلة) البحث، وهدف البحث الرئيس، ومنهج البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث. ثم كلمات مفتاحية للبحث من (3 - 5 كلمات)، تلي الملخص مباشرة بنفس الصفحة.
2. أن يترجم الباحث عنوان البحث وملخصه والكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية، إن كان البحث باللغة العربية، أو يترجم ذلك باللغة العربية إن كان البحث باللغة الإنجليزية، (مع ملاحظة أن تكون الترجمة معتمدة، وليست من البرامج الإلكترونية، وتكون الترجمة للنسخة النهائية المقبولة من المخلص).
3. أن يترجم الباحث اسمه والمعلومات التي يريد نشرها في صفحة عنوان البحث.

4. أن يحتوي البحث في الأبحاث النظرية على الآتي:

❖ الملخص - المذكور سابقاً - عربي وإنجليزي.

❖ مقدمة تتضمن:

- تقديم عن طبيعة البحث، يتدرج من العموم إلى الخصوص.
- أهمية البحث.
- مشكلة البحث، وتساؤلاته.
- أهداف البحث العلمية المرتبطة بتساؤلات البحث ومشكلته.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة للبحث، وبيان اختلاف البحث عنها، وإضافته العلمية والعملية.
- مصطلحات البحث (عند الحاجة لذلك).
- هيكل البحث. (الخطة).

❖ متن البحث ومادته العلمية ويظهر فيها جهد الباحث بعيداً عن النقول الجامدة دون ربط وتحليل.

❖ الخاتمة وفيها:

- أهم النتائج التي توصل إليها البحث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة البحث وتساؤلاته.
- أهم التوصيات.
- المقترحات العلمية.

❖ فهرس المراجع والمصادر على طريقة (APA6)

5. أن يحتوي البحث في الأبحاث التطبيقية على الآتي:

❖ الملخص (عربي وإنجليزي)

❖ مقدمة تتضمن:

- مشكلة البحث، وتسؤولاته.
- أهمية البحث.
- أهداف البحث العلمية المرتبطة بتساؤلات البحث ومشكلته.
- فرضيات البحث (إن وجدت).
- حدود البحث.
- الدراسات السابقة للبحث، وبيان اختلاف البحث عنها وإضافته العلمية والعملية.

❖ الإطار النظري.

❖ منهج البحث وإجراءاته.

❖ نتائج البحث ومناقشتها.

❖ الخاتمة وفيها:

- أهم النتائج التي توصل إليها البحث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة البحث وتسؤولاته.
- أهم التوصيات.
- المقترحات العلمية.

6. فهرس المراجع والمصادر على طريقة (APA6)
7. يكون الاستشهاد في متن البحث (بالنسبة للأبحاث التربوية وكذا الاقتصاد والسياسية والاجتماعية) بذكر الاسم الأخير للمؤلف وسنة النشر بين قوسين مثل: (المنصوري، 2014)، وفي حالة وجود مؤلفين يذكر الاسم الأخير للمؤلفين، ثم سنة النشر مثل: (الصباحي والقريضي، 2020)، وعند وجود ثلاثة إلى خمسة مؤلفين يذكر الاسم الأخير لجميع المؤلفين عند أول استشهاد مثل: (الشافعي، والكثيري، وسر الختم، 1418هـ)، وعند الاستشهاد بنفس المرجع مرة أخرى في البحث يكتب اسم المؤلف الأول متبوعاً بكلمة وآخرون، مثل: (الشافعي وآخرون، 1418هـ)، وعند وجود أكثر من خمسة مؤلفين يذكر الاسم الأخير للمؤلف الأول متبوعاً بكلمة وآخرون ثم سنة النشر، مثل: (القرشي وآخرون، 2014)، وفي حالة الاقتباس النصي يتم إضافة رقم الصفحة بعد اسم المؤلف وسنة النشر، مثل: (المحمودي، 2014، 33)، (الرازي، 1998، 201/4).
8. أبحاث العلوم الشرعية والعربية تمش أسفل كل صفحة بالطريقة الآتية: اسم العائلة أو الشهرة، اسم المؤلف، اسم الكتاب، الجزء والصفحة. مثل: الزحيلي، وهبة مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، 1/ 120.
9. مراجع كتب الحديث النبوي المبوبة تكتب بنفس الطريقة، مع إضافة (الكتاب، والباب، ورقم الحديث) للمراجع المبوبة، مثل: (البخاري، 1990، 1/ 20 رقم: 16، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان).
10. تثبت للمرجع طبعة واحدة فقط، ولا يصح أن تثبت أكثر من طبعة لنفس المرجع، إلا إذا كان هناك مقتضى ضروري لذلك، ويبين ما هو.

11. تثبت المصادر والمراجع بمعلوماتها الكاملة في نهاية البحث، بنظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA6) وذلك على النحو الآتي:

إذا كان المرجع كتاباً: فيكتب اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، ثم تكتب سنة النشر بين قوسين، يلي ذلك عنوان الكتاب (بخط مائل)، ورقم الطبعة إن وجدت، يلي ذلك بلد النشر، واسم دار النشر.

وإذا كان المرجع بحثاً في دورية: فيذكر اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة ثم بقية الاسم، ثم تاريخ النشر بين قوسين، ثم عنوان المقالة، ثم يذكر اسم المجلة (بخط مائل)، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد ورقم الصفحات: (.. - ..).

وإذا كان المرجع رسالة ماجستير أو دكتوراه: فيكتب اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة، ثم يكتب تاريخ الرسالة (بين قوسين)، يتبع بعد ذلك عنوان الرسالة (بخط مائل)، ثم يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه بخط مائل، القسم، الكلية، اسم الجامعة، البلد.

وترتب المراجع والمصادر ترتيباً أبجدياً، وتأتي المراجع العربية أولاً (كتب ورسائل ودوريات)، ثم المراجع غير العربية بعدها (كتب ورسائل ودوريات).

12. تحقيقات المخطوطات تلتزم نفس الضوابط والإجراءات، والتهميش يكون في متن التحقيق (أسفل الصفحات).

رابعاً: إجراءات النشر:

1- تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الجمهورية اليمنية، باسم مدير التحرير أو سكرتير التحرير، على البريد المدون أدناه.

- 2- تُرسل ثلاث نسخ من البحث إلى عنوان المجلة، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجاله، والإيميل.. بصيغة word و pdf.
- 3- يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، بما يسهل التواصل معه.
- 4- تجري هيئة التحرير التقييم الأولي للبحث وبمساعدة متخصصين.
- 5- في حالة قبول البحث مبدئياً، يخطر الباحث بذلك، ويسدد رسوم التحكيم المقررة، ويتم عرض البحث على مُحَكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمتها العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية العلمية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها. (من خلال جدول تحكيم خاص بذلك).
- 6- يُخطَر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال فترة شهر على الأكثر، من تاريخ استلام البحث. وفي حالة رفض البحث يخطر الباحث بذلك مع بيان أسباب الرفض.
- 7- في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن يعاد البحث معدلاً للمجلة خلال مدة شهر.
- 8- يمنح أصحاب البحوث المنشورة نسخة من عدد المجلة المنشورة فيه، ومستلزمات بحوثهم.

خامساً: أخلاقيات النشر:

1. الالتزام بالمعايير الأكاديمية والمهنية في جميع مراحل البحث.

2. الالتزام بمعايير وأخلاقيات النشر العلمي وقواعد الاقتباس، وإسناد المعلومات إلى مصادرها الأصلية.

3. الإخلال بالمعايير العلمية وأخلاق النشر قد يتسبب بعدم نشر البحث أو سحبه من بيانات المجلة.

سادساً: رسوم النشر في المجلة:

تتقاضى المجلة مقابل تحكيم ونشر البحوث المحكمة الرسوم الآتية:

- من داخل الجمهورية اليمنية: (30,000) ثلاثين ألف ريال يمني.
- من خارج الجمهورية اليمنية: (50,000) خمسين ألف ريال يمني أو ما يعادلها.
- الصفحات الزائدة عن المقرر يتبع فيه نظام المجلات من حيث الرسوم، (ألف ريال يمني عن كل صفحة).
- البحوث المقدمة من أعضاء هيئة التدريس المتفرغين للعمل في جامعة القرآن تعامل بحسب لوائح الجامعة.
- الرسوم غير قابلة للإرجاع بعد البدء بإجراءات التحكيم.

سابعاً: ملاحظات مهمة:

- تحتفظ المجلة بحقوقها في إخراج البحث بما يتناسب وأسلوبها في النشر، (فنياً).
- الآراء الواردة في الأبحاث التي تنشرها المجلة تعبر عن أصحابها دون تحمل المجلة أية مسئولية عنها.
- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية في التخصصات المشار إليها، على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة نفسه. وبنفس الشروط والضوابط.

– يتم ترخيص البحوث بموجب ترخيص Creative Commons CC BY 4.0 المفتوح، مما يعني أنه يجوز لأي شخص تنزيل البحث وقراءته مجاناً. وإعادة استخدام البحث واقتباسه شريطة أن يتم الإشارة إلى المصدر الأصلي. تتيح هذه الشروط الاستخدام الأقصى لعمل الباحث وعرضه.

جوال مدير التحرير: 00967 771161908

إيميل مدير التحرير: algarizi2012@gmail.com

بريد المجلة: journals@uqs-ye.info

رابط المجلة: <http://journals.uqs-ye.info/index.php/uqs>

إيداع (2013-364)

المحتويات

م	البحث	الباحث	رقم الصفحة
1.	الانحراف الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي.	أ.م.د. منى حامد النعيمي	42-17
2.	قواعد إصلاح الفكر السياسي في القرآن الكريم "سورة المائدة أمودجاً".	د. عصام الدين أحمد محمد بابكر	78-43
3.	مشكلات تعليمية من زاوية النظر القرآني.	د. عبد الكريم عبد الواحد أحمد عبد الله الأهدل	118-79
4.	مشكلة الفكر الإنساني ومعالجتها من خلال القرآن الكريم.	د. فريد بودربالة	156-119
5.	مناهج القرآن الكريم في القضاء على المشاكل المالية وتحسين الكسب.	د. حكيم إبراهيم عبد الجبار الشميري	195-157
6.	منهج القرآن الكريم في علاج المشكلات الاقتصادية - البطالة أمودجاً.	د. عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم	251-196
7.	منهج القرآن الكريم في معالجة مشكلات التربية المعاصرة عند الناشئة من خلال التأمل في وصية لقمان الحكيم لابنه.	د. محمد الصالح ستي	297-252
8.	القرآن ومشكلة الفقر.	عبد العزيز الحديوي بن الحسن	323-298
9.	الحلول الشرعية المقترحة لمشكلة الفقر من خلال القرآن الكريم.	د. داود عبد الكريم زكريا	362-324
10.	معالجة النص القرآني لمشكلة التعصب الفكري.	د. محمد حامد محمد باحميش	403-363
11.	منهج القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية.	أ.د. محمد علي هارب جبران	442-404

الانحراف الفكري
وأثره على المجتمع الإسلامي
أ.م.د منى حامد النعيمي
العراق/ بغداد / وزارة التربية
[muna. al. niaimi345@gmail.com](mailto:muna.al.niaimi345@gmail.com)

© تُنشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: النعيمي، منى حامد، الانحراف الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025 : 42-17.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0192>

الملخص:

يُعدّ الانحراف الفكري من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي؛ لأنّه قادر على تدمير العقول والدين والأخلاق. وقد جاء القرآن الكريم لتنبيه العقول بحدوث الانحراف الذي يصيب الفكر الإسلامي. وتأتي أهمية البحث من خطورة الواقع الفكري الذي يعيشه المجتمع المسلم وهو يواجه هجمة فكرية عالمية موازية للفكر الإسلامي ذي الخصائص الإنسانية والعلمية؛ لا سيّما وأنّ الفكر الإسلامي يمثل فكرًا عالميًا لجميع الناس؛ أخذ أعداء الإسلام بتحسين الفرص وتدمير المكائد وتهينة المعاول التي من شأنها طمس هذا الفكر. جاء الهدف للبحث أولاً: لتجلية الغموض الذي يحيط النتاج الفكري المعادي للإسلام بدراسة وتحليل وتتبع الدسائس الخفية والأساليب الملتوية للوصول إلى تدمير الفكر المسلم، وثانياً: إنّ الفكر إذا كان في الجوانب الدينية فلا بدّ من مراعاة حدود العقل مع الثوابت والمحكمات الشرعية، وإلاّ كان مظنة الانحراف وتسلب الأهواء والنزعات الشخصية، ومن هنا يأتي أثر العلماء والمربين في تأمين حركة الفكر وتوجيهها بتسديد، من طريق قيامهم بواجب النصيحة للأمة، فيسدّدون ما انحرّف من مسارها، ويجددون ما اندرس من أمر دينها. ولتوضيح ذلك استقرّ البحث على العنوان الموسوم بـ (الانحراف الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي).

الكلمات المفتاحية: الانحراف، الفكر، المجتمع، الإسلامي.

Intellectual deviation and its impact on Islamic society

Prof. Dr. Muna Hamed Al Nuaimi

Iraq / Baghdad / Ministry of Education

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al Nuaimi, Muna Hamed. Intellectual deviation and its impact on Islamic society, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:17-42.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0192>.

Abstract:

Intellectual deviation is one of the most dangerous problems facing the Islamic community; Because it is able to destroy minds, religion and morals. Holy Qur'an came to alert minds of the occurrence of deviation that affects Islamic thought. The importance of research comes from the danger of the intellectual reality experienced by the Muslim community as it faces a global intellectual attack parallel to Islamic thought with human and global characteristics; Especially since Islamic thought represents a global thought for all people; The enemies of Islam took the time of chances, managing intrigues, and creating the shields that would obliterate this thought. The goal came to research first: to evacuate the ambiguity that surrounds the intellectual product that is hostile to Islam by studying, analyzing and tracking hidden intrigues and twisted methods to reach the destruction of Muslim thought, Second: If thought is in the religious aspects, it is necessary to observe the limits of the mind with the legal constants and referees, otherwise it is the oppression of deviation and the dominance of the passions and personal tendencies, and from here comes the effect of scholars and educators on securing the movement of thought and directing it by paying, through their duty to advise the nation, and they will pay what has deviated from its path, and renew the matter of its religion And to clarify.

Keywords: deviation, thought, society, Islamic.

المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [الذِّسَاء : 27] والصلاة والسلام على الرحمة المهداة نبينا ورسولنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

إنَّ إسلام المسلمين أشدَّ ما يغري المستعمرين بجرهم والائتثار بهم، وأنَّ هؤلاء المستعمرين قد بدؤوا منذ عصر بعيد حرب الفكر والعقيدة والأخلاق.

ويعدّ الانحراف الفكري من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي؛ لأنَّه قادر على تدمير العقول والدين والأخلاق.

ولا يغيب عن القرآن الكريم أنَّ التفكير فريضة إسلامية دعا إليها في آيات كثيرة حضّت على التفكير وإعمال العقل والتدبير.

تأتي أهمية البحث من خطورة الواقع الفكري الذي يعيشه المجتمع المسلم وهو يواجه هجمة فكرية عالمية موازية للفكر الإسلامي ذي الخصائص الإنسانية والعالمية؛ لا سيّما وأنَّ الفكر الإسلامي يمثل فكرًا عالميًا لجميع الناس؛ أخذ أعداء الإسلام بتحسين الفرص وتدبير المكائد وهيئة المعاول التي من شأنها طمس هذا الفكر.

وجاء الهدف للبحث أولاً: لتجلية الغموض الذي يحيط النتاج الفكري المعادي للإسلام بدراسة وتحليل وتتبع الدسائس الخفية والأساليب الملتوية للوصول إلى تدمير الفكر المسلم وثانيًا: إنَّ الفكر إذا كان في الجوانب الدينية فلا بدّ من مراعاة حدود العقل مع الثوابت والمحكمات الشرعية، وإلاّ كان مظنة الانحراف وتسلط الأهواء والنزعات الشخصية، ومن هنا يأتي أثر العلماء والمربين في تأمين حركة الفكر وتوجيهها بتسديد، من طريق قيامهم بواجب النصيحة للأمة، فيسدّدون ما انحرف من مسارها، ويجددون ما اندرس من أمر دينها.

ولا تتيح المساحة الزمنية ولا العلمية فرصة كافية لتجلية الموقف بكلّ أبعاده وإتّما هي الإشارات وتبسيط الأضواء، لعل ذلك يسهم في تحرير الفكر.

فكانت خطة البحث على النحو الآتي بعد المقدمة:

المبحث الأول: الانحراف الفكري في القرآن الكريم وفي الاصطلاح.

المبحث الثاني: ضوابط الانحراف الفكري وأسباب تقبل الأمم الإسلامية له.

المبحث الثالث: أثر المصطلحات الفكرية الوافدة المستعملة في الساحتين الخارجية والداخلية.

المبحث الرابع: أثر العلماء في التصدي للانحرافات الفكرية.

الخاتمة.

المبحث الأول

الانحراف الفكري في القرآن الكريم وفي الاصطلاح

أولاً: الانحراف الفكري

من الطبيعي نشوء الفكر الإسلامي؛ نتيجة لما ورد في الكتاب والسنة من الحث على إعمال العقول والتفكير، وكان لنشوء الفرق الإسلامية؛ ولحاجة علماء المسلمين للذود عن الدين الإسلامي تجاه المشككين به من أعداء الإسلام إلى إثبات آرائهم بالحجج والبراهين والأدلة، مساهمة فعالة في نمو هذا الفكر واتصافه بالعلمية والدقة، ولكن الأمر لم يخل من وجود انحرافات في المسار، وللمبحث في هذا الأمر لابد من بيان حقيقة الانحراف الفكري وضوابطه التي إذا تحققت وجد الانحراف الفكري (السامرائي، 2019م).

ثانياً: الانحراف الفكري في القرآن الكريم

الانحراف: جاء التعبير عن الانحراف في القرآن الكريم بعدة ألفاظ منها (الميل، الفسق، الإجرام، الظلم) كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : 27].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات : 11]

الفكر: التفكير فريضة إسلامية دعا إليها القرآن الكريم في آيات كثيرة، حضت على التفكير وإعمال العقل، والتدبر ولقد وردت مشتقات الفكر في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعاً

منها ﴿فَكَرَّ﴾، ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سبأ: 46)، ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: 219)، ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: 184)، ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: 176).

وقد وردت هذه الألفاظ في مواضع أخرى من القرآن الكريم. ولم ترد هذه الألفاظ إلا بصيغة الفعل مما يدل على الحدوث والتجدد، والمعنيون يجدون في مفهوم الفكر، إنه قوة منحها الله تعالى الإنسان وكرمه بها وفضّله وميّزه على بقية الموجودات ليتمكن من مهام الاستخلاف بالتفكير بعين الإنسان على أن ينتقل من مجموع ما عمله إلى المعلومات التي يجهلها بحسب نظر العقل في الأنفس والآفاق (العلواني، 2001م، السامرائي / 2019م).

ثالثاً: الانحراف الفكري اصطلاحاً

الانحراف: "هو الميل عن الشيء والعدول إلى جانبه" (صليبا، 1982م، 152/1)، ويعرّف بأنه: "كلّ فعل، أو نشاط، أو تصرف فيه خروج عن قيم ونظم وتقاليد المجتمع الأصلية، أو عن القيم الدينية والخلقية، أو عن القواعد الدينية، أو معايير السلوك السوي" (العيد، 2005م، 6-7).

كما تشير كلمة الانحراف في دلالاتها إلى معنى الخروج عن الوسطية الشرعية، وعن العرف المعتبر (موقع إسلام ويب).

قال الجرجاني (ت816هـ): "الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول" (الجرجاني، 1405هـ، 217)، وقال المناوي (ت 1031 هـ): "الفكر مقلوب عن الفك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهي فك الأمور وبحتها طلباً للوصول إلى حقيقتها" (المناوي، 1990م، 263).

والفكر "نتاج عقلي إنساني أقرب في مادته إلى الروح منه إلى الجسد، وحياته أطول أمداً من حياة أصحابه، وبقاؤه مرهون بقوة إشعاعه حقاً كان أو باطلاً" (العبد، عبد الحليم، 1987م، 6).

فجملته القول: "إنّ الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، إذا أطلق على فعل النفس دلّ على حركتها

الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دلّ على الموضوع الذي تفكر فيه النفس" (صليبا، 1982م، 156/2).

إذن يطلق الفكر ويُراد به بوجه عام جملة النشاط الذهني، ويُراد به أيضاً حركة التصورات والمفاهيم في العقل الإنساني، أي: أنّ الفكر يُمثّل نشاطاً وحركة مستمرة، فإذا توقفت هذه الحركة فإنّ ذلك يعني توقف حياة الإنسان أو غيابه عن الوعي (زقزوق، 2019م).

وهناك من يعرف الانحراف الفكري بعده كلمة واحدة، تحمل الدلالات الاصطلاحية كلّها للفظي (الانحراف) و(الفكر) فهو "الميل إلى غير الحقّ في أمور الدين فيما ينتجه عقل الإنسان من رأي" (د. الزايدي، 1935م، 239).

وهو "كلّ خروج بالفكر عن جادة الوسط والاعتدال في أصول الاستدلال ومصادر التلقي، بما يؤثر على النظم الاجتماعية، والقيم السمحة، والمصالح المعترية، ويشكل خطراً على المجتمع المسلم في دينه أو أمنه أو أخلاقه، سواء كان الانحراف ينحو نحو الإفراط أو التفريط، فالاختلال في التفكير والتصورات، وفقدان التوازن المنهجي، هو الذي يقود إلى مزالق العنف والتعصب، ومهاوي التطرف والغلو، وتظهر آثاره على مستويات متعددة في الحياة العامة، لأنّ الانحراف الفكري حين يتعمق في النفس يصبح هو الموجه الرئيس للتصرفات، وتبنى من خلاله العلاقات بالأطراف المخالفة" (موقع إسلام ويب).

ولذلك فالانحراف الفكري هو أخطر انحراف يقع في المجتمع المسلم للأسباب الآتية:
"إنّ الانحراف الفكري يترتب عليه ما لا يترتب على غيره في حياة الفرد وآخرته، فإنّ من أخطر صوره (الانحراف العقدي) المتمثل في الوقوع في الشرك الذي يترتب عليه هبوط العمل وعدم قبوله، ويترتب عليه تحريم الجنة واستحقاق النار" (النداوي، 2014م، 13) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٣٢)

[المائدة : 72]

ولذلك وَصِفَ الانحراف الفكري بأنّه: "كلّ ميل عن الحقّ في أصول الدين" (السامرائي، 2019م، 291). ويوصف الفكر بالانحراف إذا صدر عنه رأي مخالف أو مناقض لنصّ الكتاب والسنة، وهو ما يعرف بالضابط (د. الزايد، 1935م). ومن الجدير بالذكر أنّ (الانحراف الفكري) ليس له تعريف أو مصطلح محدد إلى الآن لأسباب منها: كثرة المرادفات له، يضاف له سعة المساحة التي يشغلها في الوسط الثقافي والعلمي.

ويرى بعض الباحثين أنّ الانحراف الفكري بين المسلمين لم يظهر في عهد النبي (ﷺ) لسببين رئيسين:

الأول: انعزال المسلمين في مبدأ الدعوة عن غيرهم من المجتمعات والشعوب غير العربية. **وثانيهما:** أنّ الرسول (ﷺ) كان لا يزال بين ظهري المسلمين، وقوله الفصل، والوحي في نزول متتابع، وكان الدين في مرحلته الأولى مرحلة التسليم والتصديق، وكان معظم جهده (ﷺ) متوجها نحو بناء العقيدة الصحيحة، وبيان فضائلها، والحثّ على التمسك بها ونبذ الانحرافات الجاهلية، الأمر الذي أدى إلى اكتساب المؤمنين حصانة إيمانية أدت إلى مناعة ذاتية تجاه كلّ انحراف فكري (د. الزايد، 1935م).

ومن الباحثين من يعدّ الانحراف الفكري من الآثار الاجتماعية للخلاف الكلامي بين المسلمين؛ لأنّه يؤدي إلى ظهور التناقض في حياة الناس وما يجدونه من مفارقات عجيبة بين ما يسمعون وما يشاهدون، فهناك تناقض كبير أحياناً بين ما يقرأه المرء وما يراه، وما يتعلمه وما يعيشه، وما يُقال وما يُعمل، وما يدرّس له وما يراه، ممّا تُحدث اختلالاً في التصورات وارتباكاً في الأفكار (السدلان، بدون سنة)، إذ يؤمن أصحاب الفكر المنحرف بامتلاكهم للحقيقة المطلقة (د. المرزوقي/د. تيزيني، 2001م)، وتعذرهم في التعايش مع الآخرين، وتضييق صدورهم بالرأي المخالف إلى الحدّ الذي قد يدعوهم إلى استبعاد صاحبه وتصفيته (موقع السكينة).

ومجمل القول: إنّ الانحراف الفكري يمثل أخطر أنواع الانحراف، وربما يكون سبباً في نشوء أنواع من الانحراف كـ (الانحراف الديني، والأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي)؛ لأنّ الفكر يعمل في كلّ الميادين الإنسانية وكل صاحب فكر يحاول توجيه الفكر المقابل له نحوه؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يحاول أن يضم الآخرين إليه بغض النظر عن التوجهات والعواقب، ولكن يبقى للانحراف الفكري أسباب متنوعة متجددة مع ظروف الحياة، والغالب وجود حواضن ذاتية (شخصية) وداخلية (محلية) وخارجية (عالمية) تتبنى الانحراف وتوجهه بالاتجاه المناسب لتوجهاتها وخططها.

وقد ابتلي المجتمع الإسلامي بوجود مخاطر فكرية تحيطه في كلّ الأزمنة التي تلت زمن الرسول (ﷺ)؛ إذ بغيا به استجدت ظروف ومؤهلات لانحراف الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني

ضوابط الانحراف الفكري وأسباب تقبل الأمم الإسلامية له

أولاً: ضوابط الانحراف الفكري (النداوي، 2014م)

لتحديد ما يمكن وصفه بالانحراف الفكري، لا بد من ضوابط توجز بالآتي:

أ - كل فكر ورأي مخالف أو مناقض لنص الكتاب والسنة (د. الزايد، 1935م) بدليل: إن أي اختلاف في مسألة من مسائل هذا الدين يجب رده إلى كتاب الله تعالى وإلى رسوله (ﷺ) في حياته وسنته بعد مماته، إذ الردّ لهما من مقتضيات الإيمان.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء : 59]

ب - كل تأويل للنصوص المتصلة بالاعتقاد لا ينطوي تحت الكتاب والسنة، بدليل: أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خلا يوماً فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبوها واحد وقبلتها واحدة وكتابتها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس (رضي الله عنهما)، وسأله، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنما نزل القرآن علينا فقرأناه وعلمنا فيما نزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان ذلك اختلفوا (الهندي، 2010م، كتاب الأذكار، قسم الأفعال، رقم: 4164).

قال الإمام الشاطبي (ت790هـ) معلقاً: وما قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجهها، فذهب كل إنسان مذهبا لا يذهب إليه الآخر (الشاطبي، 1992م).

ثانياً: أسباب تقبل الأمم الإسلامية الانحرافات الفكرية

الدين الإسلامي، دين سماوي، من آمن به لا يمكن له أن يتقبل غيره؛ لأنه دين شامل، وكامل، ويوافق الفطرة، وواقعي يسهم في تقدم الفرد، والأسرة، والمجتمع ويحفظ للجميع حريتهم، وعقيدتهم، وأمنهم وأموالهم (د. القهوجي، 2005م).

والذي حدث من انحرافات فكرية في المجتمع الإسلامي له أسباب قبول من جانبيين:

الأول:

- ابتعاد المسلمين عن دينهم وتعلقوا بزينة الحياة الدنيا، وتفرقوا بعد التوحد، وانقسموا على أنفسهم، وتعلقوا بالقشور وتركوا اللباب.
- لعب الجهل دوره، وتصدر العلم رجال لا يفقهون من العلم شيئاً، فضلوا، وأضلوا.
- ظهرت النهضة الصناعية والعلمية في أوروبا، فأدهشت العالم الإسلامي وهم لا يعلمون أنّ أوروبا لفظت دينها، ورجاله، وآمنت بإله المادة والآلة بعد إن نشطت من عقال الكنيسة، التي كانت تحرم العلم باسم الدين، فظن الجهلة أنّ بإمكانهم اللحاق بالركب فقلدوهم في محاربة الدين، واعتناق الأفكار الملحدة وتركوا ما وراء ذلك... فلم يفلحوا في الأمرين، لا بالدين ولا الدنيا (د. القهوجي، 2005م).

الثاني: مشكلة انجذاب الشخصية المسلمة في فلك الحضارة الغربية، فلا ريب أنّ الأمة الإسلامية تقع بكل موازينها الفكرية ومشاعرها الوجدانية في منطقة الجاذبية الغربية فهي مهما تحركت لا تتقلب إلا ضمن سلطان التأثير بها والدوران حولها والانعطاف إليها.

ومع وجود ثمة أصوات ترتفع هنا وهناك، يقف أصحابها خارج منطقة النفوذ، أو على حافتها، ولكنها لم تشكل إلى الآن تياراً يتمتع بأي جاذبية متكافئة.

ومن أبرز آثار هذه الظاهرة، أنّ أصولنا الثقافية ملقاة اليوم على رفوف الإهمال أو مرمية في زوايا النسيان، وأنّ فنون التربية وعلم النفس والاجتماع والفلسفة والأخلاق التي تدرس في مجتمعاتنا، ليست إلا مجموعة تصورات وضعت تعبيرا على النظرة الغربية إلى الوجود. ووضعت دعماً للوضع الاجتماعي الذي ارتضاه لنفسه الرجل الغربي، اعتماداً على قناعاته واستلهاها من تاريخه وتراثه.

ومن أخطر هذه الآثار أنّ كثيراً من أرباب الفكر في حياتنا الثقافية، والاجتماعية انتهبوا إلى حالة من الانجذاب النفسي لمحور الحضارة الغربية (البوطي، 2011م).

المبحث الثالث

أثر المصطلحات الفكرية الوافدة المستعملة في الساحتين الخارجية والداخلية

أولاً: الانحراف الفكري نتيجة المصطلحات الفكرية الوافدة

تعدّ المصطلحات المستعملة في المجالات الشرعية والفكرية والسياسية والإعلامية على ساحة المسلمين من أكبر المعوقات لنهضتهم والتقاءهم على كلمة سواء، إذ أورثهم التعامل التلقائي بالمصطلحات دون مناقشة لمحتوياتها قابلية للتمحور والعصبية والاستجابة للتأثير ولا يخفى كيف تؤثر تلك القابلية التي تؤدي إلى انغلاق الأداء العلمي والتمحيص الشرعي، الأمر الذي جاءت به التوجيهات الربانية واضحة وحاسمة كما قال الله (عزّ وجلّ): ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَذُصِبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: 6]

وقد أسهمت عوامل داخلية وخارجية كثيرة في زيادة الآثار السلبية للتعامل بالمصطلحات بين المسلمين ممّا يقتضي عملاً دؤوباً وتمحيصاً مستمراً للمصطلحات في كلّ المجالات، حتى لا تصاب النهضة الإسلامية المعاصرة في مقاتل وليس في مقتل واحد(الرقبي، 2005م).

واليوم ترتفع السنة صراع جديد يحتاج إلى رجال وقادة لم تبخل بهم أمة محمد (ﷺ) مع العلم بأنّ الصراع الحالي يسهم فيه عقول وأدوات متناسبة مع المرحلة الصليبية الجديدة التي تقودها أمريكا والتي جددت عزمها على ردّ المسلمين إلى الحظيرة بعد أن حاول بعضهم مغادرتها، وقد جندت أمريكا في سبيل ذلك ميزانياتها، واستنفرت كلّ طاقاتها الظاهرة، والخفية؛ لأداء هذه المهمة، فاستوجب على قادة الحركات الإسلامية وعلماء الأمة أن يولوا ساحة المصطلحات الأهمية التي تستحقها، وحتى يمكن إدارة بقية الصراعات تأسيساً على الأداء المتقدم في هذه الساحة.

وقد قسمت ساحة الصراع الاصطلاحي إلى ساحة خارجية وساحة داخلية. أما الساحة الخارجية فهي الساحة التي تواجه فيها الأمة المسلمة أعدائها الظاهرين وطابورهم الخاص وتتقابل فيها المصطلحات المستوردة المدسوسة مع المصطلحات الإسلامية. في حين الساحة الداخلية هي الساحة التي تتواجه وتتقابل فيها المصطلحات الإسلامية وتعارض بعضها بعضاً نتيجة لتفريق الاجتهادات الإسلامية المعاصرة، وتنازعها في الفهم والتطبيق (الرقبي، 2005م).

ولاستعراض طبيعة الصراع وأبعاده، ففي الساحة الخارجية والتي تتقابل فيها المصطلحات الإسلامية السائدة مع المصطلحات القادمة من الغرب الصليبي الماكر قديمها وجديدها والتي تهدف إلى إحداث خلخلة كبرى في قنوات وأفهام المسلمين فيسهل اختراق صفوفهم من طريق تلك المصطلحات ويقبلوا حينئذ بالإملاءات الجديدة في أوساطهم، ويرضوا بتجديد الخدمة في البلاط الهرقلي الجديد، ويتخلوا عن آمالهم الإسلامية، فيتسنى لأمريكا أن تلاحق وتقتل أبطال المسلمين دون أن يرف للمسلمين جفن أو يخفق لهم خافق وهم يرون الموحدين يُرسفون في قيودهم من جواتينامو إلى أفغانستان وتسيل دماؤهم غزيرة في القدس والشيشان وغيرها بدعوى محاربة الإرهاب حتى صدق كثير من المسلمين أنَّ أمريكا الصليبية هي راعية السلم في العالم فهم يصدقون مصطلحاتها ويكذبون أعينهم (الرقبي، 2005م).

أهم المصطلحات المستعملة في الساحة الخارجية (الرقبي، 2005م، البوطي، 2011م، السامرائي / 2019م).

استعمل الاتجاه الخارجي مجموعة من المصطلحات في صراعه مع المسلمين وهي: (الإرهاب - تجفيف منابع الإرهاب - العنف يقابله مصطلح السلم - الديمقراطية - الشورى - الولاء - العولمة - النظام الدولي - الإسلام السياسي - التنمية - المجتمع الدولي - القانون الدولي - الواقعية السياسية - المصلحة الوطنية - الانفتاح على الأمم أو تفاهم الشعوب - روح الشباب والمغامرة - الفنون والثقافات - السياحة - رجال الأعمال - حوار الأديان - حوار

الحضارات يقابله صراع الحضارات - المؤامرة - الشفافية - التراث - الأفكار الإسلامية - رجال الدين - التقاليد الإسلامية - التحرر - تقدمية - انطلاق - التطرف - التشدد - التجمد).

التوظيف الصليبي للمصطلحات في ساحة المسلمين

إنَّ إعداد المصطلحات لا بدَّ من حاجة أوجبت وجودها، وعند رصد استعمالها يتضح الآتي (الرقبي 2005م):

1. توظيف المصطلحات توظيفاً دائماً وإبقاء أثرها مستقراً في العقل الباطن للشعوب المسلمة.
2. التوظيف المزدوج للمصطلحات بحيث تؤدي دور الرهبة ودور الرغبة في آن واحد، فمن يخاف أن يوصف بالإرهاب فسيحاول التردد لكي يحقق موقفه السلمي.
3. تحقق اليأس في الساحة المسلمة من إمكانية فعل شيء في المرحلة الحالية والاكتفاء بالانتظار.
4. القبول بالحد الأدنى الذي يتيح الغرب من التطبيقات المأمولة ومنها الديمقراطية المقننة أمريكياً والتنافس في ظلها وبالتالي تحقيق الشرعية السياسية للأنظمة المعينة ولسادتها من الأمريكان.
5. التنصل من كلّ الآمال والإنجازات الإسلامية التي تحققت في العقود الماضية على مستوى الدعوة والسياسة والجهاد.
6. تنافس بعض الإسلاميين الموسومين بمصطلح الاعتدال لإرضاء أمريكا أو سكوتها عنهم على أقل تقدير دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن أي مخرج.
7. فتح كلّ ميادين الأمة التربوية والتعليمية والإعلامية أمام أمريكا لكي تعيث فيها فساداً تحت مصطلح تحفيف منابع الإرهاب.
8. يتم تدجين الأجيال الجديدة وامتصاصها امتصاصاً كاملاً من الساحات الإسلامية، بحيث لا يكون لها وجود عند الهزات الكبرى القادمة، ومنها تقدم اليهود نحو المسجد الأقصى لإزالته وإحلال الهيكل المزعوم مكانه.

9. استمرار الضغوط المختلفة على عقلية المسلمين للقبول باتجاه واحد فقط فيما يتعلق بالخيارات المتاحة للعلاقة بين الشرق والغرب وهو حوار الحضارات السلمي. أمّا عندما يتعلق الأمر بتعامل الغرب مع المسلمين فالأمر مفتوح على مصراعيه لهم لتجريب كل شيء على الساحة المسلمة فمن اليورانيوم المنضب إلى الأسلحة المجهولة دوليًا، وليس غريبًا عليهم فهذه طبيعتهم وتلك طبيعتنا!

10. المصطلحات قابلة للمرونة وبالتالي استيعاب كل ما ترغب أمريكا بإدخاله تحت ظلال تلك المصطلحات، كالإرهاب الذي توسع استخدامه لكي يطال كل أشكال الأداء الإسلامي حتى الأعمال الخيرية فهي إما أن تلغى وإما أن تؤم على الطريقة الشيوعية الأمريكية الجديدة.

11. قابلية المصطلحات الأمريكية لاستيعاب طواير من سقط العلمانيين والقوميين والشيوعيين للخدمة وتوظيف كل الخبرات السابقة في هذا المجال، والسوق تتسع وما على السيد الأمريكي إلا الإشارة بيده أو بعينه.

12. وقوع المسلمين تحت معادلة الاستقطاب الاصطلاحي الحاد وهو أن يتم فرض التصورات التي تريدها أمريكا وأذناها على العقلية المسلمة من خلال حتمية وقوع المسلم في طرفي معادلة الاستقطاب فمن لا يقرّ بحوار الحضارات مثلاً فهو بالضرورة يؤمن بصراع الحضارات، وهو مصطلح محارب على كل الأصعدة فتتربع أمريكا في كفة الهيمنة وفرض الصراع ويقبع المسلمون في كفة الحوار التي لا يوجد فيها من يحاورهم أصلاً، وهكذا في معادلة الإرهاب والسلم فكل مسلم متهم بالإرهاب حتى تثبت براءته والبراءة هنا هي أن يجعل مقياس أمريكا وأذناها مقياسه في فهم الموقف وليس شيئاً آخر!

13. فتح الباب على مصراعيه للتلبس على المسلمين، ولتعايش السمات الإسلامية الظاهرة والسمات الجاهلية جنباً إلى جنب، فالخمر والقمار والزنا والربا الفاحش وكل أشكال الفجور مع قبول بعض الظواهر التخديرية عن الحجاب واللحى والمساجد وحفظ القرآن الكريم.

أهم المصطلحات المستعملة في الساحة الداخلية

هنا تأتي الساحة الثانية في الصراع والتي تصطرع فيها المصطلحات الإسلامية وتقابل بعضها بعضاً؛ نتيجة لتفرق الاجتهادات الإسلامية المعاصرة وتنازعها في الفهم والتطبيق. ومن تلك المصطلحات: الولاء والبراء- العقيدة- التوحيد- الفرقة الناجية- الجهاد- العلم الشرعي- الجماعات الإسلامية- المذهبية- السياسة- طاعة أولي الأمر- الفتنة وغيرها من المصطلحات.

ومع أنّ الدلالات الشرعية للمصطلحات واضحة ودقيقة المعالم من طريق ما اعتمده علماء المسلمين في القديم والحديث، ولكن خضوع الاستعمال الاصطلاحي لضغوط الواقع المتردي للمسلمين وظروف تنافس الجماعات الإسلامية السليبي قد وظف المصطلحات توظيفاً أضرباً بالمسيرة الإسلامية في بعض الأحيان مما يقتضي معه إعادة النظر في الاستعمال التلقائي للمصطلحات ومراجعة الإيحاءات الاصطلاحية لها بما تحمله من آثار سلبية على النفسية والعقلية، المسلمة (الرقبي، 2005م).

الآثار السلبية للاصطرع الاصطلاحي الداخلي على الساحة الإسلامية

من المؤكد وجود اختلاف حول المصطلحات، وهذا الخلاف مرشح لإفساد النهضة المعاصرة للمسلمين إذا لم يتم تدارك الموقف من قبل قادات الحركات والجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين لنزع فتائل التفجر من تلك المصطلحات ويخفف من التلوين الذي يصاحب الأخذ والردّ حولها، فمن السلبات الناشئة عن هذا الاختلاف ما يأتي (الرقبي، 2005م):

1. خطورة تقسيم الساحة السنية إلى أجزاء جديدة والتي يمكن أن تذهب إلى عدم الالتقاء على المدى البعيد.
2. إعطاء الأعداء الفرصة لتوظيف الخلاف باتجاه إضعاف الإجماع السني والذي يمثل الأغلبية الساحقة للأمة المسلمة.
3. التشويش الجديد الذي يجد فيه المسلمون أنفسهم نتيجة لهذا الخلاف.

4. الاستعمال الدعائي للمصطلحات لدى الجماعات المختلفة مما يزيد الفقرة ويؤصل الخلاف.
 5. تطور الخلاف الاصطلاحي إلى درجة نزع الشرعية الكاملة عن بعض الجماعات الإسلامية من قبل البعض الآخر.
 6. الاشتغال عن المعارك الحقيقية في واقع الأمة بالمعارك البينية.
 7. إحداث مواجهة وتقابل بين المصطلحات الإسلامية بدلاً من تكاملها.
 8. تحول بعض المصطلحات إلى شارات ورايات خاصة ببعض التجمعات الإسلامية وحرمان الآخرين منها.
 9. التعقيد في فهم الإسلام بدلاً من يسر الفهم والمطالبة بالاحتكام إلى دلالات الألفاظ بدلاً من التسليم والطاعة والانقياد لأصول الإسلام.
 10. تبثر المرجعية الإسلامية نتيجة الاستقطاب والصراع.
 11. بعد ذلك يمكن القول: إنّ دول الاستعمار في العصر الحديث تبذل ما بوسعها للمكر بالإسلام والمسلمين بشتى السبل والمداخل، وما موضوع دسّ المصطلحات إلّا سبيل واحدة من هذه السبل...
- والسؤال ما الذي يفعله المسلمون وحكوماتهم من أجل الكشف عن هذا المكر وإغلاق السبل أمامه؟
- إنّ أول حلقات التحدي والصمود هو تنوير الفكر عند شباب المسلمين؛ لأنّهم الطرف المطلوب لدول الاستعمار ويقع على عاتقه الدفاع على دينه ومبادئه الإسلامية.
- ثانياً: الانحراف الفكري لصناعة الخلاف الفكري**
- بعد بيان دلالة الانحراف الفكري وضوابطه وأسباب تقبله، ودور المصطلحات الفكرية الوافدة، يمكن القول: إنّ صنّاع الانحراف الفكري في المجتمع الإسلامي يهدفون إلى صناعة الخلاف الفكري المؤدي إلى تدمير العقول ثمّ المجتمع؛ لأنّ الخلافات الفكرية إذا استمرت استقوت وتمكنت من فرض هيمنتها الفكرية على المجتمع.

وللتمييز بين الخلاف والاختلاف لا بدّ من الفصل الاصطلاحي بينهما، كي لا يفهم أنّها واحد، ولو كان كذلك لما وجدت اللفظتين ولم يهتم العلماء والمفكرون إلى بيان خصوصية كلّ واحد منهما.

فمن غير قال: الاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً، والخلاف: هو أن يكون كلاهما مختلفاً، وقيل: الاختلاف ما يستند إلى دليل، والخلاف لا يستند إلى دليل.

وقيل: الاختلاف من آثار الرحمة، وإذا كان الاجتهاد فيه لاختلاف الناس في المهم، والتأويل المنضبط، والخلاف هو ما وقع فيه الاجتهاد، وهو ما كان مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع (الكفوي، 2011م)، ومنهم من غاير بأسباب تجعل الاختلاف أمراً مشروعاً، وذلك عند توافر أمرين هما:

الأول: إنّ لكلّ من المختلفين دليلاً يصحّ به الاحتجاج، فمن لم يكن لديه دليل يحتج به سقط، ولم يعتبر أصلاً.

الثاني: ألا يؤدي الأخذ بالمذهب المخالف إلى محال أو باطل، فإن ذلك بطل منذ البداية. وبهذين الأمرين يغاير الاختلاف الخلاف، فالاختلاف: ما توفر فيه الشرطان المذكوران، وهو مظهر من مظاهر النظر العقلي والاجتهاد، وأسبابه عقلية منهجية في الغالب. أمّا الخلاف: فهو الذي يفقد الشرطين أو أحدهما، وليس له سبب موضوعي، بل هو في الغالب من مظاهر التشنج والهوى والعناد (العلواني، 1991م، السامرائي، 2019م).

من ذلك: يمكن أن نعدّ الاختلاف شيئاً إيجابياً بشروطه، والخلاف شيئاً سلبياً يؤدي إلى الصراع والصدام. وغالباً ما ينشأ الصراع نتيجة للتعصب لآراء تلقوها من السابقين اكتسبت بمرور الزمن قداسة دفعتهم إلى البحث عن أدلة واختلاق الحجج لكي يُظهروا ما تعصبوا له بمظهر الحقيقة (الدليمي، 1993م).

والصراع ليس كلّ شرّاً إذا سلمنا بأن الخلاف ظاهرة طبيعية؛ فإذا كان الهدف مشتركاً وهو الدفاع عن العقيدة الإسلامية، فلماذا ينشأ الصراع؟ وإنّما يذكر ذلك لما لهذا الصراع من

تأثير على الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، وبالتالي يكون الصراع على السلطة سببا من أسباب الافتراق (السامرائي 2019م).

فالخلاف الفكري لا ينشأ صدفة في المجتمعات، وإنما تعمل عليه أجنادات أيولوجية هيأت أسباب ذاتية وداخلية وخارجية، لتثبيت جذورها، ولا يمكن أن تنجح في أهدافها ما لم تنشط الأرضية الخصبة لها، فكان الجهل والسطحية، والخلاف الكلامي، والحروب، والفقر، والسلطات المستبدة - والقوة الظلامية، وغيرها ممهدات للانحراف الفكري المؤدي إلى صناعة الخلاف الفكري.

المبحث الرابع

أثر العلماء في التصدي للانحرافات الفكرية

من الجدير بالذكر أنّ من المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية حفظ العقل؛ لحمايته من أي مؤثرات سلبية تعمل على تغييره وإلغاء دوره في التفكير من ناحية، وتمهيد السبل أمامه لممارسة وظيفته الأساسية في الفهم والتفكير والتمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، والصواب والخطأ، والإبداع في كلّ مجالات العلوم والفنون من ناحية أخرى.

ودعوة الإسلام لاستعمال العقل لا تقتصر على الأمور الدنيوية الحياتية. فهذا أمر مفروغ منه وقد أشار النبي (ﷺ) إلى ذلك حين قال: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" (مسلم بن الحجاج، 2010م، (563) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، رقم (2363)، فالأمور الدنيوية تعتمد على البحث والدراسة والتجربة، بمعنى اعتمادها على العلم بأوسع معانيه. ولأجل ذلك لا يضع الإسلام سدوداً ولا قيوداً على مسيرة البحث العلمي (زقروق، 2019م).

وحينما يقترن العقل والفكر المسلم من مرحلة الانحراف فلا بدّ من التصدي المدروس لمواجهة الانحرافات الفكرية التي قد تعصف بالمجتمع المسلم.

وعليه اتبع العلماء خطى الصحابة (رضي الله عنهم) في حمل مسؤولية التقويم والتصحيح للانحرافات الفكرية، إذ يقومون بهذه المهمة العظيمة، من طريق الوقاية من أسباب الغلو والانحراف الفكري قبل حدوثها، ومعالجة ما وقع من آثارها بالكلمة النافعة، والبيان الواضح، ومن طريق محاربة الجهل والتعصب والردّ على التأويلات الفاسدة لمحكمات الشرع، ومن طريق الجهود التجديدية المستمرة التي تعيد صورة الإسلام مثلما كانت عليه في عهد الرسالة، ومن طريق توحيد مصادر التلقي، وضبط منهج الاستدلال.

ومن أهم ما يميز مناهج العلماء في محاربة الغلو هو بيان الحق وإيضاحه، فيبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً سواه، ممّا يجعل بياهم مقبولاً لدى عامة الأمة، فيمنعون بذلك أسباب الغلو.

إن فسح المجال للعلماء الراسخين في العلم لتقديم رسالتهم لعموم المجتمع، وتبني مشاريعهم العلمية والتربوية، يحصن المجتمع من موارد الغلو، ويبعده عن أن يقع تحت تأثير الخطاب المتطرف؛ لأنّ ترسيخ المفاهيم الإسلامية الصحيحة وفق مراد الله ورسوله هو الأمان من كلّ انحراف في التصورات والمفاهيم، وكلما انتشر الجهل أو التجهيل تبع ذلك ما لا يحصى من الشرور، وصار الفرد عرضة للاستقطاب من دعاة الشر سواء في مجال التطرف أم في مجال الانفلات والشهوات، وكلّ ذلك من مهددات السلم والاستقرار في المجتمع المسلم.

وقد كان العلماء الربانيون ولا يزالون يسخرون أوقاتهم وجهودهم في سبيل نشر العلم وتعليمه للناس؛ لعلمهم ما في ذلك من الأثر العظيم في تحديد معالم الإسلام في نفوس المسلمين، ومن طريق ذلك تتضح لهم السبل المتفرقة والأهواء والانحرافات المتنوعة، فمخادعة المسلم المتسلح بالعلم النافع أمر في غاية الصعوبة، بخلاف الغافل الجاهل بدينه فقد يلبس عليه في فهم بعض النصوص، ثمّ يدخل في غياهب الجهل المركب المنتج لأفكار التطرف والغلو.

فالبناء العلمي والتربوي السليم يحمي المسلم ابتداء من تقبل فكرة الغلو إذ يتصور المسلم دينه بشكل صحيح من طريق معرفته بطبيعته وتعاليمه ومقاصده وغاياته، وهذا الدور يقوم به العلماء الشرعيون بكلّ إخلاص واقتدار.

لقد وقف العلماء عبر التاريخ الإسلامي للتصدي للعقائد المنحرفة فحاربوها بكلّ الوسائل والأدوات العلمية بدءاً بالخوارج والقدرية ومقالات الباطنية وشطحات الرافضة فقد جعل الله في مواقفهم الخير الكثير، إذ إنهم بصروا المسلمين بشناعة الغلو وبطلان مقالات أربابه، فلم تجد تلك الانحرافات الفكرية بيئة خصبة تستقر بها، بل تلاشت كثير من تلك الأفكار الباطلة، وبقي الإسلام عزيزاً نقياً بصدق هؤلاء العلماء ونصحهم وبيانهم، وهكذا في كلّ عصر ومصر كلما ظهر الانحراف بأي صورة انبرى له المحتسبون من أهل العلم بالبيان والإنكار، حتى تقوم الحجة على أهله، ويتضح لسائر المسلمين وجه الحق في ذلك (موقع إسلام ويب).

الخاتمة

بعد أن اقتنع المستعمر بضرورة تبديل السلاح وتغيير الطريق، حينها ظهر المستشرقون والمبشرون يدلّفون بخطى متلصصة إلى العالم الإسلامي. وللأسف فالأمر لا يزال خافيًا عن فكر كثير من المسلمين هو الكشف عن أحابيل الغزو الفكري الخطير وتعرية الحيل والمكائد التي يأتي بها لتسعى إلى أذهان المسلمين بعد أن ارتدت رداء العلم والفكر والتنوير. فقد تمكن الغزو من التسلل إلى أفكارهم، وتوليد الشكوك والوساوس في عقولهم، ثم طَبَعَهُم بطابع التبعية الفكرية لأعداء المسلمين.

لذا وصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. نبه القرآن الكريم على خطورة وأهمية الانحراف الفكري، فقد كان واضحًا في استعماله لمختلف الألفاظ الدالة عليه، لينبه أرباب الفكر والعلم بأنّ الانحراف قد يكون ظاهرًا أو خفيًا، فكان التحذير بآيات صريحة ليتدبر أولو الألباب.
2. الانحراف الفكري انعكس على السلوك الاجتماعي للمجتمع المسلم، إذ انقسم الناس على بعضهم وانصرفوا عن التحديات التي تهددهم داخليًا وخارجيًا، واستنزفوا طاقاتهم في الخصومات والمصادمات المذهبية التي أودت بمفهوم الأمة الإسلامية.
3. اختلاط المسلمين بغيرهم من أهل الديانات الأخرى، ثمّ التأثير ببعض الأفكار والفلسفات أيا كان نوعهما نتيجة نشاط حركة الترجمة، وكثرة الثقافات الوافدة التي استطاعت أن تنفذ إلى بعض فئات المجتمع الإسلامي المهمة فتأثرت بها وأثرت وأدت إلى الانحراف الفكري.
4. اختلاط شتى الملل والشعوب في المجتمع الإسلامي لأغراض شتى، وأهداف متباينة، إلى جانب تسلل الحاقدين إلى الصف الإسلامي، فقد تأمروا على الإسلام وفسدوا أفكارا غريبة ونزعات وأهواء بعيدة عن روح الإسلام مما كان له أكبر الأثر في انحراف بعض من المسلمين بقصد أو بغير قصد.

5. كل ظاهرة انحراف أو غلو في الدين، فالعلماء معنيون بالتصدي لها بالحجة والبيان، سواء كان انحرافاً عن العقيدة أم عن الأخلاق أم الأحكام والتشريعات، فهم شركاء في إرساء الأمن والاستقرار في المجتمعات على أسس الإيمان والعمل الصالح.
6. المصطلحات الفكرية الوافدة هي البديل عن الأسلحة العسكرية بل هي الأخطر.

المصادر والمراجع

- البوطي، محمد سعيد رمضان، (1432هـ - 2011م)، *الظلاميون والنورانيون محاولة لمعرفةهم من خلال سُلّم العلم فالدين فالأخلاق*، ط2، دمشق: دار الفكر.
- الجرجاني، علي بن محمد، (1405هـ)، *التعريفات*، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الدليمي، محمود عيدان أحمد، (1413هـ - 1993م)، *الصحابة ومكائنتهم عند المسلمين*، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغدادك العراق.
- الرقبي، أحمد حسن، (1426هـ - 2005م)، *ملامح المشروع الإسلامي في الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري*، ط1، مؤسسة الرسالة.
- الزايدي، د. عبد الله بن عبد العزيز، (1935م)، *حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري*، مجلة البحوث الإسلامية، ع 77، (239)، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- زقزوق، محمود حمدي، (1440هـ - 2019م)، *الفكر الديني وقضايا العصر*، ط4، القاهرة: دار القدس العربي.
- زقزوق، محمود حمدي، (1440هـ - 2019م)، *المسلمون في مفترق الطرق*، ط2، القاهرة: الحكماء للنشر، دار القدس العربي.
- السامرائي، أ. أميرة إبراهيم، (1441هـ - 2019م)، *أثر الخلاف الكلامي على وحدة المسلمين دراسة عقدية ومنهج إصلاحية*، ط1، اسطنبول.
- السدلان، أ. د. صالح بن غانم، *أسباب الإرهاب والعنف والتطرف*، بدون طبعة أو سنة.

- الشاطبي، إبراهيم، (1412هـ - 1992م)، الاعتصام، تحق: سليم بن عبد الهلالي، ط1، السعودية: دار ابن عفان.
- صليبا، د. جميل، (1982م)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، بيروت - لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- العبد، محمد، عبد الحليم، طارق، (1408هـ - 1987م)، المعتزلة بين القديم والحديث، ط1، برمنجهام: دار الأرقم.
- العلواني، د. طه جابر، (1991م)، أدب الاختلاف في الإسلام، ط2، فيرجينا - أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- العلواني، د. طه جابر، (1421هـ - 2001م)، إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، بيروت - لبنان: دار الهادي.
- العبد، أ. د. سليمان بن قاسم، (1426هـ - 2005م)، سبل وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، ط1، الرياض: مدار الوطن للنشر.
- القشيري، مسلم بن الحجاج، (2010م)، صحيح مسلم، ط1، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار ابن الجوزي.
- القهوجي، د. محمد رضا رشيد، (1426هـ - 2005م)، تيارات فكرية ومذاهب معاصرة، ط2، دمشق - بيروت: دار الكلم الطيب.
- الكفوي، أبو البقاء، (1432هـ - 2011م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط2، تحق: د. عدنان درويش، محمد المصري، دمشق - سوريا: مؤسسة الرسالة.
- المرزوقي، د. أبو يعرب، تيزيني، د. طيب، (1422هـ - 2001م)، آفاق فلسفية عربية معاصرة، ط1، دمشق: دار الفكر.
- المناعي، القاهري الحدادي، عبد الرؤوف، (1410هـ - 1990م)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، القاهرة، عالم الكتب 38، عبد الخالق ثروت.

النداوي، سهى هادي علوش، (1435هـ - 2014م)، الانحرافات الفكرية عند القرآنين أحمد صبحي منصور أنموذجا (دراسة نقدية)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، العراق.

الهندي، علاء الدين، (2010م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط3، تحق: محمود عمر الدمياطي، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الانحراف الفكري دراسة وتحليل / موقع السكينة. [hTTPS://www.assakina.com/studies/html 5304](https://www.assakina.com/studies/html/5304)
[hTTPS://is Lamweb.net/ar/article/241393](https://is.Lamweb.net/ar/article/241393) دور العلماء في علاج ظواهر الانحراف الفكري / موقع إسلام ويب/

قواعد إصلاح الفكر السياسي في القرآن الكريم "سورة المائدة أنموذجاً"

د. عصام الدين أحمد محمد بابكر

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - السودان

Esam27@gmail.com

© تُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: بابكر، عصام الدين أحمد، قواعد إصلاح الفكر السياسي في القرآن الكريم "سورة المائدة أنموذجاً"، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 43-78.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0193>

الملخص:

قواعد إصلاح الفكر السياسي في القرآن الكريم، "سورة المائدة أنموذجاً" تمكن أهمية هذا البحث في أنه محاولة لاستنباط قواعد منهجية يستطيع من يترسمها أن يمارس عمله السياسي بعد أن يصلح فكره وفق منهج القرآن الهادي إلى الصراط المستقيم. وأهدف من البحث إلى: أن أبين أنَّ القرآن الكريم هو أصل وأساس كل مشروع إصلاحٍ يراد له أن يهدي البشرية في معاشها ومعادها، وأن أستنبط من سورة المائدة قواعد منهجية لإصلاح الفكر السياسي الإسلامي وتقويم فكر وسلوك الساسة. ويلاحظ عدم وضوح مفاهيم السياسة الشرعية لكثير من المسلمين، وفاقمها ضعف فكر الساسة وفقر معارفهم الإسلامية! فإلى أي مدى يمكن للقرآن الكريم كتاب الهداية ودستور الحياة، أن يقوم حياتنا السياسية؟ وهل بوسعنا استنباط قواعد هادية تصلح فكرنا السياسي، لتصلح حياتنا وفق المنهج الرباني، وسينتهج البحث المنهج التاريخي في استقراء القواعد والهدايات من المصادر والمراجع، والمنهج الوصفي التحليلي لاستنباط القواعد الإصلاحية. وخلص البحث إلى نتائج منها: منهج إصلاح الفكر السياسي في سورة المائدة فيه تقرير وتغيير، حيث يقرُّ الحق وينميه بقيم الإسلام، ويغيّر الباطل إلى الحق الذي فيه نفع البشرية من غير ضراء مضرة، وأن الإلغاء والإبقاء والتقرير والتغيير مرتبطان بالصالح والفساد، فما كان صالحاً فإنه يُقرّ ويبقى، وما كان فاسداً فإنه يُغيّر ويُلقى.

الكلمات المفتاحية: سورة المائدة، الفكر السياسي، قواعد منهجية.

Rules for Reforming Political Thought in Holy Qur'an, "Surat al-Ma'idah as a Model".

Dr: Esameldin Ahmed Mohammed Babikir

University of the Holy Quran and Islamic Sciences – Sudan

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Babikir, Esameldin Ahmed, Rules for Reforming Political Thought in Holy Qur'an, "Surat al-Ma'idah as a Model", Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:43-78.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0193>.

Abstract:

Rules for Reforming Political Thought in Holy Qur'an, "Surat al-Ma'idah as a Model". The significance of this research lies in its attempt to derive methodological rules that enable those who follow them to practice their political work after reforming their thought in accordance with Qur'an's approach, which guides to the straight path. The research Objectives are: To demonstrate that Holy Quran is the origin and foundation of every reform project intended to guide humanity in this life and the hereafter. To derive from Surat Al-Ma'idah methodological rules for reforming Islamic political thought and correcting the thinking and behavior of politicians. Research Problem: It is noted that many Muslims lack clarity in the concepts of Islamic politics, exacerbated by the weakness of politicians' thinking and their poor Islamic knowledge! To what extent can Holy Quran, the book of guidance and the constitution of life, reform our political life? Can we derive guiding principles that will reform our political thinking, so that our lives may be reformed in accordance with the divine approach? The research will adopt the historical approach in extrapolating rules and guidance from sources and references, and the descriptive analytical approach in deriving reform rules.

the results: The approach to reforming political thought in Surat Al-Ma'idah involves affirmation and change, as it affirms and develops truth based on Islamic values, and replaces falsehood

with truth that benefits humanity without causing harmful harm. Abolition, preservation, affirmation, and change are linked to goodness and corruption. Whatever is good is affirmed and maintained, while whatever is corrupt is changed and abolished.

Keywords: Surat Al-Ma'idah - Political Thought - Methodological Rules.

المقدمة:

لا تنقضي حاجة البشرية إلى الإصلاح والمصلحين، ولذلك أرسل المولى عز وجل الرسل تتري، يحملون مشاعل الإصلاح والهداية، وأنزل سبحانه كتبه منهاج هداية للحق والطريق القويم لتستقيم حياة الناس على الجادة، فقبل أن يهبط الله سبحانه أبانا آدم إلى الأرض؛ أخبره وزوجه أنه سيتكفل بالمنهج الذي يهديهم ويصلحهم وذرياتهم، فقال: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾ سورة طه، فمن اتبع هدي الكتاب استقامت حياته، كما أخبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله: "تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة"، فهذا إخبار للبشرية من أولها إلى آخرها..

ولما كانت رسالة نبينا محمد هي الرسالة الخاتمة، والقرآن الكريم هو آخر كتب الله نزولا إلى الأرض؛ فإنه وبلا شك يتضمن كل هدايات الإصلاح وتقويم الأفراد والأمم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد وفقت إدارة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية باليمن السعيد في إقامة المؤتمر الدولي الثالث، ليقدم حلولاً ومقترحات من القرآن حول مشكلات الأمة المعاصرة، في وقت أحوج ما تكون فيه الأمة للرجوع إلى منهاج ربها حتى تتهدي للجادة والطريق القويم، بعد الانحراف الذي أبعدها عن كتاب ربها وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام، وقد أحببت المشاركة في هذا المؤتمر بورقة عنوانها: قواعد إصلاح الفكر السياسي في القرآن الكريم، "سورة

المائدة أمودجًا"، وهو من موضوعات المحور الرابع: القرآن ومشكلات الأمة السياسية. أهمية البحث:

تكمّن أهمية البحث في كونه يتناول موضوعًا يتطلع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلى معالجته، ألا وهو إصلاح الفكر بصورة عامة، والفكر السياسي الإسلامي بصورة خاصة، فالبحث محاولة لاستنباط قواعد منهجية يستطيع من يترسمها أن يمارس عمله السياسي بعد أن يصلح فكره وفق منهج القرآن الهادي إلى الصراط المستقيم. مشكلة البحث:

كثيرة هي المشكلات التي تعاني منها الأمة المسلمة في عصرنا الحاضر، ولكن أخطرها وأعظمها أثرًا المشكلات السياسية، التي فاقمها ضعف الساسة، فإلى أي مدى يمكن للقرآن الكريم كتاب الهداية ودستور الحياة، أن يقوم حياتنا السياسية؟ وهل بوسعنا استنباط قواعد هادية تصلح فكرنا السياسي، لتنصلح أوضاعنا السياسية؟ أهداف البحث: أهدف في هذا البحث إلى الآتي:

1. أن أبين أن القرآن الكريم هو أصل وأساس كل مشروع إصلاح يراود له أن يهدي البشرية في معاشها ومعادها.
2. أن أوضح مقاصد الإصلاح الفكري في سورة المائدة.
3. أن أستنبط من سورة المائدة قواعد منهجية لإصلاح الفكر السياسي الإسلامي وتقوم فكر وسلوك الساسة.

منهج البحث:

سأنتهج في هذا البحث المنهج التاريخي في استقراء القواعد والهدايات من المصادر والمراجع، والمنهج الوصفي التحليلي لاستنباط القواعد الإصلاحية. الدراسات السابقة:

أولاً: بتاريخ: الخميس 12 ديسمبر 2019م نوقشت رسالة دكتوراه في كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد بعنوان: جدلية الإصلاح والثورة في الفكر السياسي الغربي المعاصر،

قدم الرسالة الطالب رياض ياسر كطان..

تناولت الأطروحة مسألة الإصلاح والثورة في الفكر السياسي الغربي المعاصر، وبصورة عامة تعنى الأطروحة ببيان الآراء والمبادئ والنظريات، والأفكار المختصة بظاهرتي الإصلاح والثورة، ومدى تأثير إحداها على الأخرى من جهة. وتأثيرهما على مجمل الفكر السياسي في إطاره الغربي من جهة أخرى.

تختلف الرسالة عن البحث الذي أقدمه في إنها معنية بالإصلاح السياسي وعلاقته بالثورات في العرب؛ بينما يعتني بحثي بإصلاح الفكر السياسي من خلال القرآن الكريم، وهو ليس محدوداً بقيد زمني ولا جغرافي..

ثانياً: نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الشهيد حمة لخضر - الشهيد بجمهورية الجزائر رسالة ماجستير بعنوان: آيات الحدود والكفارات من خلال سورة المائدة - دراسة موضوعية، قدمت الرسالة الطالبة: عفاف كشي، وأشرف عليها الدكتور مصباح موساوي.

تختلف الرسالة عن بحثي في أنها في قسم التفسير بينما بحثي متعلق بالفكر السياسي، وهو موضوع أقرب للعقيدة الإسلامية.. انحصرت الرسالة في الآيات المتعلقة بالحدود، بينما اهتم بحثي بالآيات المتعلقة بالسياسة والإصلاح السياسي، وآيات الحدود جزء من موضوع بحثي.

هيكل البحث:

يقع البحث في مقدمة تتضمن الأساس النظري للبحث، ثم تمهيد فيه توضيحات موجزة عن سورة المائدة، ثم في مبحثين، سيكرس الأول منهما للحديث عن أن: القرآن هو الأصل المرجوع إليه في البناء والإصلاح، وسأوضح هذه القاعدة في مطلبين: الأول سيعالج منهج القرآن الكريم في التقويم الفكري للإنسان. أما الثاني فعنوانه: مقاصد الإصلاح في سورة المائدة تغيير وتقرير.

ثم سيأتي المبحث الثاني بعنوان: القواعد الإصلاحية التي تضمنتها سورة المائدة، وسأذكر بعض هذه القواعد في مطلبين الأول منهما للحديث عن القواعد المتعلقة بإصلاح

السياسة، والثاني عن القواعد المتعلقة بإصلاح الساسة. وستتضمن الخاتمة أهم النتائج والتوصيات، وسيعقبها فهرس للمصادر والمراجع التي استفدت منها في البحث.

تمهيد: عن سورة المائدة

أسماء سورة المائدة:

تسمى هذه السورة سورة المائدة لاشتغالها على قصة نزول المائدة من السماء بعد أن طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام، لتدل على صدق نبوته، وتكون لهم عيداً. وتسمى أيضاً سورة العقود: إذ وقع هذا اللفظ في أولها، وتسمى السورة المنقذة، وهو اسم ليس بمشتهر بين المفسرين، روي أن رسول الله ﷺ قال: «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله: المنقذة، تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب».

ما جاء في نزول سورة المائدة:

سورة المائدة مدنية باتفاق المفسرين، روي أنها نزلت عند منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد، قالت: "إني لأخذة بزمام العضباء: إذ أنزلت عليه المائدة كلها فكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة". وذكر أنها آخر سورة أنزلت، أو من آخر ما نزل من السور، ورد ذلك عن عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، وقال عن عبد الله بن عمرو بن العاص: "آخر سورة أنزلت المائدة والفتح".

وهي مائة وعشرون آية، وهي السورة الخامسة من القرآن الكريم.

ما اشتملت عليه السورة:

سورة المائدة كسورة النساء كلاهما مشتمل على عدة عهود وأحكام، وفيهما ذكر لأهل الكتاب والمنافقين، وقد اشتملت سورة المائدة على أحكام تشريعية وثلاث قصص. أما الأحكام:

فهي بيان أحكام العقود ونكاح الكتابيات والوصية عند الموت، والمطعومات من

ذبائح وصيود، وصيد الإحرام وجزائه، والطهارة من وضوء وغسل وتيمم، وتحريم الخمر والميسر وجزاء الردة، وحد السرقة وحد الحراية "قطع الطريق" وكفارة اليمين، وشريعة الجاهلية بتحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وحكم تارك العمل بما أنزل الله، ونحو ذلك في أثناء مناقشة ومجادلة النصارى واليهود والمشركين والمنافقين.

وقد امتازت هذه السورة باتساع نطاق المجادلة مع النصارى، واختصار المجادلة مع اليهود، عما في سورة النساء، مما يدل على أن أمر اليهود أخذ في تراجع ووهن، وأن الاختلاط مع النصارى أصبح أشد منه من ذي قبل، وفي الجملة انفردت سورة المائدة ببيان أصول مهمة في الإسلام هي:

- اكتمال الدين، وأن دين الله واحد، وإن اختلفت شرائع الأنبياء ومناهجهم.
- بيان عموم بعثة النبي ﷺ وأمره بالتبليغ العام.
- أوجب الله على المؤمنين إصلاح نفوسهم، وأنه لا يضرهم إن استقاموا ضلال غيرهم، وطريق الإصلاح الوفاء بالعقود، وتحريم الاعتداء على الآخرين، والتعاون على البر والتقوى وتحريم التعاون على الإثم والعدوان، وتحريم موالاة الكفار، ووجوب الشهادة بالعدل، والحكم بالقسط، والعدل بين المسلمين وغيرهم في الحكم.
- أحكام المطاعم، وتحريم الخمر والميسر "القمار" والأنصاب والأزلام.
- تفويض أمر الجزاء في الآخرة إلى الله وحده، وأن ما ينفع الإنسان في ذلك اليوم هو الصدق.

وأما القصص الثلاث الواردة للبرة والعظة فهي:

الأولى: قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام إذ قالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

والثانية: قصة ابني آدم، حين قتل قابيل هابيل، وهي أول جريمة في الأرض.

والثالثة: قصة المائدة التي كانت معجزة خارقة لعيسى عليه السلام أمام صحبه الحواريين.

المبحث الأول

القرآن هو الأصل المرجوع إليه في البناء والإصلاح

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في التقويم الفكري للإنسان.

جعل الله عز وجل القرآن الكريم المرجعية التي يتحاكم إليها الجميع عند الاختلاف، ولا يكون كذلك إلا إذا كان هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع، ولهذا نستطيع أن نقول: إن منهج التفكير الإسلامي الصائب يتميز بالاعتماد على النصوص الشرعية، المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتكون القيمة الأساسية فيه لهذه النصوص، حيث تقدّم على كل ما عداها من مصادر المعرفة عند الاختلاف.

ولكن في الوقت نفسه لا يتجاهل منهج التفكير الإسلامي مصادر المعرفة الأخرى، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وطريقة السلف الصالح وأسلوب المدرسة التجديدية السنية المعاصرة، وهو شأن المجددين الأوائل، في الاجتهاد والتفكير.

سأبين هذا المنهج في النقاط الآتية حتى تتضح لنا السمة العامة للمنهج القرآني في الإصلاح والتقويم.

أولاً: تثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس بالدلائل والبراهين.

لا ريب أن تأصيل وترسيخ الاعتقاد الصحيح من أعظم وسائل الوقاية من الانحراف الفكري، والواقع في القديم والحديث يصدق هذه الحقيقة؛ إذ لا نكاد نلمس انحرافاً فكرياً فيمن كان لديه اعتقاد صحيح مبني على علم، فلا غرو أن يعتنى القرآن الكريم بتثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس بالدلائل والبراهين العقلية والنقلية، ومن ذلك:

- تعريفه سبحانه نفسه لعباده بأسمائه وصفاته كماله ونعوت جلاله وأفعاله، وأنه واحد لا شريك له. وما يتبع ذلك من وجوب عبادته وحده، والإذعان لقضائه، وعدم التحاكم إلى غير شرعه.
- ذكره لحقائق المعاد والنشأة الأخرى، وكيفيته وصورته، وإحالة الخلق فيه من حال إلى حال، وإعادة خلقهم خلقاً جديداً.

● تذكير الإنسان بمصيره وذكر معاده يوم القيامة حين ينقسم الناس فممنهم شقي وممنهم سعيد.

ثانيًا: مخاطبة العقول، وتلمس المداخل لأذهان الناس، بما يتفاعل مع الفهم السليم.

حيث يكثر في القرآن الكريم مخاطبة العقل ودعوته للتفكير والتبصر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله في هذا الكون، حتى يتحرك الإحساس، ويربط الإنسان المعقول بالمحسوس، يقول المولى سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾ سورة آل عمران، قال القشيري في لطائف إشاراته: "أولو الألباب هم الذين صحت عقولهم عن سكر الغفلة، وأمانة من كان كذلك أن يكون نظره بالحق، فإذا نظر من الحق إلى الحق استقام نظره".

كما يبحث القرآن الإنسان على التفكير فيما حصل للأمم السابقة ليأخذ العبرة بما وصلوا إليه، حين لم يستقيموا على حال بعد ابتعادهم ومعصيتهم، كما في قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ 9" ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (10)﴾ سورة الروم، يخبرنا المولى جل ثناؤه عن أحوال أقوام تطورت علومهم فعمرُوا الأرض بعد أن استخرجوا ما في باطنها وحرثوها وعمروها أكثر مما فعل المعاندون المعاصرون لنزول الوحي، ولكنهم لم يوظفوا عقولهم للاهتمام بالمنعم بالنظر إلى نعمه "فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسالهم، فلم يقدرُوا على الامتناع -مع شدة قواهم- مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمرُوا من الأرض"، فالمطلوب من العقلاء "سير القلوب بجولان الفكر في جميع المخلوقات، وغايته الظفر بحقائق العلوم التي توجب تلج الصدر"، ما دام قد عرف نعمة ربه عليه.

ثالثاً: الاعتناء بالكليات والقواعد الجامعة.

وذلك حتى تتكون لدى المسلم ملكة التفكير المنهجي الذي يقيه من الوقوع في التناقض، قال ابن تيمية في هذا السياق: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم".

ويأتي حرص علماء الإسلام ومفكره على القواعد لأنها تعصم الأمة من الفساد وتقي الفرد من الوقوع في التناقض، فمن عرف طريقتهم واهتدى إليها أفلح وأنجح، لكونهم أعرف بحقائق أقوال الناس وطبائعهم، لهذا نبهوا إلى أن من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم "حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول ﷺ، فإنهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده، حيث عذره الله ورسوله، وأهل البدع يبتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها".

رابعاً: الإعلاء من شأن العلم، والرفع من قيمة العلماء المخلصين في البحث عن الحقيقة.

حيث أمر المولى الكريم نبيه ﷺ بالاستزادة من العلم فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (114) سورة طه، "إذا كان أعلم البشر، وسيد العرب والعجم، ومن شهد له الحق بخصائص العلم حين قال ﴿وَعَلَّمَكُمَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ (113) سورة النساء، يقال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾؛ عُلِّمَ أَنَّ مَا يَخْصُ بِهِ الْحَقُّ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ لَطَائِفِ الْعُلُومِ لَا حَصْرَ لَهُ"، ثم بين سبحانه مكانة العلماء فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (11) سورة المجادلة، ولأن العلماء لا يتساوون مع الذين لا يعلمون فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَكْبَابُ﴾ (9) سورة الزمر، فالذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم"، وذلك لأن العلماء هم من يعرف الله ويخشاه لعلمهم به: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (28) سورة

فاطر، فإذا فسد العلماء فسدت الدنيا، لذلك قالوا: "شر الشرار أشرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء"، ونصوص الكتاب والسنة في هذا المعنى كثيرة جداً، سأكتفي منها بما ذكرت هنا.

خامساً: إطلاق الوسائل المعرفية إلى أقصى مداها كي تنهل من مصادر المعرفة المتاحة لبني الإنسان.

فقد جاء الإنسان إلى الدنيا صفحة بيضاء، ولكن الخالق سبحانه وتعالى زوده بوسائل المعرفة حيث قال: ﴿وَاللَّهُ أَرْجَاكُمْ مِّنْ بُطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)﴾ سورة النحل، فلقد خلق الله للإنسان وسائل تحصيل المعارف فأعطاه:

- سمعا ينهل به من الأخبار: وحياً ربانياً، أو حدثاً إنسانياً.
- وبصراً ينهل من الكتاب: المقروء وهو الوحي، والكتاب المنظور وهو الكون.
- وفؤادا يعقل نفسه ويعقل الكتاب المنظور والمسطور.

ولقد تواترت نصوص الكتاب والسنة في الحديث عن الوسائل الثلاث: السمع والبصر والفؤاد، حيث ورد كل منها وما يشق عنها في العديد من آيات الكتاب العزيز، بينما ورد الحديث عن العقل، واللب والنهى والحكمة في عشرات الآيات، وكفى بذلك دلالة على عناية الإسلام وحرصه الشديد على إطلاق الوسائل التي يتوصل بها الإنسان إلى المعرفة إلى مداها الأقصى، تلك الوسائل التي تنهل من مصادر المعرفة المختلفة بوعي ورشد.

سادساً: دفع الشبهات التي تفسد فكر الإنسان.

وذلك بدفع كل ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعي إلى الحق من الرسل وأتباعهم، أو في بعض ما جاءوا به من الحق، مما يمنع من الاستجابة للحق، ويؤدي للانحراف عنه، كما يؤدي لفساد الدين بسبب اشتباه الباطل بالحق، قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا (69)﴾ سورة التوبة، قال شيخ

الإسلام ابن تيمية في توضيح معنى الآية: "جمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق.

والأول: هو البدع ونحوها. والثاني: فسق الأعمال ونحوها

والأول: من جهة الشبهات. والثاني: من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه، وقال سفيان بن عيينة: "احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون" فهذا يشبه المغضوب عليهم، الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم.

وقد كان أكثر السلف يحذرون من التعرض للشبهات، ويرون أن "القلوب ضعيفة والشبه خطافة"، وذلك لأنه غالباً ما ترتبط الشبهة بعادة موروثية أو مصلحة متوهمة أو رياسة دينوية أو حمية جاهلية، فتؤثر الشبهة بسبب هذه الأمور في النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء، وتتعلق بها، وتحسبها حجة وبرهاناً تدفع بها الحق وتخاصم بها الدعاة إليه.

والقارئ لكتاب الله سبحانه وتعالى يجده حافلاً بالرد ونقض الشبهات التي أثارها المشركون أو اليهود أو المنافقون في مجال العقيدة والفكر والتفكير، وفي ذلك دلالة على أهمية هذا الأمر باعتباره وسيلة ضرورية لتثبيت المؤمنين ودحض مزاعم الكافرين، وهو أسلوب قرآني لا ينبغي تركه في أي عصر بل الحاجة إليه قائمة ما دام الصراع بين الحق والباطل قائماً، والأمثلة على ذلك من الكتاب الكريم أكثر من أن تحصر، ومنها على سبيل المثال: كشفه سبحانه لشبهات المشركين حول القرآن الكريم وزعمهم أنه من عند محمد ﷺ، فقد دحض الحق تبارك وتعالى ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زَنَابَ الْمُبْطِلُونَ (48)﴾ سورة العنكبوت، والمعنى المقصود نفي حالي التعلم، وهما التعلم بالقراءة، والتعلم بالكتابة، استقصاءً في تحقيق وصف الأمية فإن الذي يحفظ كتاباً ولا يعرف أن يكتب، لا يعد أمياً كالعلماء العُمي، والذي يستطيع أن

يكتب ما يلقي إليه ولا يحفظ علماً لا يعد أمياً، مثل النساخ فباتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية .

أعلاه كان إلماحة لمعالم المنهجية الفكرية الإصلاحية الإسلامية، التي نتباهى بأصولها العميقة في التراث الإسلامي، وتبعاً لها نؤكد أكثر من كل شيء على ضرورة التفكير المقاصدي الذي هو ضرورة من ضرورات البعثة، وأصل من أصول التجديد، فبغيره تتيه الأمة بين الظواهر، وترتفع شوكة الفكر الخارجي من جديد، أو يدخلها بالضد في متاهات التأويل الباطني، أو التخاذل الإرجائي، ويبقى الوسط بعيداً عن لسان الميزان! وشيء من هذا وذاك مع الأسف هو حاصل، باسم العمل الإسلامي والنشاط الدعوي!

المطلب الثاني: مقاصد الإصلاح في سورة المائدة تغيير وتقرير.

من المقاصد العامة لسورة المائدة: "الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكرًا للنعمة، واستدفاعًا للنقمة، وقصة المائدة أدل ما فيها على ذلك، فإن مضمونها: أن من زاغ عن الطمأنينة، وزاغ عن الثبات والسكينة، بعد الكشف الشافي، والإنعام الوافي؛ نقوش الحساب، فأخذه العذاب"، ولا يخفي ما تحتويه هذه المقاصد من إصلاح للفرد والمجتمع بما يشمل حياته الأولى والآخرة.

تضمن مقصد الإصلاح في سورة المائدة مقامين:

المقام الأول: تغيير الأحوال الفاسدة وإعلان فسادها، وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77)﴾، إذ إن "تعلق القلوب بدون الرب في استدفاع الشر واستجلاب الخير تحقيق للوقت فيما لا يجدي، وإذهاب للعمر فيما لا يغني، إذ المتفرد بالإيجاد برئ عن الأنداد".

ومن تطبيقات هذا المقام في سورة المائدة ما يأتي:

أولاً: قوله تعالى دائماً بعض عادات الجاهلية التي تحرم بعض الحلال وتحل بعض الحرام: ﴿مَا

جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثَرَتُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103) ﴿﴾، حيث أرشدت الآية الكريمة إلى بعض أعمال الجاهلية التي أبطلها الإسلام وغيّرها، ولكن الاحتكام إلى عادات الجاهلية ما زال بين الناس خاصة الساسة، ومن يتولون حكم الناس، وقد حذر مولانا أحكم الحاكمين من ذلك حين قال: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَنْبَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)﴾ ﴿﴾، ولا يخفى ما في الآية من الدعوة لتغيير حكم الجاهلية بحكم الإسلام، وذلك "أن من حكم بغير ما أنزل الله وهو على ملة الإسلام كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية"، ولذلك فإن هذه المسألة من أهم ما يجب تغييره في دنيا الناس ومعاملاتهم وعلاقاتهم.

ثانياً: نداؤه جل ثناؤه لعباده المؤمنين ناهياً لهم عن تحريم الطيبات من الرزق أمراً لهم بتعاطي الحلال الطيب حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88)﴾، ثم ناداهم مرة أخرى محذراً من تعاطي الخبائث فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)﴾، قال القشيري في لطائف إشارات: "من أمارات السعادة الوقوف على حد الأمر إن أباح الحق شيئاً قبله، وقابله بالخشوع، وإن حظر شيئاً وقف ولم يتعرض للوجود. ومما أباحه من الطيبات الاسترواح إلى نسيم القرب في أوطان الخلوة"، هذا لأن الصلاح في الخلوة يظهر استقامة عند الجلوة.

سأكتفي بذكر هذين المثالين خشية الإطالة، واللييب تكفيه الإشارة، والسعيد تؤنسه

البشارة.

المقام الثاني: هو تقرير أحوال صالحة قد اتبعها الناس، وهي الأحوال المعبر عنها بالمعروف والبر كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)﴾، فقد أقرت الشريعة مبدأ إشاعة المعروف وفعل الخير بل أمرت به، مثل ما أمرت بالتعاون على ما ينفع الناس لا ما يضرهم ويجلب لهم الآثام، ولذلك

قال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (48)، وهذه عادات من كريم الخصال التي يمتدح فاعلها قبل الإسلام وبعده.

وتأكيدا لهذا المفهوم قعد العلماء قاعدة مهمة تعتبر من القواعد العامة التي تبين سعة فقه علماء الأمة على مر العصور، فقد ذكر ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة أن: "عوائد الأمم متى اشتملت على مصلحة أو مفسدة ضرورية أو حاجية؛ حكم عليها بما يناسبها من وجوب أو تحريم"، هذه القاعدة تقر أن عادات كل أمة أو دولة، إذا تضمنت جلب مصلحة أو درء مفسدة من مرتبة الضروريات أو الحاجيات، مما يشترك الناس فيه، فإنها حينئذ تستوجب الحكم عليها بما يناسبها من إيجاب أو تحريم، فما كان حقا وفيه مصلحة يعمل به والعكس بالعكس.

وتبقى التجربة البشرية التي استقرت حتى صارت عرفا هي الضابط لمعرفة المصلحة والمفسدة، وقد استنبط الفقهاء قواعد فقهية تشرح هذه القاعدة مثل قولهم: "مصالح الدنيا ومفاسدها تعرف بالتجارب والعادات".

ومما يشهد لصحة هذه القاعدة، ما ورد وتكرر في القرآن الكريم من الأمر بالبحث والنظر في أحوال الأمم، والأمر بأخذ العبرة من أفعالهم وأحوالهم، بل إن الله تعالى قد قص علينا من ذلك كثيرا من قصص وأحوال الأمم السابقة، وبصّرنا بنتائج وعواقب ما اقترفته أيديهم.

وفي هذه القاعدة تأكيد لحديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام مسلم وبوب له النووي بباب عنوانه: باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا، على سبيل الرأي، فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقوم على رؤوس النخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أظن يغني ذلك شيئاً» قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، إني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً، فخذوا به، إني لن أكذب على الله جل وعلا».

فالمصالح المتعلقة بالدنيا أمرها إلى أهل الخبرة والتجربة وما اعتاده الناس مما لا يخالف الشرع الحنيف فإن المصير إليه هو شأن النبي ﷺ وصحابته الكرام.

ومن تطبيقات هذا المقام في سورة المائدة ما يأتي:

أولاً: إقرار نوع من التعامل بين الجماعات أو الدول وهو مبدأ التحالف، ومبدأ الوفاء بالعهود، كما أمر سبحانه وتعالى في أول آية من سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلِلْتُ لَكُمْ بَيْعَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)﴾، يؤكد مضمون الآية قوله ﷺ: «شهدت حلف بني هاشم، وزهرة وتيم فما يسرني أني نقضته ولي حمر النعم ولو دعيت به اليوم لأجبت على أن نأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر ونأخذ للمظلوم من الظالم»، فهذا الحلف الذي شهدته الرسول ﷺ قبل البعثة، وهو حلف الفضول، قد أقره عليه الصلاة والسلام بعد البعثة؛ وذلك لما تضمنه من القيم الصالحة التي يدعو إليها من حماية للمظلومين، والأخذ على أيدي الظلمة، ورد الحقوق لأصحابها. وكان "سبب الحلف فيما زعم أهل التواريخ، أن قريشا كانت تتظالم بالحرم، فقام عبد الله بن جدعان، والوزير بن عبد المطلب، فدعوا إلى التحالف على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابهما بنو هاشم، وبعض القبائل من قريش".

ثانياً: أن الإسلام أقر ما كان معمولاً به من قبل في القصاص من القاتل، لقول الله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)﴾، لعظمة جرم إزهاق الروح البريئة، لذلك قال رسول الله ﷺ: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»، وروي الطبري في تفسيره قال: حدثني سليمان بن علي الربيعي قال: قلت للحسن: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ الآية، أهي لنا يا أبا سعيد، كما كانت لبني إسرائيل؟ فقال: "إي والذي لا إله غيره، كما كانت لبني إسرائيل. وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا؟".

ولكن الشرع الحنيف هذب هذه العقوبة بعد أن أقرها، فألغى ما كان يقتزن بها من مفسد الجاهلية كالتمثيل بالقاتل، أو الثأر من أهل القتل الذين لا مسؤولية لهم عن الجناية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (33) سورة الإسراء، قال ابن كثير: "معناه فلا يسرف الولي في القتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل".

وقبل أن أختتم هذا المطلب أشير إلى أن الشرع الحنيف لم يغير شيئا إلا إلى أحسن منه، ولم يقر شيئا مما تفعله الأمم السابقة إلا إذا كان فيه مصلحة لبني آدم، فمن ذلك ما أقره الإسلام في مجال المعاملات المالية حيث أقرت الشريعة الكثير من العقود التي يتعامل بها الناس ومن شأنها تحقيق مصالحهم؛ كعقد البيع والإجارة والشركة والرهن والقرض والمضاربة، وأبطلت العديد من المعاملات الأخرى التي كانت سائدة آنذاك؛ كالربا والقمار وبيع النجش وبيع الغر وبيع الملامسة وبيع الحاضر للبادي نظرا لما فيها من المفسد الكثيرة.

وبالجملة إذا تأملنا هذه القاعدة في سورة المائدة فإننا سنلاحظ أن الشارع الحكيم لم يلغ ويغير جميع الأحوال التي كان عليها الأفراد والشعوب والأمم قبل الإسلام، وإنما ألغى وغير فقط ما كان فاسدا منها، وأبقى ما كان صالحا على حاله، إذ الإلغاء والإبقاء والتقريب والتغيير مرتبط بالصالح والفساد، فما كان صالحا فإنه يُقرّ ويبقى، وما كان فاسدا فإنه يُغَيَّر ويُلغى؛ وذلك لما تقرر في قواعد مقاصدية مستقلة مثل قول الفقهاء: "الأوامر تتبع المصالح، كما أن النواهي تتبع المفسد"، ومعنى ذلك "أن الأوامر الشرعية تُبنى وترتب على وفق ما في الأفعال المأمور بها من مصالح، وأن النواهي الشرعية تُبنى وترتب على وفق ما في الأفعال المنهي عنها من مفسد. فعلى هذا الأساس اعتُبرت الأوامر تابعة للمصالح، واعتُبرت النواهي تابعة للمفسد. فوجود المصلحة في الفعل، ومدى أهميتها، ومدى الاحتياج إليها، هي الأسباب الداعية للأمر بذلك الفعل، وعلى أساسها تتحدد درجة الأمر وجوبا أو ندبا. وكذلك وجود المفسدة في الفعل، ودرجتها، ومدى ضررها، هي الأسباب الداعية للنهي عن ذلك الفعل، وعلى أساسها تتحدد درجته تحريما أو كراهة".

المبحث الثاني

القواعد الإصلاحية التي تضمنتها سورة المائدة

المطلب الأول: قواعد فكرية متعلقة بإصلاح السياسة.

القاعدة الأولى: الولاء لله ورسوله، والبراءة من كل ما يخالف تعاليم الإسلام.

الولاء والبراء أصيل عظيم من أصول العقيدة الإسلامية، إذ يمثل السور الذي بقي المسلمين من الخروج من دينهم أو الرضا بالأديان الأخرى أو تقرير صحتها، وهو التفسير العملي لقول المسلم في عند نطق الشهادتين: "أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له]، وأشهد أن محمد عبده ورسوله"، فإن شهادة المسلم أن الله هو المألوه [وحده لا شريك له]؛ تعني الإقرار له وحده بالربوبية والألوهية، إذ هو المتفرد بالملك والحاكمة والتشريع، فلا يجوز للمسلم أن يرضى بوجود مشارك لله في هذه الخصائص، إذ الحاكمة والتشريع هما أخص خصائص الربوبية.

وقد قرر النبي ﷺ هذا الأصل الكبير في أول ميثاق لدولة الإسلام في المدينة بعد الهجرة، وجعله واقعا عمليا بين "المؤمنين والمسلمين ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم... أنهم أمة واحدة دون الناس، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، وأن ذمة المؤمنين واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس". وهذه وصية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يؤكد فيها هذا المفهوم بقوله: "أحب في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، لا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك".

ولكن بعض المشتغلين بالسياسة يغفلون عن هذه القضية المهمة في عقيدة المسلم، بل لا يبالون بأثرها على عقيدتهم وإيمانهم، لذلك قال الله تعالى عنهم: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52)﴾، فهؤلاء الذين يشككون في وعد الله عز وجل نفاقا أو ضعف إيمان؛ تراهم لا يثقون في وعد الله لإظهار دينه، فيسارعون في موادة

أعداء الله في الباطن والظاهر، من غير نظر فيما يلحقهم من الضرر في الدين، والفضيحة بالنفاق. يَقُولُونَ أَي: في عذرهم ﴿تَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ من دوائر الزمان، وصرف من صروفه، فتكون الدولة لهم، فنحتاج إليهم، فنحن نتحفظ عن شرهم! وهذا تبرير بارد لا يغني عن الحق شيئا، لأن الله عز وجل نھانا عن موادة وموالة من حارب الإسلام وأهله وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)﴾، وأكد هذا النهي في آية أخرى سورة المائدة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)﴾.

ولما كان هذا حال كثير منهم فضحهم المولى عز وجل بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)﴾، إن "هذه الولاية بين اليهود والمشركين لم يكن لها علة إلا اتفاق الفريقين على الكفر بالله ورسوله وكتابه والتعاون على حرب الرسول وإبطال دعوته، والتكيل بمن آمن به"، فلماذا يسارع من يزعمون أنهم مسلمون في موالاتهم والتودد إليهم؟! مع قد طرق آذانهم أن "الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه يوجب على العبد موالة ربه، وموالة أوليائه، ومعاداة من كفر به وعاداه، وأوضع في معاصيه، فشرط ولاية الله والإيمان به، ألا يتخذ أعداء الله أولياء، وهؤلاء لم يوجد منهم الشرط، فدل على انتفاء المشروط"، والمؤمن على يقين من وعد الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)﴾.

القاعدة الثانية: اكتمل الدين ولم يعد بحاجة لزيادة.

قال سبحانه وتعالى مبشرا عباده المؤمنين بتمام النعمة واكتمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (3)﴾، وقد ذكر أهل التفسير أنه لم ينزل "بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض". ومن تمام نعمة الله على المسلمين أن رضي لهم الإسلام دينا "مرضيا هو محل احتكام

ومحاكمة الخلائق عليه يوم القيامة"، فالله سبحانه "أكمل لنا الدين، وهو الإسلام، بإحلال الحلال وتحريم الحرام وبيان الشرائع والأحكام، ورضي الله بالإسلام ديناً للبشرية، وأتم علينا النعمة بالتصر على المشركين"، و"المراد بكمال الدين يومئذ، هو إنجازه وإقراره، وإظهاره على الدين كله"، ولهذا فإنه لا يسوغ لأحد أن يتجاسر بتشريع شرع أو تحكيم قانون مخالف للشرع الحنيف بعد اكتمال الدين وتمام النعمة، لأن العدول عن الدين الإسلامي إلى تشريعات أخرى فساد ونقصان، والتمسك بتشريعات الإسلام كمال وصلاح، عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: «يا جبير تقرأ المائدة؟» فقلت: نعم، قالت: «أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال، فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه»، يفهم من كلام أم المؤمنين أنه بعد نزول سورة المائدة، ومعرفة المسلمين ما فيها، لم يعد مباحاً لأحد أن يشترع تشريعاً يخالف ما جاء في القرآن الكريم.

القاعدة الثالثة: الحكم بما أنزل الله نواة الإصلاح الأولى.

أخبرنا القرآن الكريم في سورة المائدة أن عدم الحكم بما أنزل الله ظلم وفسق وكفر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)﴾، بل عَدَّ الله تعالى عدم الحكم بما أنزله وعم الرضا بالله حكماً ضرراً من دعاوى الجاهلية "لأن من سنن الكفار الحكم بغير ما أنزل الله" فمن "حكم بغير ما أنزل الله وهو على ملة الإسلام كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية"، قال جل ثناؤه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)﴾ والمعنى أيعرضون عن حكمك بما أنزل الله عليك ويتولون عنه، ويتبعون حكم الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام؟ لأنه قد استقر عند أهل اليقين أنه: لا يمكن لأحد أن يكون حكمه أحسن من حكم الله أو مساوياً له.

ولذلك فإن في إقامة حكم الله وبسطه في المجتمع خير وإصلاح للناس في الدنيا والآخرة لقول رسول الله ﷺ: «حد يعمل به في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يمحطوا

أربعين صباحاً»، وفي المقابل بيّن رسول الله ﷺ أن العدول عن الحكم بما أنزل الله سبب للاضطرابات وعدم استقرار المجتمع، فقال: «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم».

ومن الحكم بما أنزل الله إقامة حدود الله التي فرضها الله عز وجل عقوبة لازمة توقع على من يستحقها من المجرمين، صيانة للمجتمع من الفساد.

والجنايات التي فرضت عليها حدود في القرآن الكريم سبعة، ذُكر منها في سورة المائدة أربع جرائم حدية هي:

الحاربة: وهي خروج فرد أو جماعة ذوي منعة إلى الطريق العام بغية منع سلوكه أو أخذ أموال سالكيه أو الاعتداء على أرواحهم. وقد وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33)﴾، وأهل الحاربة هم: "قطاع الطريق: الذين يعترضون الناس بالسلاح في الطرقات ونحوها، ليغصبوهم المال مجاهرة"، وعليه: إن "اجتمعت طائفة من أهل الفساد على شهر السِّلَاح وقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل النفوس ومنع السبل فهم المحاربون".

السرقه هي: أخذ مال الغير خفية من حرز مثله، وعقوبته قطع يد السارق من الرسغ، لقوله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)﴾.

ولا ريب أن الذي يقدم على هذا الفعل خطره يطرُد في كل زمان ومكان، لأنه لا يبالي في سبيل الوصول إلى غرضه بارتكاب أية جريمة يتوقف عليها الحصول على ما يرجو، فهو ينقض الدار ويكسر القفل، ولا يتأخر عن قتل من يقف في سبيله... فإذا لم يضرب على يد السارق من أول الأمر وإذا لم تشدد عليه العقوبة، كان شره عظيمًا.

وذكر الله عز وجل في السورة القصاص، وهو النوع الثاني من أنواع العقوبات في الإسلام والمقصود به: أن يعاقب الجاني بمثل جنايته على أرواح الناس، أو عضو من

أعضائهم، فإذا قتل شخص آخر استحق القصاص قتلا كما قتل هو غيره ، والغرض من القصاص هو حقن الدماء، والكف عن العدوان على الأرواح، ليعيش الناس آمنين ، وقد ورد ذكر القصاص في سورة المائدة في قول الحق سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ (45)﴾.

شرب الخمر وهو من الجرائم التي تفسد الفرد والمجتمع، لأنها تهدم كليات الشريعة كلها، وهي الضرورات الخمس: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقد يتصور المرء لأول وهلة أن الخمرة إنما تذهب العقل فقط، وأن ضررها لا يتعدى ذلك، ولكن الحقيقة أنها تذهب الكليات الخمس كلهن، وذلك أن معاقبتها تحصر شاربها في شهواته الدنيا دون أن يحمل فكرة علياً أو رسالة سامية وبذلك ينطفئ وجدانه ويتبدل إحساسه الديني فلا يفيق أبداً.

كما أنها تفتك بالنفس وتؤدي إلى الأمراض القاتلة المستعصية إضافة إلى ما تستنزفه من ثروات خاصة وعامة، ولذلك حرّمها المولى جل ثناؤه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)﴾.

والملاحظ أن الحديث عن الخمرة في سورة النساء جاء نهيًا عنها عند الصلوات خاصة، وفي سورة المائدة جاء تحريمه بتاتاً.

ما سردته يوضح لنا أن سيادة التشريع الرباني على حياة الناس سبب لصلاحتهم، وإقصاؤه من حياتهم سبب لفساد حياتهم، مما يتسبب في خسران الدنيا والآخرة، قال الله تعالى عن بني إسرائيل والموعظة موجهة لأمة محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)﴾، لأن الوعد الرباني واحد، والمعادلة لا تحتل أبداً.

ولكن الخوف من التقصير. يقصّر الأفراد في حق الله فيؤاخذون، وتقتصر المجتمعات في تحكيم شرعه فيتفرون، ويصيبهم ما أصاب الأمم السابقة، ولذلك قال سفيان الثوري: ما في القرآن آية أشد عليّ من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ (68) سورة المائدة، أي فكذاك نحن لسنا على شيء حتى نقيم الكتاب والسنة"، فالمطلوب هو إقامة شرع الله وتحكيمه في المجتمع، فإن لم نفعل فالوعيد قائم على الأمة بمجموعها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله متحدثاً عن ضرورة سعي كل الأمة لتحكيم شرع الله: "فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه؛ فمن ولي ولاية يقصد بها طاعة الله وإقامة ما يمكنه من دينه ومصالح المسلمين وأقام فيها ما يمكنه من الواجبات واجتناب ما يمكنه من المحرمات؛ لم يؤاخذ بما يعجز عنه، فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار.

ومن كان عاجزاً عن إقامة الدين بالسلطان والجهاد ففعل ما يقدر عليه من النصيحة بقلبه والدعاء للأمة ومحبة الخير وفعل ما يقدر عليه من الخير؛ لم يكلف ما يعجز عنه، فإن قوام الدين بالكتاب الهادي والحديد الناصر، كما ذكره الله تعالى، فعلى كل أحد الاجتهاد في اتفاق القرآن والحديد لله تعالى ولطلب ما عنده مستعينا بالله في ذلك".

القاعدة الرابعة: العدل أساس الملك.

العدل هو ميزان الحقوق، إذ متى وقع الجور في أمة انتشرت المفساد فيما بينها، ونحن نعتقد أن "الإسلام دين الحق والعدل في كل شيء، مع النفس والأهل والقرابة، وجميع الناس حتى الأعداء، والعدل قائم على الخشية من الله، وتقوى الله في السر والعلن"، ومتى شاع الحكم بالعدل؛ كان ذلك تأكيداً على خيرية الأمة، لما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت».

وقد أمر الله تعالى بالعدل، وأن يكون من أخلاق المؤمنين وصفاتهم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائهم وأعدائهم، ولا يجوروا في أحكامهم وأفعالهم فيجاوزوا ما حدده لهم، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَى

أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾. والآية تبين أنه متى وقعت المحاباة والجور زالت الثقة من الناس، وانتشرت المفسد وضروب العدوان بين الناس، وتقطعت روابطهم الاجتماعية، وصار بأسهم بينهم شديدا... وتلك سنة الله التي شهدناها في الأمم الحاضرة، وشهد بها تاريخ الأمم الغابرة، ولهذا يقولون: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة". ويقال: "الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام... وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق".

ومتى وجدنا العدل في دولة مسلمة دلنا ذلك على قيام تلك الدولة بالحكم بما أنزل الله، قال ابن قيم الجوزية: "إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العدل، وأسفر صبحه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره.

والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها. وهي من الدين، وليست مخالفة له".

صفوة القول: إن السياسة العادلة ليست مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل هي جزء من أجزائه، وبهذا يتبين لنا أن العدل أساس الملك، وهو أمر رباني ومطلب شرعي يجب أن يسود مجتمعات المسلمين.

المطلب الثاني: قواعد فكرية متعلقة بإصلاح الساسة.

القاعدة الأولى: السياسة عبادة والسياسي يراقب الله في سره وعلايته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الولاية لمن يتخذها ديناً يتقرب به إلى الله، ويفعل فيها الواجب بحسب الإمكان، من أفضل الأعمال الصالحة"، ولهذا يجب على السياسي أن يصلح العلاقة بينه وبين ربه، فيراقبه في السر والعلن، ولنا أن نستأنس بقول المولى عز وجل:

﴿... لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلُهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94)﴾، فإن الله سبحانه يَحْتَبِر عباده في صدق مراقبتهم لحدوده وعدم ارتكاب ما ينهى عنه من أعمال، والحاكم قد تعرض له مغريات في الخلوة، وتخضع له جباه رهبة منه لسطوة السلطة، فمن استقام في نفسه؛ استقامت له رعيته.

والمغريات والملهيات كلها ابتلاءات كي يعلم الله أهل طاعته "والإيمان به والمنتھين إلى حدوده وأمره ونهيهِ، ومن الذي يخاف الله فيتقي ما نهاه عنه، ويجتنبه خوف عقابه"، فالمطلوب أن يتحلى السياسي المسلم بقوة الإيمان حتى لا تجذبه الشهوات والمغريات أو تفسده الشبهات، فإن صلابة الإيمان تظهر الخوف من الله تعالى في حال السر والخفية، كما في حال الجهر والعلانية.

والخلاصة: إنه تعالى يريد أن يعامل عباده معاملة المختبر، وإن كان هو عالماً بهم منذ الأزل، لتزكية النفوس وتطهيرها وصقلها، فمن اعتدى وتجاوز ولم يبال باختبار الله له عاقبه الله وكشف ستره، لأن المخالفة بعد الإنذار مكابرة وعدم مبالاة.

القاعدة الثانية: السياسي المسلم يفني بعقده ولا يغدر.

يعتبر الأمر بالوفاء بالعقود مع الناس ومع الله من أهم وأخطر ما تميزت به شريعة القرآن: لأن في ذلك دليل الأصالة والقوة والشجاعة والثقة بالنفس، ولم يسوغ الشرع نقض عقد أو عهد حتى مع الأعداء، احتراماً للالتزام والمعاهدة، وليكون المؤمنون قدوة حسنة للبشرية في صيانة المعاهدات واحترام العقود، قال الله تعالى في مطلع سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (1)﴾، وهذا الأمر الرباني شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه بالقيام بعبادته وحده... والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب... والتي بينه وبين أصحابه... والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات... بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (10)﴾ سورة الحجرات، فهم إخوة بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلية في العقود التي أمر الله بالقيام بها،

ويوضح الإمام الشوكاني مستدركاً أي العقود يجب الوفاء به فيقول: "والعقد الذي يجب الوفاء به ما وافق كتاب الله وسنة رسول الله، فإن خالفهما فهو رد لا يجب الوفاء به ولا يحل".

ونقيض الوفاء بالعقد والعهد، الغدر، وهو من صفات المنافقين، فقد ذكر النبي ﷺ من صفاتهم: «... وإذا عاهد غدر»، لذلك أدب القرآن المسلمين على الوفاء بالعهود وعدم نقض المواثيق، وعلم النبي ﷺ أصحابه عاقبة الغدر الوخيمة فقال: «إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدره فلان بن فلان».

وقد التزم الصحابة بهذا الهدي وتناصحوا به، من ذلك أنه: كان بين معاوية بن أبي سفيان وبين أهل الروم عهد، وكان يسير في بلادهم، حتى إذا انقضى العهد أغار عليهم، فإذا رجل على دابة أو على فرس، وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر، وإذا هو عمرو بن عبسة، فسأله معاوية عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً، ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء»، فرجع معاوية بالناس، وقد استخرج الإمام البغوي من هذا الحديث توجيهها مهما فقال: "إذا هادن الإمام قوماً، فليس له أن يسير إليهم قبل انقضاء المدة، فيحل بساحتهم، حتى إذا انقضت المدة، أغار عليهم"، ومن هنا يتضح لنا أن الأمر بالوفاء بالعهود يتوجه أكثر ما يتوجه للساسة أكثر من غيرهم، لأنهم يتحملون أمانات شعوبهم [رعيتهم]، وربما يلتزمون بمعاهدات مع دول ومجتمعات أخرى، ويلتصق الوفاء بالعقود بالساسة وأرباب السلطة أكثر من غيرهم لأنه قد تقرر عند علماء المسلمين أن كلا "من الوفاء بالعقود والعهود، وإتمام الكيل والميزان، قاعدة حضارية اجتماعية سامية، وأساس راسخ ضروري في صرح التعامل بين الناس، يؤدي إلى توفير الثقة والطمأنينة، ويكون سبباً لتنمية العلاقات وزيادة الكسب والأرباح".

وقد عرفنا مما سبق سرده أنه من أعظم ما عرف به المسلمون هو الوفاء بالعهد حتى لمن اعتدى من يعتدي عليهم.

القاعدة الثالثة: اتباع الأهواء يفسد الساسة ويبعدهم عن الحق.

اتباع الهوى يفسد على المرء دينه ودنياه، ولذلك نجد الأمر الرباني في كثير من الآيات

ينهانا عن اتباع الهوى، وكذلك الهدي النبوي الذي يحذر من ترك الحبل على الغارب للنفس تميل حيث تهوى، مثل وصيته ﷺ للصحابي أبي ثعلبة بقوله: «إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ورأيت أمرا لا بد لك من طلبه فعليك نفسك ودعهم وعوامهم، فإن وراءكم أيام الصبر صبر فيهن كقبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين يعمل مثل عمله».

ومما نحن بصده من سورة المائدة قول الباري جل ثناؤه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)﴾، يلخص القشيري رحمه الله معنى الآية بقوله: "لا تملكك مودة قريب أو حميم، واعتنق ملازمة أمر الله تبارك وتعالى بترك كل نصيب لك"، ويواصل لطائف إشاراته، وأول من توجه إليه هذه الإشارة هم الحكام إذ يقول: "قم بالله فيما تحكم بينهم، وأقم حقوقه فيما تؤخر وتقدم، ولا تلاحظ الأغيار فيما تؤثر أو تذر، فإن الكلّ محو في التحقيق"، والمولى سبحانه يقول لنبيه الكريم ﷺ: "اعمل بكتابي الذي أنزلته إليك إذا احتكموا [أي اليهود] إليك فاخترت الحكم عليهم، ولا تترك العمل بذلك اتباعاً منك أهواءهم، وإثارة لها على الحق الذي أنزلته إليك في كتابي"، فنهاه عن أن يتبعهم فيما يريدونه، لأن في ذلك إضلالا وفسادا كبيرا وإيعادا عن الحق الذي بعثت به، وهو القرآن المهيم على ما سبقه من كتب.

ففي هذه الآية والتي تليها نهي المولى عز وجل رسوله وكل من تولى أمر الناس بعده عن اتباع أهواء أهل الكتاب أي آراءهم التي اصطلحوا عليها، وتشريعاتهم التي خالفوا بها الحق، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء، ولا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بديلا عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ولا يخفى أن المقصود من النهي عن اتباع أهواء أهل الكتاب؛ النهي عن كل ما يبعد

الحاكم المسلم عن الحق الذي في الإسلام إلى مصالح مظنونة في كتب وثقافات المغضوب عليهم والضالين، كما لا يخفى أن هدف التوجيهات الربانية هو دحض ما يتراءى من المصلحة في الحكم بين المتحاكمين مما يزينه أهل الكتاب ابتغاء صد المسلمين عن دينهم، وإحداث فتنة بينهم؛ أو ما تفعله الدول الكبرى والمنظمات الدولية وتقولها للقادة حثا لهم على ترك تحكيم شرع الله بحجة مخالفته لحقوق الإنسان وما شابه ذلك! وقد روي أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُذُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)﴾، هو طلب اليهود من النبي ﷺ أن يحكم بعوائدهم وقوانينهم، وأنه إن فعل ذلك آمنوا به واتبعتهم اليهود اقتداء بهم، فأراه الله أن مصلحة حرمة أحكام الدين ولو بين غير أتباعه مقدمة على مصلحة إيمان فريق من اليهود، لأجل ذلك فإن شأن الإيمان ألا يقول الناس على اتباعه .

ليت شعري كيف يرضى ساسة المسلمين وزعمائهم بالدين المبدل والتشريع المحرف، والانحرافات الليبرالية والعلمانية التي تزينها المنظمات الدولية، وتقرحها الحكومات الغربية، وتسعى لفرضها قوانين يحتكم إليها المسلمون؟ فلماذا يرضى ساستنا بالذي هو أدنى! قال ابن عباس رضي الله عنهما محذراً من مثل هذه الخطوات: "يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم".

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والحمد لله الذي وفقني لكتابة هذا البحث على عجلة من أمري.
وقد خرجت بعد الفراغ من البحث بنتائج وتوصيات عدة أهمها ما يأتي:

أهم نتائج البحث.

1. تبين مقاصد إصلاح الفكر السياسي في سورة المائدة المنهج الذي ينبغي أن يمضي عليه المجتهد والمفكر والمصلح ويلتزمه في كل عصر وزمان، في كيفية التعامل مع قضايا الناس المختلفة، إذ ليست كل أحوال الناس ينبغي أن تهدم ويعاد بناؤها، وإنما المطلوب تغييره من أعمالهم وتصرفاتهم وعقودهم وعاداتهم وأحوالهم هو ما كان فاسدًا فقط.
2. منهج إصلاح الفكر السياسي في سورة المائدة فيه تقرير وتغيير، حيث يقرُّ الحق وينميهِ بقيم الإسلام، ويغيّر الباطل إلى الحق الذي فيه نفع البشرية من غير ضراء مضرّة، وأن الإلغاء والإبقاء والتقرير والتغيير مرتبطان بالصالح والفساد، فما كان صالحًا فإنه يُقرّ ويبقى، وما كان فاسدًا فإنه يُغيّر ويُلقى.
3. يريد الإسلام من معتنقيه الاستقلال الفكري عن كل الأديان والأفكار القديمة التي نسخها القرآن وهيمن على أصح ما فيها، كما يريد منهم الترفع عن الأفكار الحديثة التي احتوى القرآن على أفضل مما فيها.

أهم التوصيات.

1. أقترح على الباحثين في مرحلتي الماجستير والدكتوراه العناية بتقعيد العلوم الشرعية حتى يسهل على المتلقين استيعاب منهجية التفكير الإسلامي فيسلموا من الشك والتناقض.
2. أوصي المؤسسات العلمية والبحثية بعقد مؤتمرات عن منهجية التفكير الإسلامي، ومنهج القرآن في تنمية التفكير الإيجابي.
3. أوصي الجامعات بإدراج منهج القرآن في إصلاح المجتمعات، مع تدريس مساعي أعداء الإسلام لصرف المسلمين عن دينهم قديما وحديثا؛ ضمن المقررات الدراسية الإلزامية لكل الكليات.

المصادر والمراجع

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (1422هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه [صحيح البخاري]، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة.

- البنار: أبو بكر أحمد بن عمرو، (1988م)، البحر الزخار / مسند البنار، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم.
- البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء، (1403هـ — 1983م)، شرح السنة، الطبعة الثانية، لبنان — سوريا: المكتب الإسلامي.
- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، (1408هـ — 1987م) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف.
- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (1412هـ — 1991م)، معرفة السنن والآثار، الطبعة الأولى، باكستان — سوريا — لبنان — مصر، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية، دار قتيبة، دار الوعي، دار الوفاء.
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة، (1395هـ — 1975م)، سنن الترمذي، الطبعة الثانية، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1403هـ —)، الاستقامة، الطبعة الأولى، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1416هـ — 1995م)، مجموع الفتاوى، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1418هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1419هـ — 1999م)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، الطبعة السابعة، لبنان: دار عالم الكتب.
- ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1425هـ — 2004م)، الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، الطبعة الثانية، لبنان: دار الكتب العلمية.

- ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1425هـ)، شرح العقيدة الأصفهانية، الطبعة الأولى، لبنان: المكتبة العصرية.
- الجزيري: عبد الرحمن بن محمد عوض، (1424هـ - 2003م)، الفقه على المذاهب الأربعة، الطبعة الثانية، لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن جماعة: عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، (1993م)، المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، الطبعة الأولى، الأردن: دار البشير.
- الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، (1411هـ - 1990م)، المستدرک على الصحيحين، الطبعة الأولى: الناشر: دار الكتب العلمية.
- الحجازي: محمد محمود، (1413هـ)، التفسير الواضح، الطبعة العاشرة، لبنان: دار الجيل الجديد - بيروت.
- ابن حزم الأندلسي: علي بن أحمد بن سعيد، (بدون تاريخ)، الإحكام في أصول الأحكام، لبنان: دار الآفاق الجديدة.
- الخطيب الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد، (1285هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مصر: مطبعة بولاق الأميرية.
- الدهلوي: ولي الله شاه، (1426هـ - 2005م)، حجة الله البالغة، الطبعة الأولى، لبنان: دار الجيل.
- الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (1405هـ - 1985م)، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثالثة، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- رضا: محمد رشيد بن علي: (1990م)، تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الزحيلي: الدكتور وهبة بن مصطفى، (1418هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج، الطبعة الثانية، سوريا: دار الفكر المعاصر.

- الزحيلي: الدكتور وهبة بن مصطفى، (1422هـ)، التفسير الوسيط، الطبعة الأولى، سوريا: دار الفكر.
- الزحيلي: الدكتور وهبة بن مصطفى، (بدون تاريخ)، الفقه الإسلامي وأدلته، الطبعة الرابعة، سوريا: دار الفكر.
- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، (1420هـ - 2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة الأولى: مؤسسة الرسالة.
- سلطان العلماء: عز الدين بن عبد السلام، (1416هـ)، الفوائد في اختصار المقاصد، الطبعة الأولى، سوريا: دار الفكر المعاصر ودار الفكر.
- ابن سويلم: أبو شُهبة محمد بن محمد، (1423هـ - 2003م)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، الطبعة الثانية، مصر: مكتبة السنة.
- الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد، (1417هـ - 1997م)، الموافقات، الطبعة الأولى، دار ابن عفان.
- الشريف الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين، (1403هـ - 1983م)، التعريفات، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية.
- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (1415هـ - 1995م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (1414هـ)، فتح القدير، الطبعة الأولى، سوريا - لبنان: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
- الشيبياني: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، (1421هـ - 2001م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (1409هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، (بدون تاريخ)، المعجم الأوسط، مصر: دار الحرمين.

الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، (1415هـ - 1494م)، شرح مشكل الآثار، الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، (1984م) التحرير والتنوير/تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد/، تونس، الدار التونسية للنشر.
ابن عاشور: محمد الطاهر، (1425هـ - 2004م)، مقاصد الشريعة الإسلامية، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ابن عبد البر القرطبي: أبو عمر يوسف بن عبد الله، (1414هـ - 1994م)، جامع بيان العلم وفضله، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

العدوي: أبو النجيب جلال الدين عبد الرحمن بن نصر، (بدون تاريخ)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، الأردن: مكتبة المنار.

عودة: عبد القادر، (بدون تاريخ)، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، لبنان: دار الكاتب العربي.

القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد، (1419هـ -)، محاسن التأويل، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية.

القراقي: أبو العباس شهاب الدين، (بدون تاريخ)، أنوار البروق في أنواء الفروق، لبنان: عالم الكتب.

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (1384هـ - 1964م)، الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، الطبعة الثانية، مصر: دار الكتب المصرية.

القزويني: أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، (بدون تاريخ)، سنن ابن ماجه، مصر: دار إحياء الكتب العربية وفيصل عيسى البابي الحلبي.

- القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (بدون تاريخ)، لطائف الإشارات / تفسير القشيري، الطبعة الثالثة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- القنوجي: أبو الطيب محمد صديق خان، (1412هـ - 1992م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، (1411هـ - 1991م)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، (بدون تاريخ)، الطرق الحكمية، مكتبة دار البيان.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، (بدون تاريخ)، بدائع الفوائد، لبنان: دار الكتاب العربي.
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (1419هـ -)، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية.
- متولي: تامر محمد محمود، (1425هـ - 2004م)، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، الطبعة الأولى: دار ماجد عسيري.
- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، (1434هـ - 2013م) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، الطبعة الأولى، دولة الإمارات العربية المتحدة.
- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، (1421هـ - 2001م)، السنن الكبرى، الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (1392هـ -)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة الثانية، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- النيسابوري: أبو الحسن مسلم بن الحجاج، (بدون تاريخ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، [صحيح مسلم]، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

الهروي: أبو عبيد القاسم بن سلام، (1421هـ - 2000م)، كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته" الطبعة الأولى: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

ابن هشام: أبو محمد جمال الدين عبد الملك، (بدون تاريخ)، السيرة النبوية، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

مشكلات تعليمية من زاوية النظر القرآني

د. عبد الكريم عبد الواحد أحمد عبد الله الأهدل
دكتوراه في الإدارة والتخطيط التربوي
أستاذ مساعد

الجامعة الحديثة للعلوم والتكنولوجيا - تعز
الجامعة اليمنية - فرع تعز
alahdal0556@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الأهدل، عبد الكريم عبد الواحد، مشكلات تعليمية من زاوية النظر القرآني، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 118-79.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0194>

الملخص:

هدف البحث إلى معرفة مشكلات الأمة التعليمية، من زاوية النظر القرآني، ودور القرآن الكريم في معالجة هذه المشكلات وتقديم الحلول المناسبة، كون التعليم أحد أهم الركائز الأساسية لتحقيق التطور والرفي في المجتمعات، غير أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات عديدة في هذا المجال.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي، وكيف يقدم القرآن الكريم رؤية شاملة لمعالجة هذه المشكلات التعليمية، من خلال التركيز على قيمة العلم وأهميته في تحقيق نهضة الأمة وتطورها، وتوصل الباحث إلى النتائج الآتية:

أن القرآن الكريم يقدم نموذجاً متكاملًا يمكن الاستفادة منه في حل مشكلات الأمة المعاصرة ومشكلات الأمة التعليمية. وضرورة إقامة مؤسسات تعليمية تركز على القيم القرآنية، وتشجيع التعليم المستمر، وتطوير المعرفة، بما يسهم في حل مشكلات الأمة المعاصرة ومشكلاتها التعليمية، وبما يدعم نهضة الأمة الإسلامية. وتعزيز الدافعية للتعلم والبحوث القرآنية في المجال التربوي والدراسات القرآنية المتخصصة في التعليم وتوظيفها بشكل أفضل لتطوير البرامج والسياسات التعليمية. وإنشاء لجان خاصة لتطوير التعليم القرآني، ويجب أن تكون هناك لجان من الأكاديميين والباحثين في الشريعة والتربية لوضع خطط تطوير التعليم في ضوء الرؤية القرآنية. وإدخال وتصميم برامج تعليمية تركز على القيم القرآنية المهمة، وترسيخها في العملية التعليمية. ثم إنشاء مراكز بحثية متخصصة لتطوير الدراسات حول التعليم من منظور قرآني ووضع حلول عملية لمشكلات التعليم المعاصرة. وتعزيز التعاون بين الدول الإسلامية وبين المؤسسات التعليمية في الدول الإسلامية، لتبادل الخبرات وتطوير المناهج والبرامج بشكل مشترك. وأخيرًا إقامة ندوات ودورات تدريبية لتثقيف المعلمين حول التوجيهات القرآنية في مجال التعليم، وكيفية تطبيقها في المناهج التعليمية.

الكلمات المفتاحية: مشكلات - تعليمية - زاوية النظر القرآني.

Educational Problems from a Quranic Perspective**Dr. Abdul Karim Abdul Wahid Ahmed Abdullah Al-Ahdal**

PhD in Educational Administration and Planning

Assistant Professor

Modern University for Science and Technology - Taiz

University of Yemen - Taiz Branch

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al-Ahdal, Abdul Karim Abdul Wahid, Educational Problems from a Quranic Perspective , Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:79-118.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0194>.

Abstract:

The aim of this research is to understand the nation's educational problems from a Quranic perspective, and the role of Holy Quran in addressing these problems and providing appropriate solutions, given that education is one of the most important pillars for achieving development and advancement in societies. However, the Islamic nation faces numerous challenges in this area.

The researcher used the descriptive, analytical, and deductive approach, and how Holy Quran provides a comprehensive vision for addressing these educational problems, by focusing on the value of knowledge and its importance in achieving the nation's renaissance and development. The researcher reached the following results:

Holy Qur'an presents a comprehensive model that can be utilized to solve the nation's contemporary and educational problems. And The necessity of establishing educational institutions that focus on Qur'anic values, encouraging continuous learning, and developing knowledge, thus contributing to solving the nation's contemporary and educational problems and supporting the renaissance of the Islamic nation. And Enhancing motivation for Qur'anic learning and research in the educational field, and specializing in Qur'anic studies in education,

and utilizing them more effectively to develop educational programs and policies. Then Establishing special committees to develop Qur'anic education. These committees should include academics and researchers in Sharia and education to develop educational development plans in light of Qur'anic vision.

Introducing and designing educational programs that focus on important Qur'anic values and instilling them in the educational process. And Establishing specialized research centers to develop studies on education from a Qur'anic perspective and to develop practical solutions to contemporary educational problems.

Enhancing cooperation between Islamic countries and educational institutions in Islamic countries to exchange expertise and jointly develop curricula and programs. Finally, Holding seminars and training courses to educate teachers about Quranic guidance in the field of education and how to apply it in educational curricula.

Keywords: Educational problems - Quranic perspective.

المقدمة:

يعد التعليم من أهم الركائز التي تقوم عليها المجتمعات، فهو السبيل لتحقيق التنمية والازدهار وبناء الأفراد القادرين لقيادة المستقبل، كما يعد التعليم أحد أهم الركائز الأساسية لتحقيق التطور والرفي في المجتمعات.

ومع التطور السريع في مختلف المجالات، ازدادت التحديات التي تواجه العملية التعليمية، حيث ظهرت مشكلات تعيق تحقيق أهداف التعليم وتحد من قدرته على تلبية احتياجات الأجيال، وبرزت تلك المشكلات مع التقدم التكنولوجي الهائل في جميع المجالات، والذي جعل من الأنظمة التعليمية غير قادرة على التكيف مع تلك المتغيرات المعاصرة، فضلاً عما تعانيه في مختلف المجالات.

والقرآن الكريم ينظر إلى التربية والتعليم بأن لها مكانة عظيمة، ويُعتبران من أدوات بناء المجتمع وتهذيب النفوس، وقد ظهرت مشكلات تعليمية عديدة نظراً لعدم اهتمام الأمة بالقرآن الكريم وما تضمنه من حلول لكثير من المشكلات المعاصرة.

فالقرآن الكريم لم يكن كتاباً سماوياً فحسب، بل جاء ليكون منهج حياة متكاملًا، يرشد الإنسان نحو العلم والمعرفة ويضع القيم التي تحكم سلوكه وعلاقاته. فأياته الكريمة تضع الأسس التي يمكن من خلالها بناء نظام تربوي يسهم في حل مشكلات الأمة المعاصرة ومشكلات الأمة التعليمية على وجه الخصوص.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى النظر في هذه المشكلات التعليمية المتعددة والتي لم يُراعَ فيها المنهج التربوي القرآني في العملية التعليمية، ومعرفة تلك التحديات من منظور قرآني، وكيف يمكن استخدام المنهج التربوي القرآني لتوجيه العملية التعليمية وحل مشكلات الأمة التعليمية.

مشكلة البحث:

رغم الجهود الكبيرة التي تبذل لتطوير التعليم في المجتمعات الإسلامية، تظل هناك العديد من المشكلات التعليمية التي تؤثر سلباً على تحقيق أهداف العملية التعليمية في ظل التحديات المعاصرة التي تواجهها الأمة والأنظمة التعليمية. ومن زاوية أخرى نجد أن القرآن الكريم وضع أسساً تربوية ومبادئ أخلاقية تعزز من قيمة العلم والسعي وراءه، وتحض على التعلم والإبداع بما يخدم الفرد والمجتمع.

ومن هنا فإن دراسة مشكلات الأمة التعليمية من زاوية النظر القرآني قد توفر حلولاً تربوية تستند إلى رؤية قرآنية، تسهم في بناء جيل واعٍ ومسؤول. حيث تتزايد الحاجة إلى الرؤية والنظرة القرآنية التي يمكن أن تساهم في تطوير التعليم وحل مشكلاته من منظور شامل ومتكامل.

وفي ضوء ما سبق تبلور مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

ما مشكلات الأمة التعليمية من زاوية النظر القرآني؟

ويتفرع من التساؤل الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

- 1- ما أبرز مشكلات الأمة التعليمية من منظور قرآني؟
- 2- كيف يمكن تفسير أسباب هذه المشكلات اعتماداً على المفاهيم والرؤية القرآنية؟

3- ما القيم التربوية والتعليمية التي يطرحها القرآن الكريم والتي يمكن أن تساهم في حل مشكلات الأمة التعليمية المعاصرة؟

4- كيف يمكن تطبيق الرؤية القرآنية في سياق المعالجات التربوية الحديثة لتحقيق تعليم أكثر فعالية وتوازن؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- تحديد أبرز مشكلات الأمة التعليمية من منظور قرآني.
- 2- تحليل وتفسير أسباب هذه المشكلات اعتماداً على المفاهيم والرؤية القرآنية.
- 3- التعرف على القيم التربوية والتعليمية التي يطرحها القرآن الكريم والتي يمكن أن تساهم في حل مشكلات الأمة التعليمية المعاصرة.
- 4- التعرف على مدى تطبيق الرؤية القرآنية في سياق المعالجات التربوية الحديثة لتحقيق تعليم أكثر فعالية وتوازن.

أهمية البحث:

1. الأهمية النظرية:

يضيف هذا البحث بُعداً جديداً لدراسة المشكلات التعليمية من خلال الربط بين العلم والدين، وتحديدًا من خلال الرؤية القرآنية، وسيسهم البحث في إثراء المجال التربوي من خلال تقديم إطار نظري إسلامي لمعالجة التحديات التعليمية، والذي يعد قيمة مضافة لدراسات التعليم من منظور قرآني.

كما سيقدم نموذجاً لتكامل التربية والتعليم مع القيم القرآنية، مما يساعد في تطوير نظريات تربوية جديدة تعتمد على النظرة القرآنية للحياة بشكل عام وللعملية التعليمية على وجه الخصوص.

2. الأهمية التطبيقية:

يوفر البحث حلولاً عملية للمشكلات التعليمية، تستند إلى قيم تربوية قرآنية، قابلة

للتطبيق في مؤسسات التعليم. كما يمكن أن يستفيد القائمون على العملية التعليمية في الجهات المعنية المربون والمعلمون في تصميم برامج تعليمية تدمج الرؤية القرآنية للتعليم التي تضمنها القرآن مع المناهج التعليمية.

وسيسهم في تعزيز دافعية الطلاب نحو التعلم وتحسين سلوكهم الأخلاقي والعلمي، من خلال تبني القيم القرآنية كمرجعية في التعليم.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي من خلال استقراء الآيات القرآنية المتعلقة بالعلم والتعليم، وكذلك على المنهج التحليلي لتحليل هذه الآيات واستنباط القيم والرؤية التربوية التي يمكن تطبيقها.

حدود البحث:

تمثل الحدود الموضوعية والمكانية والزمانية في الآتي:

1- الحدود الموضوعية: يركز البحث على دراسة المشكلات التعليمية فقط دون التطرق إلى الجوانب الأخرى من مشكلات الأمة.

2- الحدود المكانية: يغطي البحث الواقع التعليمي للأمة الإسلامية بشكل عام.

3- الحدود الزمانية: يتناول البحث المشكلات التعليمية المعاصرة في ظل الواقع الحالي للأمة الإسلامية.

مصطلحات البحث:

1- القرآن الكريم:

هو كلام الله، المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، فـ (الكلام) جنس في التعريف، يشمل كلام كل كلام، وإضافته إلى (الله) يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة، والمنزل: يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه، ويتقيد المنزل بكونه على محمد يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالطورا والانجيل وغيرهما، والمتعبد بتلاوته يخرج قراءات الآحاد والأحاديث القدسية (القطان، 1411هـ، 1991، 16).

2-المشكلات التعليمية:

المشكلات التعليمية هي: تلك المعوقات والسلبات التي تؤثر على مدخلات العملية التعليمية، مما يعوق سيرها وتقدمها وتحول دون تحقيق أهدافها المنشودة بنجاح (عبد القادر، 2001، 210).

ويعرف الباحث المشكلات التعليمية إجرائيًا: التحديات والعقبات التي تعترض العملية التعليمية في العالم الإسلامي، سواءً من حيث المناهج أو المعلمين أو الطلاب.

3-منظور قرآني:

يعرف الباحث النظر القرآني بأنه: المفاهيم والرؤية والمبادئ للمنهج التربوي الذي يطرحه القرآن الكريم لمعالجة مشكلات الأمة المعاصرة، بمن فيها مشكلات الأمة التعليمية.

ويعرف الباحث المنظور القرآني إجرائيًا: هي تلك الاستنباطات للمشاكل التربوية والتعليمية، وفق المنهج التربوي القرآني.

الدراسات السابقة:

1-دراسة الكبيسي (2018) بعنوان: المنهج القرآني في علاج المشكلات التربوية للأبناء من خلال سورة يوسف.

هدفت الدراسة إلى معرفة المنهج القرآني في علاج مشكلات الأبناء التربوية من خلال سورة يوسف، ومعرفة المشكلات التربوية التي تضمنتها السورة، ومعالم المنهج القرآني في علاج تلك المشكلات، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: أن السورة تضمنت حلولاً للمشكلات التربوية، كما أنها تضمنت معالم المنهج القرآني في علاج تلك المشكلات، وأن المشكلات التربوية المذكورة في السورة والتي وقع فيها إخوة سيدنا يوسف هي: الغيرة والكذب والتفكير التبريري والتواطؤ على الخطأ والعنف، وكل هذه المشكلات قد وضع لها القرآن حلولاً مناسبة.

2-دراسة الشملان (2016)، بعنوان أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب.

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب، حيث تناول أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات، كمعالجة مشكلة (الغضب - الكذب - السلوك العدواني)، ودور هذه المؤسسات في تفعيل أثر القرآن الكريم في معالجة هذه المشكلات، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها: عمومية أثر القرآن الكريم للأنس والجن والمسلم وغير المسلم. وضرورة تكثيف تدريس القرآن الكريم في المناهج الدراسية، بما يكفل تنمية الاتجاهات الطيبة. وتقويم السلوك وغرس المفاهيم الحسنة لدى الطلاب. وضرورة الإعداد المتقدم للقائمين على العملية التربوية على أساليب وطرائق وأدوات تعليم القرآن الكريم وتوظيفها في عمليات الإصلاح التربوي، وكذلك ضرورة متابعة إعداد الدراسات الميدانية المتخصصة التي تبرز آثار القرآن الكريم الشاملة: تلاوة وحفظاً وتدبراً في مختلف مراحل النمو (الطفولة - والمراهقة - والبلوغ - والعقل).

3-دراسة لخروطي (2016) مشكلات النظام التعليمي وأساليب علاجها من الهدي التربوي القرآني.

هدف البحث إلى التعرف على مشكلات النظام التعليمي وأساليب علاجها من الهدي التربوي القرآني، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج وهي: أن للقرآن الكريم نظرية تربوية كاملة متكاملة كونه كتاب هداية وإرشاد بالدرجة الأولى، موجّهاً إلى الناس كافة، يريد إصلاح حالهم ومآلهم، ويخاطب كل الفئات العمرية ولا يختص بجنس بعينه أو نوع اجتماعي خاص إنما خطابه للناس كافة بمختلف مشاربهم واتجاهاتهم وانتماءاتهم، فيه حديث إلى المسلم وحديث أخص منه إلى المؤمن وحديث آخر إلى الكافر، وحديث إلى النساء وآخر للرجال، وحديث إلى الفقير وإلى الغني، وحديث إلى الصغير وآخر إلى الكبير.

4-دراسة أبو زيد (2016) بعنوان حب المعاملات في سورة الحجرات وأثره في حل مشكلات التعلم والتعليم المعاصرة.

هدف البحث إلى التعرف على أدب المعاملات في سورة الحجرات وأثره في حل مشكلات التعلم والتعليم المعاصرة، وتوصل البحث إلى نتائج، منها: ضرورة ربط المعلم

والمتعلم بكتاب الله تعالى في كل مراحل التعليم اعتقادًا وقولًا وعملاً ، وأن يكون القرآن الكريم والسنة الشريفة هما مصدر تشريعاتنا ومعاملاتنا، وضرورة تفعيل العلمي لأدب المعاملات في القرآن الكريم، والسنة النبوية لاستنباط الأسس الثابتة منها حل مشكلات التعلم والتعليم المعاصرة، والقضاء على أسباب التصدع والشتات، والتفتت، والانفلات الذي تنم منه الأمة العربية والإسلامية.

هيكل البحث (الإطار النظري)

المبحث الأول: العلم والتعليم في القرآن الكريم

واشتمل على الآتي:

- المقدمة.
- مفهوم القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً.
- دور التعليم في بناء الإنسان في ضوء القرآن.
- إشارة القرآن الكريم للتعليم.
- خصائص المنهج التربوي القرآني.

المبحث الثاني: تصنيف المشكلات التعليمية

اشتمل على الآتي:

- مفهوم المشكلات التعليمية:
- المشكلات التعليمية والتربوية:
- أنواع المشكلات التعليمية والتربوية:
- مشكلات تربوية:

المبحث الثالث: المشكلات التعليمية ووضعها الحالي والرؤية القرآنية للحل،

واشتمل المبحث على عدد (25) مشكلة من المشكلات التعليمية من منظور ورؤية

القرآن الكريم لها.

المبحث الأول

العلم والتعليم في القرآن الكريم

المقدمة:

يمثل العلم حجر الأساس في بناء الشخصية الإسلامية، ويحتل مكانة عظيمة في القرآن الكريم، الذي أشار إلى العلم في العديد من المواضع، داعيًا المسلمين للتعلم والتفكير. يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: 114، مما يدل على أهمية العلم وفضله وحث المؤمنين عليه.

وستتناول في هذه المبحث مفهوم القرآن الكريم لغة واصطلاحًا، ودور التعليم في بناء الإنسان، وإشارة القرآن الكريم للتعليم، وكذلك خصائص المنهج التربوي القرآني، لتوضيح كيف يمكن تطبيق هذه التعاليم في بناء نظام تعليمي يساهم في نهضة الأمة الإسلامية، وحل مشكلاتها التعليمية من زاوية النظر القرآني.

مفهوم القرآن الكريم لغةً واصطلاحًا:

1- لغة:

القرآن في اللغة على قولين: الأول: أن القرآن اسمٌ عَلِمَ على كتابِ الله ليس مشتقًا، والثاني: أنه مشتقٌ من فعلٍ مَهْمُوزٍ؛ وهو: "قرأ، اقرأ"، وَيَعْنِي: تفهَّم، تفقَّه، تدبَّر، تعلَّم، تتبَّع (الفيروز آبادي، 2005، 1245).

2- اصطلاحًا:

يعرفه (سويد، 2009، 12) بأنه: هو كلام الله تعالى المعجز، المنزل على قلب نبينا محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المكتوب بن الدفتين، المنقول إلينا بالتواتر، المتحدى بأقصر سورة منه.

دور التعليم في بناء الإنسان في ضوء القرآن:

ينظر القرآن إلى التعليم كوسيلة لتطوير الإنسان وتحقيق غايته كخليفة في الأرض. فقد حث القرآن الكريم على

تحصيل العلم والمعرفة لفهم الذات والكون، حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَي قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ ﴿٢٤﴾ محمد: 24. يظهر من هذا أن التعليم والتدبر من الأدوات الأساسية التي يجب أن يستند إليها بناء الفرد والمجتمع.

إشارة القرآن الكريم للتعليم:

قصة موسى والخضر عليهما السلام فيها إشارة للتعليم، وذلك من خلال الإشارة الصريحة بعبارات التعليم، من خلال صريح النموذج لعلاقة المتعلم بالمعلم حيث جاء اللفظ صريحاً بطلب العلم والتعليم بقوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ﴿٦٦﴾ الكهف: 66، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾ الكهف: 65 ﴿يَتْلَاهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ﴿٦٧﴾ المائدة: 67، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾ طه: 114، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونٍ أَمْهَطَكُم لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ النحل: 78.

خصائص المنهج التربوي القرآني:

يتميز المنهج التربوي القرآني بمجموعة من المبادئ ويتسم بجملة من الخصائص تحدد له هويته، وتبرز سموه وتفوقه على كل المناهج التربوية شكلاً ومضموناً، وهي مبادئ وخصائص القرآن نفسه ما دام أن التربية فرع من أصل، فيأخذ الفرع حكم الأصل ويندرج ضمنه ويصطبغ بصبغته ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَّغَهُ﴾ ﴿١٣٨﴾ البقرة: 138، وفيما يلي بعض تلك المبادئ والخصائص (الخروطي، 2016، 5652-5656):

1-ربانية التشريع التربوي:

فهو مصدر ومنهج وغاية، فالله سبحانه وتعالى هو المشرع لكل التشريعات العقدية والتعبدية والأخلاقية والتربوية والإنسان صانع إلهي محض، لا يحيط بحقيقته وكنهه إحاطة

مستغرقة لكل التفاصيل ودقائق الأمور، ولا يدرك ما به تحصيل سعادته ومصلحته، وما به درء المفاسد عنه على جهة التمام والكمال إلا صانعه وخالقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١١) الملك: 14.

وهذا يجعل المنهج التربوي القرآني في مقابل كل المناهج التربوية الأخرى، والفرق بينها كالفرق بين الخالق والمخلوق.

2- الشمول:

فهو منهج شامل، ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٣٨) الأنعام: ٣٨، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٨٩) النحل: 89، سواءً تعلق الأمر بشيء ذي طبيعة تربوية أو غيرها. ومن جهة أخرى يراعي التشريع التربوي القرآني كل مكونات الإنسان روحاً وعقلاً وجسداً، ويهتم به في بعديه الفردي والاجتماعي، الداخلي والخارجي.

3- التكامل والتوازن:

التكامل يؤمن بحق جميع المكونات في التواجد، والتوازن ينظم تلك المكونات فيعطي كل ذي حق حقه بحسب أهميته، ولا يقدم ما حقه التأخير، ولا يطغى ما حقه الانحسار. وهو ملح تربوي له علاقة وطيدة بفقهاء الأولويات، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (٧٧) القصص: 77، فالتربية لها غايات دنيوية وأخرى أخروية، ولا سبيل لإلغاء أحدهما أو كليهما، بيد أن الأولوية للغايات الأخروية.

4- الانسجام بين القول والعمل النظرية والتطبيق:

إذ المنهج التربوي القرآني ليس مجرد أفكار وتصورات ورؤى تربوية مرتفعة عن الواقع، وإنما هو سلوكات عملية وتنزيل واقعي وتفعيل حي، وهذا ينسجم مع مبادئ الإسلام التي تحث على ترجمة العلم إلى عمل.

5- المسؤولية والفاعلية:

التربية تدخل في إطار مسؤولية الدعوة وواجب النصيحة المنوطين بكل مسلم ومسلمة

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧) هود: 117، فمن المنجيات من هلاك الله تعالى الإصلاح وليس فقط الصلاح لأن المسلم ينبغي أن يكون صالحاً في نفسه مصلحاً مرشداً لغيره، والتربية مجال خصب للقيام بواجب الدعوة والنصيحة والإرشاد والتوجيه والهداية إلى الحق.

6- العلمية والسننية والحكمة والواقعية:

المقصود بالعلمية إخضاع العملية التربوية لمبادئ العلم وقوانينه، وبالسننية أخذ السنن الكونية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بعين الاعتبار لترشيد الفعل التربوي بعيداً عن العشوائية والارتجال والضبابية في التصور والعبثية في التطبيق. والحكمة السداد في التخطيط والتنفيذ، والواقعية تقتضي مراعاة معطيات الواقع وظروف المرحلة وحسن التنزيل وفقه التدرج. إذاً فالمنهج التربوي القرآني، كان وما يزال يتميز بجملة من الخصائص والمميزات التي تميزه على المناهج التربوية الأخرى، وكذلك المناهج التربوية الوضعية، كونه منهج مستمد من الخالق سبحانه وتعالى، فهو الذي يضمن سلامة هذا المنهج التربوي.

المبحث الثاني

تصنيف المشكلات التعليمية

تتزايد التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة والأنظمة التعليمية فيها، ومعها تتزايد الحاجة إلى تحليل وتحديد هذه المشكلات التعليمية، والتي تضمنها القرآن وتضمن معها الحلول الناجعة لها، فالقرآن الكريم يقدم رؤية تربوية تعليمية ودراسة هذه المشكلات من زاوية النظر القرآني توفر حلولاً تربوية تستند إلى مبادئ أخلاقية وإنسانية، تسهم في بناء جيل واع ومسؤول.

وفي هذا المبحث نستعرض مفهوم المشكلات التعليمية، وتصنيف المشكلات التعليمية والتربوية، والمشكلات التربوية المعاصرة.

مفهوم المشكلات التعليمية:

تعرف المشكلات التعليمية بأنها: عبارة عن وضع أو موقف تواجه الأمة والعملية التعليمية داخل المؤسسات التعليمية، أو خارج المؤسسة التعليمية وتصنف ضمن المشكلات التعليمية التي تواجه العملية التعليمية في العصر الحالي (عبد، 2001، 56).

وتعرف (آل مكي، 2011، 7) المشكلات التعليمية، بأنها: المعوقات والعقبات التي تواجه الأمة والتي تحول دون تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية، وتتطلب جهوداً كبيرة وحثيثة في الحد ومن هذه المشكلات التعليمية.

المشكلات التعليمية والتربوية:

تتنوع وتعدد المشكلات التعليمية التي تعاني منها الأمة، وتختلف باختلاف وتنوع المجتمع، وهذه المشكلات كثيرة، سواء مشكلات داخلية أو مشكلات خارجية، أو مشكلات تخص النظام التعليمي ككل أو مشكلات سلوكية تخص الطلبة، أو مشكلات تخص المعلمين، ويمكن تقسيم هذه المشكلات إلى الآتي (اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، 2007، 50):

1- المشكلات الخارجية:

تتعد المشكلات الخارجية وتفرض نفسها على الواقع التربوي والتعليمي العربي، وهذه

المشكلات كثيرة ومتنوعة منها:

- أ. العولمة: وهو رهان القدرة التنافسية الذي فرضته العولمة بشتى المجالات.
- ب. التقدم التقني والانفجار المعلوماتي الذي أتاح المعرفة للجمع.
- ج. تعدد وسائط نقل المعلومات وانتشارها، وإتاحة وصول المعلومات لأكبر عدد من البشر.
- د. تعدد مصادر المعرفة الذي وفرته وسائط نقل المعلومات والاتصال والتي ستحول أنماط التمدرس التقليدية وكيفية التعامل مع المعلومات.
- هـ. التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، والذي يتطلب توفر النت وبعض التقنيات المهمة لنقل الدروس والمحاضرات التفاعلية.
- و. تداخل العلم مع التقنية.

2- المشكلات الداخلية:

هناك عدة مشكلات وتحديات داخلية تواجه العملية التعليمية، نابعة من أداء المؤسسة التعليمية ذاتها، ومن البيئة التي تعمل في إطارها والتحولات التعليمية في علاقة الفرد بالمجتمع وسلوكيات الطلب تداخل العملية التعليمية، فمن هذه المشكلات، هي:

- أ- مشكلات سلوكية للطلبة.
 - ب- مشكلات تخص النظام التعليمي والعملية التعليمية.
 - ج- مشكلات تخص الإدارة في العملة التعليمية.
- وقد حدد (محمد، وعيسى، 2011، 273-274) ثلاث فئات من المشكلات، وهي مشكلات الترتيب، مشكلات استقراء البنية، ومشكلات النقل أو التحويل، وهي كما يأتي:
- أ- مشكلات الترتيب: يتم من خلالها تقديم بعض الأشياء بترتيب عشوائي، ويتم حلها عن طريق إعادة ترتيبها وفق شروط معينة بحيث تحقق معياراً معيناً.
 - ب- مشكلات استقراء البنية: يتم في هذا النوع عرض بعض الأشياء، ويتطلب حلها واكتشاف العلاقة بينها من خلال المقارنة.

ج- مشكلات النقل أو التحويل: يتضمن هذا النوع من المشكلات حالة ابتدائية وحالة هدفية وسلسلة من العمليات المطلوبة لنقل الحالة الابتدائية إلى الحالة الهدفية.

أنواع المشكلات التعليمية والتربوية:

ويشير (سرحان، 2023) إلى أن هناك العديد من المشكلات والمعوقات التي تعترض العملية التعليمية والتربوية، وهذه المشكلات هي:

1- مشكلات تتعلق بالمتعلم:

هذه المشكلات على النحو الآتي:

- أ- تدني الرغبة والدافعية لدى المتعلم نحو عملية التعلم.
- ب- تدني مستوى التحصيل العلمي لدى المتعلم.
- ج- تزايد أعداد المتعلمين داخل الغرفة الصفية.
- د- التنوع البيئي والثقافي للمتعلمين داخل الغرفة الصفية وهو ما يخلق نوعاً من عدم التكافؤ بينهم في بعض الأحيان

2- مشكلات تتعلق بالمعلم:

هذه المشكلات على النحو الآتي:

- أ- ضعف الأجور المادية للمعلمين.
- ب- تحميل المعلم العديد من الأعباء التربوية والوظيفية، كزيادة النصاب الأسبوعي من الحصص عن المتعارف عليه.
- ج- عدم مواكبة بعض المعلمين للتطورات العلمية والتكنولوجية في مجال التعليم، والاكتماء بالطرق التقليدية.
- د- إهمال بعض المعلمين للتطوير الدائم لأدائهم عبر الالتحاق بالدورات والبرامج التدريبية.
- هـ- عدم تقبل فكرة التغيير والابتكار والإبداع في النظام التعليمي والتربوي.

و- تدني دافعية بعض المعلمين تجاههم مهنتهم.

3-مشكلات تتعلق بالمنهاج الدراسي:

هذه المشكلات هي على النحو الآتي:

1- تكرار بعض المواضيع الدراسية في الكثير من المراحل التعليمية بشكل سلبي وغير مفيد.

2- غياب العلاقة بين ما يطرح في المقررات الدراسية والواقع الفعلي للمتعلمين.

3- عدم مواكبة المناهج الدراسية للكثير من المتغيرات العلمية والتكنولوجية.

4- عدم تركيز المناهج الدراسية على إكساب الطلبة المهارات اللازمة لسوق العمل.

4-مشكلات تتعلق بالبيئة المدرسية:

هذه المشكلات هي على النحو الآتي:

أ- تدني القدرة المالية للعديد من المؤسسات التربوية.

ب- تهالك البنية التحتية للمدارس والجامعات بفعل التقادم الزمني.

ج- خلو الكثير من المؤسسات التربوية من المرافق الهامة كالصالات الرياضية المجهزة والمسارح وغرف الأنشطة وخلافه.

د- انعدام الوسائل الترفيهية في الكثير من المدارس.

مشكلات تربوية:

إن تقييم مخرجات المؤسسات التربوية المختلفة وثيق الصلة بطبيعة المدخلات، وكلما كانت المدخلات أقوم وأعدل كانت المخرجات والنتائج مرضية وإيجابية. ومع تعدد الفاعلين والشركاء في مجال التربية فإن من بين المؤسسات الأكثر تأثيراً في بناء الإنسان وتوجيه الأجيال هي المدرسة والمؤسسات التعليمية باعتبارها الحاضنات بعد الأسرة لتنشئة الأطفال، والمؤسسات التعليمية تستقبل معظم الأطفال والشباب في إطار تعليم نظامي منظم، بيد أن هذه المؤسسات تعاني مشكلات تربوية عويصة تستدعي التفكير ملياً في حلول فعالة، ومن هذه المشكلات، هي (خروطي، 2016، 5658 - 5660):

1- المرجعية ومصادر الاستمداد: فالنظام التعليمي في مجمل العالم الإسلامي له مدخلات غربية وغربية عن روحه وبيئته، إذ يعتمد بشكل لافت على الاستيراد، وأخطر ما يهدد بناء الإنسان بطريقة أصيلة ويقتلعه من جذوره هو استيراد الأفكار والرؤى التربوية، والقرآن الكريم يحذرننا من التقليد الأعمى.

2- عزل التربية عن باقي مكونات الدين وخاصة العقيدة واستقلالها عنها: وهو فصل تعسفي بعيد عن التصور القرآني الذي يجعل العقيدة البوصلة الموجهة لكل المجالات بما في ذلك المجال التربوي. هذا الفصل يفقد التربية هويتها الإسلامية وصبغتها القرآنية، ويؤدي إلى تغريبها عن بيئتها الحاضنة.

3- ممارسة التعليم من أجل لقمة العيش وليس كرسالة: حيث يعاني نظامنا التربوي من خلل على مستوى النموذج البشري القيادي فالتعليم أضحي مهنة تمارس من أجل لقمة العيش غاب عنه بعده الرسالي وقيمه الحضارية ووظيفته الدينية كونه مسؤولية ورعاية محاسب عليها الإنسان، بل إنه أسمى المسؤوليات وأفضل المرعيات. فالمعلم القدوة ينبغي أن يجمع بين السمو القيمي والكفاءة المهنية، وينهل من معين المعلم الأول رسول البشرية جمعاء عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

4- الاهتمام بالجانب المعرفي على حساب الجوانب الأخرى: فمناهجنا التعليمية يهيمن عليها الاهتمام بالجانب المعرفي على حساب الجوانب الأخرى من إهمال ملحوظ للتربية العقدية والتربية على القيم الإسلامية النبيلة والتي هذ غذاء الروح.

5- اغفال التربية المهارية والعملية: هناك قصور واضح في هذا المجال، حيث أن هناك ضعف في تحديد أهداف وتقوم على الجوانب المهارية والعملية والمحتوى الدراسي أو المقررات في المقررات العملية، فضلا عن المقررات النظرية، وهذا يتطلب التركيز على النظر القرآني في اهتمامه بالجانب العملي والسلوكي.

إذاً كانت هذه هي المشكلات التربوية، وهي مشكلات متعددة، مشكلات خاصة بالنظام التعليمي، وهناك مشكلات في الإدارة التعليمية ومشكلات تخص المحتوى التعليمي،

ومشكلات تخص الطلبة، وهي بحاجة إلى حلول وفق النظرة القرآنية. ويرى الباحث أنه لا بد من الوقوف وقفة جادة في موضوع التعليم، وأنه لا بد من تحديد مشكلات النظام التعليمي العربي، وتشخيصه بدقة، ووضع المعالجات المناسبة وفق الرؤية القرآنية، لأن القرآن الكريم كتاب سماوي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا يتطلب إيجاد لجان متخصصة في هذا المجال.

المبحث الثالث

المشكلات التعليمية ووضعها الحالي والرؤية القرآنية للحل

يزخر القرآن الكريم بكثير من الحلول لمشكلات الأمة المعاصرة ومشكلاتها التعليمية والتحديات التي تواجهها على مر العصور، غير أن مشكلات الأمة الإسلامية المعاصرة تتعدد وتشمل عدة جوانب اجتماعية، اقتصادية، سياسية وتعليمية. والقرآن الكريم اهتم على وجه الخصوص بذكر المشكلات التعليمية تحديداً، حيث يمكن دراسة ذلك من منظور القرآن نفسه، حيث قدم القرآن الكريم توجيهات شاملة يمكن الاستفادة منها لمعالجة هذه التحديات والمشكلات وكيف عالجها القرآن الكريم بأسلوب فريد.

وسيورد الباحث هذه المشكلات التي ترتبط بمجالات المشكلات التعليمية، حيث تتعدد المشكلات بحسب طبيعة هيكل النظام التعليمي، والتي أشار الباحث إليها في المبحث الثاني (المشكلات التعليمية) وهذه المشكلات التي سيعرضها الباحث هنا هي خلاصة العصف الذهني من زاوية النظر القرآني ورؤية القرآن لحلها، وهي مشكلات قد تضمنها القرآن الكريم ووضع لها حلولاً وتربوية ناجعة وهذه المشكلات، هي:

1- قصور في التوجه نحو التعليم المستمر وتحديث المعرفة:

المشكلة:

يواجه التعليم قصور في التوجه نحو التعليم المستمر وتحديث المعرفة، بما يتواءم مع متطلبات العصر.

الوضع الحالي:

تقادم المعرفة والأهداف والفلسفات التربوية في بعض الدول الإسلامية، وكذلك تقادم الوسائل والاليات في التوجه نحو التعلم المستمر وتحديث المعرفة، مما يحد من قدرة الأفراد على التعامل مع التغيرات.

الرؤية القرآنية للحل:

أشار القرآن إلى أهمية تطوير الذات والتعلم المستمر كجزء من عملية الإصلاح الذاتي

والاجتماعي، حيث قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ﴾ (١١) (المجادلة: 11)، وهو ما يعكس ضرورة مواصلة التعلم، والتوجيه نحو التعليم المستمر وتحديث المعرفة بما يتطلبه العصر الحديث.

2- انحسار القيم لتعزيز التعليم:

المشكلة:

انحسار في القيم الأخلاقية وانعدام التوجيه لتعزيز حب التعليم والتعلم في نفوس الطلبة والتلاميذ، والالتزام بالقيم والأخلاق الإسلامية والتحلي بها.

الوضع الحالي:

ضعف التركيز على القيم الأخلاقية والقواعد الإيمانية في المناهج التعليمية، والمحتوى والمقررات الدراسية، وقلة تضمنها لتلك القيم التي ينبغي التمسك بها، مما أدى إلى نشوء جيل يفتقر إلى التهذيب الذاتي والإيمان بالمسؤولية الاجتماعية.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يؤكد على أهمية تهذيب النفس وتركيتها، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١﴾ الشمس: 9، والذي يجب إدراج القيم الأخلاقية كعنصر أساسي في المناهج، وتعزيز روح التقوى والأخلاق.

ويعتمد التعليم في الإسلام على مجموعة من القيم التي تُعزز في النفس الإنسانية، مثل: غض البصر، والصبر، والاحترام، والإخلاص، والاجتهاد، وجميعها مذكورة في القرآن. على سبيل المثال، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوُا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ﴾ الأعراف: 85، وهو ما يشير إلى قيمة الأمانة والإخلاص، خاصة في التعليم، حيث يجب أن يتم بتفانٍ وإخلاص لنقل المعرفة بصورة عادلة.

3- قلة الابتكار والتفكير العلمي:

المشكلة:

انعدام الابتكار وتسجيل براءات الاختراع والتفكير العلمي، والنظر في ملكوت الله، واستخدام العقل والتأمل.

الوضع الحالي:

ضعف في وجود محتوى ومقررات تشجع الابتكار والتفكير العلمي، والنظر في ملكوت الله، واستخدام العقل والتأمل، وتنشيط العقول للاختراعات.

الرؤية القرآنية للحل:

حث القرآن على الابتكار والتفكير في ملكوت الله، وهو ما ينسجم مع متطلبات التعليم الحديث. يشير القرآن إلى ضرورة استخدام العقل والتأمل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ آل عمران: 191، هذه التوجيهات تؤكد على ضرورة تفعيل ملكات التفكير النقدي والإبداعي في المناهج التعليمية.

4- قلة التوازن بين العلوم الشرعية والدينية:

المشكلة:

ضعف التوازن بين العلوم الشرعية والدينية، والعمل على إيجاد علوم لها علاقة بحياة الناس واقتصادهم ومعيشتهم.

الوضع الحالي:

قلة وجود محتوى ومقررات متوازنة في جميع جوانب الحياة، فتجد بعض المقررات تغطي على بعض المقررات الأخرى، مما يحد من إيجاد توازن في تلقي العلوم وخاصة تلك العلوم التي تلامس حياة الناس.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يدعو إلى تعلم العلوم النافعة، سواء كانت شرعية أو دنيوية، فالإنسان يحتاج إلى توازن معرفي لتحقيق نهضة شاملة. وقد أشار الله تعالى إلى أهمية العلوم الدنيوية في قوله:

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ

شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴿٢٥﴾ الحديد: 25، مما يدل على أهمية استثمار الموارد والمعارف لتحقيق التقدم والازدهار.

5- ضعف الاهتمام بالتربية الأخلاقية:

المشكلة:

يواجه التعليم ضعفًا في تعزيز القيم الأخلاقية والإيمانية، حيث تركز المناهج على الجوانب المعرفية والمهارات العملية مع إهمال التربية الروحية والأخلاقية.

الوضع الحالي:

الطلاب يتلقون تعليمًا أكاديميًا مكثفًا، لكن يلاحظ انحدار في السلوك الأخلاقي وضعف الوازع الديني، مما يؤدي إلى تفاقم المشكلات كـ (الغش - التنمر - وقلة احترام المعلم)، وغيرها من المشكلات التي قد تظهر نتيجة هذه المشكلة.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن الكريم يدعو إلى الجمع بين التعليم والتربية الأخلاقية، كما في قوله تعالى: ﴿وَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الجمعة: 2، ويكمن ذلك في إدماج القيم القرآنية والأخلاقية في المناهج التعليمية وتربية الطلاب على المسؤولية واحترام الآخرين.

6- التفريق بين التعليم الديني والبحث العلمي:

المشكلة:

هناك انقسام بين التعليم الديني والبحث العلمي، حيث يتم التعامل معهما كمسارين منفصلين بدلاً من أن يكمل أحدهما الآخر.

الوضع الحالي:

التعليم الديني يقتصر على علوم الشريعة، بينما البحث العلمي القائم على الحقيقة العلمية، يُعزل عن البُعد الإيماني، مما يضعف دور الدين في حل المشكلات الواقعية.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يحث على تكامل العلوم، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 9)، والذي ينبغي تطوير نظام تعليمي يدمج بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية لإعداد أجيال قادرة على فهم الدين وتطبيقه في الحياة العملية.

7- غياب العدل والمساواة في فرص التعليم:

المشكلة:

هناك تفاوت كبير في فرص التعليم بين الأغنياء والفقراء، وبين الذكور والإناث، مما يحرم العديد من حقهم في التعلم.

الوضع الحالي:

التعليم أصبح وسيلة للتفاضل الطبقي، حيث تتمتع الطبقات الميسورة بفرص أفضل، بينما يعاني الفقراء من نقص الموارد والبنية التحتية.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يدعو إلى المساواة والعدل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الحجرات: 13)، والحل يتمثل في توفير تعليم مجاني أو مدعوم للجميع دون تمييز وتحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع الفرص.

8- انعدام التأهيل الذاتي:

المشكلة:

إهمال المعلمين وقلة اهتمامهم بتطوير مهاراتهم وأساليبهم التدريسية، وكذلك عدم استثمار الطلاب لمواقع التواصل الاجتماعي في التعليم الذاتي، الذي وفرته تلك الوسائل بسهولة ويسر.

الوضع الحالي:

العديد من المؤسسات التعليمية تُخرج طلابًا يفتقرون إلى المهارات العملية والمعرفة التطبيقية بسبب ضعف تأهيل المعلمين وتقصيرهم في أداء واجبهم، وكذلك عدم توجيه

الطلاب نحو التعلم الذاتي من خلال استثمار مواقع التواصل الاجتماعي في التعليم والتأهيل الذاتي، وما نشهده من تطور تكنولوجي هائل، وظهور الذكاء الاصطناعي، وما وفرته تلك الوسائل بسهولة ويسر.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يحث على الإتقان في العمل، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّوكُمْ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَآكُمُ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥)، وقوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّزُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وفي حديث الرسول ﷺ، (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

ويجب التركيز على تدريب المعلمين وتحفيزهم لتقديم أفضل ما لديهم، مع غرس القيم الإيمانية فيهم ليصبحوا قدوة للطلاب، وكذلك توجيه الطلاب نحو التعلم الذاتي من خلال استثمار الذكاء الاصطناعي، ومواقع التواصل الاجتماعي.

9- الانحراف الفكري وضعف الهوية:

المشكلة:

انتشار أفكار دخيلة تتعارض مع القيم الإسلامية بسبب أن العالم أصبح قرية واحدة بظهور الإنترنت، ووجود فيها وأفكار ومقاطع تؤثر في ثقافة وسلوك الأفراد.

الوضع الحالي:

يلاحظ تزايد ضعف الانتماء إلى الهوية بين الطلاب، وابتعادهم عن القيم الدينية نتيجة غزو فكري عبر الإعلام والمناهج، مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يحث على حماية العقيدة والتربية على الثوابت الإسلامية، كما في قوله تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١٣) ﴿آل عمران: 103﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣) ﴿البقرة: ١١٣﴾

هود: 113.

والقرآن يدعو إلى مراجعة المناهج التعليمية لتتوافق مع القيم الإسلامية وتعزيز الوعي الفكري لدى الطلاب.

10- ضعف التحفيز على طلب العلم:

المشكلة:

يعاني الطلاب من قلة الحافز للتعليم، حيث أصبحت الدراسة واجباً روتينياً بدلاً من أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف سامية.

الوضع الحالي:

غياب الدافعية لدى الطلاب نتيجة غياب الدعم النفسي والروحي، وتركز التعليم على الامتحانات بدلاً من الإبداع والاستكشاف.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يدعو إلى التعلم وطلب العلم باعتباره عبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: 114، وكما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف: 66، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف: 75.

فالحل يكمن في غرس حب التعلم في نفوس الطلاب من خلال ربطه بالقيم الإيمانية، وتحفيزهم بالأهداف السامية التي تحقق رضا الله وخدمة المجتمع.

11- الأمية التكنولوجية وضعف التعليم:

المشكلة:

وجود عدد كبير من المجتمع ما زال يعاني من الأمية الأبجدية، وأضيفت إليها في العصر الحديث الأمية الرقمية والحاسوبية والتقدم الهائل في التكنولوجيا، مما يجعل الأمة متأخرة في هذا الجانب.

الوضع الحالي:

الأمية الرقمية والحاسوبية والذكاء الاصطناعي، تعد من أكبر التحديات في المجتمعات الإسلامية، إذ لا تزال مستويات التعليم متدنية في العديد من الدول الإسلامية، مما يحد من تقدم الأمة وتطورها.

الرؤية القرآنية للحل:

دعا القرآن الكريم إلى العلم والتعلم، حيث أولى الإسلام اهتمامًا خاصًا بالتعليم، وأمر بتدبر الكون وقراءة آياته في آيات كثيرة، مثل: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ العلق: 1، وكما في قوله تعالى أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝١٥﴾ الملك: 15، وكما في قوله تعالى أيضًا: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ النحل: 8، ويعزز هذا التعليم على أساس الإيمان بالله واستكشاف قوانين الكون.

12- ضعف المناهج التعليمية:

المشكلة:

عدم تحديث المناهج بشكل مستمر، بما يتناسب مع متطلبات العصر، والتطور العلمي الهائل وخاصة تلك العلوم التي جعلت من الاقتصاد يعتمد على المعرفة بالتكنولوجيا.

الوضع الحالي:

تعاني بعض الدول الإسلامية من مناهج تعليمية لا تواكب متطلبات العصر، كما أنها قد تفتقر إلى تقديم العلم بأساليب تتناسب مع روح الإسلام وتوجيهاته.

الرؤية القرآنية للحل:

يركز القرآن على التعليم الذي يقود إلى الترقية والتقوى، ويحث على الحكمة والمعرفة العلمية. وبهذا يمكن أن يشمل إصلاح المناهج تطبيق المبادئ القرآنية مثل قول الله تعالى: ﴿وَيَرْكِبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۝٢﴾ الجمعة: 2، لتشجيع الطلاب على تطوير عقولهم وأخلاقهم معًا.

13-التأثيرات الثقافية السلبية:

المشكلة:

تأثر الطلاب في بعض الدول الإسلامية بأفكار ومناهج غربية قد تكون مخالفة لقيمهم الثقافية والدينية.

الوضع الحالي:

نظرا للتقدم العلمي في مجال التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، والتواصل البشري عبر الإنترنت والفضاء المفتوح، يتأثر الطلاب في بعض الدول الإسلامية بأفكار ومناهج غربية قد تكون مخالفة لقيمهم الثقافية والدينية.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن الكريم يدعو إلى الثبات على القيم الأصيلة ويشدد على مبدأ الوسطية في التعليم والتربية، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً ۝﴾ سورة البقرة: 143، مما يدل على أهمية حماية الطلاب من التأثيرات السلبية وتعزيز هويتهم الإسلامية.

14-التحديات الاقتصادية ونقص التمويل:

المشكلة:

نقص التمويل في مجال التعليم وانعدام الفرص والاستثمار، ووجود الصراعات والحروب الداخلية في بعض الدول العربية والإسلامية.

الوضع الحالي:

يواجه قطاع التعليم في بعض الدول الإسلامية نقصاً في التمويل، مما يؤثر على جودة التعليم وبيئته.

الرؤية القرآنية للحل:

يشجع القرآن على الإنفاق في سبيل الله وعلى دعم العلم والعلماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفُسُكُمْ ۝﴾ البقرة: 272، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ

إِلَيْكُمْ ﴿٢٧١﴾، البقرة: 272، ويعني ذلك ضرورة دعم التعليم والتعلم من خلال توفير التمويل الكافي والمستدام.

15- ضعف الروح الابتكارية والبحث العلمي:

المشكلة:

وجود نقص في مجال البحث والابتكار العلمي.

الوضع الحالي:

المحتوى والمقررات الدراسية والمناهج التعليمية لا تنتج مبتكرين في جميع المجالات، ولا تؤهل الأفراد للبحث العلمي الرصين، فهناك بكثير نقص في هذا الجانب من الدول الإسلامية.

الرؤية القرآنية للحل:

يحث القرآن على البحث والاستكشاف في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ﴿٢٠﴾ سورة العنكبوت: 20، مما يشير إلى أهمية تطوير مجال البحث العلمي والابتكار بما يسهم في النهضة.

16- غياب القدوة الصالحة:

المشكلة:

غياب توجيه المناهج التعليمية للقدوات الإسلامية التي تضمنها القرآن الكريم، كالأنبياء والصحابة وغيرهم من القدوات التي يزرع الفكر الإسلامي بذكرهم، وكان لهم دور كبير في تمثيل الإسلام بأخلاقه العالية.

الوضع الحالي:

يلاحظ قلة التركيز على القدوات الصالحة من الصحابة والعلماء في كثير من المناهج التعليمية، مما يؤثر على تنشئة الطلاب.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن الكريم يؤكد

على أهمية القدوة في التعليم، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم كمعلم وقائد، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ سورة الأحزاب: 21، وهذا يؤكد على أن التعليم يجب أن يشمل تعليم القيم والأخلاق إلى جانب العلم.

17- فقدان الغاية من التعليم:

المشكلة:

التحاق الطلبة بالتعليم بنظرة مادية بحتة، والهدف من التعليم هو الحصول على الوظيفة الكسب المادي والمهني.

الوضع الحالي:

يُنظر إلى التعليم على أنه فقط لأجل الكسب المادي أو النجاح المهني، مما أفقد الطالب البعد الروحي والفكري العميق الذي يجب أن يكون في التعليم.

الرؤية القرآنية للحل:

يؤكد القرآن على أهمية السعي وراء المعرفة لغاية إعمار الأرض وخدمة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: 56، يجب أن يرتبط التعليم بهدف عبادة الله، والتعرف على الكون والخلق وفهم مقاصد الحياة.

18- التعليم النظري بعيداً عن التطبيق العملي:

المشكلة:

التركز على النظريات والحفظ دون تطبيق عملي أو تجربة مباشرة، وضعف في اكتساب المهارات العملية.

الوضع الحالي:

كثير من الأنظمة التعليمية تركز على النظريات والحفظ دون تطبيق عملي أو تجربة مباشرة، مما يُبعد الطالب عن اكتساب المهارات العملية.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يدعو للتفكير والتدبر والعمل، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ

الغاشية: 17، مما يشجع على النظر والتفكير العملي. ويجب أن تُعزز المناهج بأساليب تطبيقية ومهارات تُعنى بحياة الطالب.

19- ضعف الدافعية للتعلم:

المشكلة:

ضعف الدافعية لطلب العلم، والإخلاص فيه وحب التعليم من أجل بناء الحياة.

الوضع الحالي:

ضعف في إيجاد محتوى ومقررات تعليمية تحث على الدافعية في طلب العلم والاهتمام به وطلب العلم من أجل بناء الحياة والمستقبل، وتعزيز قيمة العلم كما وردت في القرآن، وتضمن ذلك في المناهج التعليمية.

الرؤية القرآنية للحل:

أشار القرآن الكريم إلى أهمية السعي نحو العلم والعمل، كما جاء في قوله تعالى:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ﴾ المجادلة: 11. تدل الآية على الحث على العلم ورفع منزلته، مما يشجع على الدافعية للتعلم. ضعف الدافعية من المشكلات الأساسية التي تواجه العملية التعليمية، ويمكن علاجها من خلال تعزيز قيمة العلم كما وردت في القرآن.

20- التقليد الأعمى واتباع العادات والتقاليد:

المشكلة:

التمسك الأعمى بالتقاليد والعادات الاجتماعية دون فهم ووعي، أو تفكير صحيح.

الوضع الحالي:

عدم وجود محتوى ومقررات تعمل على التفكير النقدي والتفكير الصحيح وفق نظرة القرآن وتعاليمه وآدابه وأخلاقه، وهذا ما يجعل الناس يتعصبون ويتمسكون بالعادات والتقاليد

الاجتماعية بعيداً عن القرآن الكريم.

الرؤية القرآنية للحل:

من المشكلات التي تعيق التعلم هو التمسك الأعمى بالعادات أو الأفكار دون محاولة لفهمها أو التفكير النقدي فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۖ﴾ البقرة: 170. والقرآن يرفض التقليد الأعمى، ويحث على التعلم القائم على الفهم والنقد.

21- التكبر عن طلب العلم وتجاهل الحقيقة:

المشكلة:

وجود أمراض اجتماعية منتشرة كالكبر وعدم قبول الحق.

الوضع الحالي:

تعيش الأمة حالة من عدم التعافي من الأمراض الاجتماعية المنتشرة كالكبر الذي يجعل الإنسان يرفض التعلم ويغلق عقله عن الحقائق، وغمط الناس حقوقهم والظلم وعدم قبول الحق، وهذه مشكلة قد تواجه الطلاب والمعلمين على حدٍ سواء.

الرؤية القرآنية للحل:

يشير القرآن إلى مشكلة التكبر ورفض الحق، كما في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ۖ﴾ الأعراف: 146، فالكبر يجعل الإنسان يرفض التعلم ويغلق عقله عن الحقائق، وهذه مشكلة تواجه الطلاب والمعلمين، وكذلك المجتمع، وتعيق المجتمع عن طلب العلم وتجاهل الحقائق.

22- ضعف الصبر والتحمل في طلب العلم:

المشكلة:

الفوضى والتخبط وعدم التخطيط للحياة وفقدان التوازن والتحلي بالصبر لتحقيق الانجازات الاجتماعية على الصعيد الشخصي أو الاجتماعي.

الوضع الحالي:

يعيش الشباب المسلم حالة من الفوضى والتخبط وعدم التخطيط للحياة وفقدان التوازن والتحلي بالصبر لتحقيق الانجازات الاجتماعية على الصعيد الشخصي أو الاجتماعي:

الرؤية القرآنية للحل:

العلم يتطلب الصبر والاجتهاد، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قصة موسى مع الخضر، حيث قال موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ ﴾ [الكهف: 69]، فعدم التحلي بالصبر يمكن أن يكون عائقًا في التعلم، وهذه القصة تقدم مثالًا على أهمية الصبر كعنصر أساسي في العملية التعليمية.

23-التعلم لأهداف دنيوية بحتة:

المشكلة:

التعليم من أجل الحصول على الشهادة والوظيفة:

الوضع الحالي:

يعمل الشباب المسلم والمجتمعات الإسلامية على التعلم أجل الحصول على الشهادة والوظيفة المكاسب الدنيوية والمكانة الاجتماعية، مما قد يؤثر على توجهاتهم التعليمية بشكل سلبي.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن الكريم يوجه إلى أهمية النية الخالصة في كل عمل، ومنها طلب العلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ ﴾ [البينة: 5]، كثيرًا ما يركز الطلاب على المكاسب الدنيوية مثل الشهادات أو المكانة الاجتماعية، مما قد يؤثر على توجهاتهم التعليمية بشكل سلبي.

24-تقديم المصالح الشخصية على الحقائق العلمية:

المشكلة:

تفضيل المصالح الشخصية على الحقائق العلمية، لتحقيق المكاسب الدنيوية.

الوضع الحالي:

التضليل على الحقائق العلمية، لتفضيل المصالح الذاتية والدنيوية، وهذا يؤثر على التعليم القائم على الأمانة العلمية، وهو مشكلة تؤدي إلى انهيار منظومة التعليم، كما هو حاصل اليوم في مجال البحث العلمي.

الرؤية القرآنية للحل:

يرفض القرآن التجاهل المتعمد للحقائق من أجل مكاسب شخصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكَتُِبُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ البقرة: 42، وتفضيل المصالح الذاتية على الحقائق العلمية هو مشكلة تؤدي إلى التضليل وتؤثر على التعليم القائم على الأمانة العلمية.

25- ضيق الأفق والتعصب الفكري:

المشكلة:

ضيق الأفق والتعصب الفكري والسياسي، وعدم القبول بالآخر.

الوضع الحالي:

تعطيل العقل من خلال ضيق الأفق والتعصب الذي يؤديان تعطيل العقل والعمل والتفكير والإبداع، مما يعيق العملية التعليمية ويمنع قبول الأفكار الجديدة.

الرؤية القرآنية للحل:

القرآن يحث على التفكير السليم والانفتاح على المعرفة، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْتَوِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا﴾ ﴿٩﴾ الزمر: 9، وضيق الأفق والتعصب يؤديان إلى تعطيل العقل، مما يعيق العملية التعليمية ويمنع قبول الأفكار الجديدة.

والقرآن الكريم ينبذ التعصب الأعمى، والتعصب الفكري بدون دليل، أيًا كان هذا

الفكر، بل يدعوا إلى الحوار والنقاش في المسائل الفكرية والتشريعية، وقد رسخ علماء الأمة فقه الاجتهاد بما يتناسب مع العصور، عل اعتبار أن لكل زمان ومكان ما يناسبه من الفتوى.

إلى هنا نصل إلى الانتهاء من ذكر المشكلات الأمة التعليمية من زاوية النظر القرآني، وكيف وضع لها القرآن حلولاً تربوية ناجعة تقوم على المبادئ والمفاهيم والنظرة القرآنية الشاملة والتي فيها مصلحة الإنسان، كون القرآن الكريم منهج حياة للعالمين، وفيه من القيم والتوجيهات التي تنظم حياة البشر، فضلاً عن المسلمين الذين يؤمنون به.

نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته:

1- نتائج البحث:

توصل الباحث إلى عدد من النتائج، وهي على النحو الآتي:

- أ- أن القرآن الكريم يقدم نموذجاً متكاملًا يمكن الاستفادة منه في حل مشكلات الأمة المعاصرة ومشكلات الأمة التعليمية.
- ب- ضرورة إقامة مؤسسات تعليمية تركز على القيم القرآنية، وتشجيع التعليم المستمر، وتطوير المعرفة، بما يسهم في حل مشكلات الأمة المعاصرة ومشكلاتها التعليمية، وبما يدعم نهضة الأمة الإسلامية.
- ج- تعزيز الدافعية للتعلم والبحوث القرآنية في المجال التربوي والدراسات القرآنية المتخصصة في التعليم وتوظيفها بشكل أفضل لتطوير البرامج والسياسات التعليمية.
- د- إنشاء لجان خاصة لتطوير التعليم القرآني، ويجب أن تكون هناك لجان من الأكاديميين والباحثين في الشريعة والتربية لوضع خطط تطوير التعليم في ضوء الرؤية القرآنية.
- هـ- إدخال وتصميم برامج تعليمية تركز على القيم القرآنية المهمة، وترسيخها في العملية التعليمية.
- و- إنشاء مراكز بحثية متخصصة لتطوير الدراسات حول التعليم من منظور قرآني ووضع

حلول عملية لمشكلات التعليم المعاصرة.

- ز- تعزيز التعاون بين الدول الإسلامية في مجال التعليم وبين المؤسسات التعليمية في الدول الإسلامية، لتبادل الخبرات وتطوير المناهج والبرامج بشكل مشترك.
- ح- إقامة ندوات ودورات تدريبية لتثقيف المعلمين حول التوجيهات القرآنية في مجال التعليم، وكيفية تطبيقها في المناهج التعليمية.

2- توصيات البحث

توصل البحث إلى عدد من التوصيات، فيوصي الباحث بالآتي:

- أ- إنشاء لجان خاصة لتطوير التعليم القرآني: يجب أن تكون هناك لجان من الأكاديميين والباحثين في مجال القرآن الكريم والشريعة الإسلامية والتربية لوضع خطط تطوير التعليم في ضوء الرؤية القرآنية.
- ب- إدخال برامج تعليمية تركز على القيم القرآنية: تصميم برامج تعليمية تركز على القيم القرآنية المهمة، مثل الصدق، التعاون، المسؤولية، والإحسان، وترسيخها في العملية التعليمية.
- ج- إنشاء مراكز بحثية متخصصة: إنشاء مراكز بحثية لتطوير الدراسات حول التعليم من منظور قرآني ووضع حلول عملية لمشكلات التعليم المعاصرة.
- د- تعزيز التعاون بين الدول الإسلامية في مجال التعليم: زيادة التعاون بين المؤسسات التعليمية في الدول الإسلامية، لتبادل الخبرات وتطوير المناهج والبرامج بشكل مشترك.
- هـ- إقامة ندوات ودورات تدريبية: تنظيم دورات تدريبية وندوات لتثقيف المعلمين حول التوجيهات القرآنية في مجال التعليم، وكيفية تطبيقها في المناهج التعليمية.

3- مقترحات البحث:

في ضوء النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، يقترح الباحث بعض المقترحات لإجراء البحوث الآتية:

- ## المراجع:

سويد، أيمن رشدي (2009) التجويد المصور، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة ابن جرير، سورية، دمشق.

الشمّان، عبد الكريم بن عبد العزيز بن حمد (2016)، أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب، المؤتمر الدولي القرآني الأول، توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة وأصول الدين، المجلد (2).

عبد القادر، خطاب سمير (2001)، المشكلات التعليمية للطلاب المصريين بالخارج، دراسة حالة من خلال الامتحانات التي تنظمها وزارة التربية والتعليم بالسفارات المصرية بالخارج، مجلة التربية، المجلد (ع/ 97) جامعة الأزهر، كلية التربية.

عبد المحسن، محمد عبد الراضي، (1417هـ، 1997)، الأخلاق بين النظرية والتطبيق، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ط.

عبيد، ماجدة السيد (2001) مناهج وأساليب تدريس ذوي الحاجات الخاصة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (1426 هـ — 2005)، القاموس المحيط، تحقيق: مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م.

القطان، مناع، (1411هـ 1991)، مباحث في علوم القرآن، الطبعة السابعة، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة.

الكبيسي، نورة خالد جاسم النفيحي، (2018) المنهاج القرآني في علاج المشكلات التربوية للأبناء من خلال سورة يوسف، رسالة ماجستير، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم (2007)، خطة تطوير التربية والتعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، مجلة التربية، المجلد (36) العدد (161).

لخروطي، محمد بن عثمان، (2016)، مشكلات النظام التعليمي وأساليب علاجها من الهدى التربوي القرآني، المؤتمر الدولي القرآني الأول، توظيف الدراسات القرآنية في

علاج المشكلات المعاصرة، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة وأصول الدين، المجلد (9).

محمد، شذى عبد الباقي، عيسى، مصطفى محمد، (2011)، اتجاهات حديثة في علم النفس المعرفي، عمان، دار المسيرة.

آل مكي، عواطف بنت إبراهيم بن علي، (2011)، المشكلات الإدارية في مكاتب الإشراف التربوي ومواجهتها في ضوء مدخل التطوير التنظيمي بسلطنة عمان، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب، قسم التربية والعلوم الإنسانية.

مشكلة الفكر الإنساني ومعالجتها

من خلال القرآن الكريم

د. فريد بودربالة

أستاذ محاضر "أ" بكلية العلوم الإنسانية

والعلوم الإسلامية

جامعة وهران أحمد بن بلة 1

الجزائر

bouderbala.farid@univ-oran1.dz

© تُنشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: بودربالة، فريد، مشكلة الفكر الإنساني ومعالجتها من خلال القرآن الكريم، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 119-156.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0195>

الملخص:

تُعَدُّ مشكلة الفكر الإنساني من القضايا العميقة والمعقدة التي شغلت عقول الفلاسفة والمفكرين عبر العصور. ويتمحور هذا الفكر حول فهم الإنسان لذاته وللعالم من حوله، ويشمل قضايا مثل الوجود، والمعرفة، والأخلاق، والوعي والإدراك. ومع تطور المجتمعات وتعقيداتها، وفي خضم عولة معقدة نعيش واقعها، باتت هذه القضية تكتسب أبعادًا جديدة تتطلب معالجات متجددة.

القرآن الكريم، كونه رسالة عالمية لدى المسلمين، نجده يقدم رؤى ومعالجات شاملة لمشكلة الفكر الإنساني. فهو لا يقتصر على تقديم الإجابات النهائية، بل يبحث على التأمل والتفكير، مما يفتح آفاقًا واسعة للفهم الإنساني.

ومن خلال هذا يبرز الإشكال الآتي: كيف عالج القرآن الكريم مشكلة الفكر الإنساني؟ ويهدف البحث: إلى إبراز السبل والطرق في معالجة مشكلة الفكر الإنساني. وتبرز أهمية البحث: في إيجاد الحلول الناجعة لمشكلة الفكر الإنساني من خلال القرآن الكريم مع استثمارها لصالح الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الإنساني، معالجة، مشكلة، القرآن الكريم.

The problem of human thought and its treatment through Holy Quran

Dr. Farid Bouderbala

Assistant Professor "A" at the Faculty of Humanities and Islamic Sciences

University of Oran Ahmed Ben Bella 1
Algeria

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Bouderbala, Farid, The problem of human thought and its treatment through Holy Quran , Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:119-156.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0195>.

Abstract:

The problem of human thought is one of the deep and complex issues that have occupied the minds of philosophers and thinkers throughout the ages. This thought revolves around man's understanding of himself and the world around him, and includes issues such as existence, knowledge, ethics, awareness and perception. With the development and complexity of societies, and in the midst of a complex globalization that we live in, this issue has acquired new dimensions that require renewed treatments.

Holy Quran, as a universal message for Muslims, we find it presenting comprehensive visions and treatments for the problem of human thought. It is not limited to providing final answers, but rather urges contemplation and thinking, which opens up broad horizons for human understanding.

Through this, the following problem emerges: How did Holy Quran address the problem of human thought? The research aims to: highlight the ways and methods of addressing the problem of human thought. The importance of the research emerges: in finding effective solutions to the problem of human thought through Holy Quran while investing them for the benefit of the individual and society.

Keywords: Thought, Human, Treatment, Problem, Holy Quran.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

تعدّ مشكلة الفكر الإنساني من القضايا العميقة والمعقدة التي شغلت عقول الفلاسفة والمفكرين عبر العصور. ويتمحور هذا الفكر حول فهم الإنسان لذاته وللعالم من حوله، ويشمل قضايا مثل الوجود، والمعرفة، والأخلاق، والوعي والإدراك. ومع تطور المجتمعات وتعقيداتها، وفي خضمّ عولمة معقدة نعيش واقعها، باتت هذه القضية تكتسب أبعاداً جديدة

تتطلب معالجات متجددة.

القرآن الكريم، كونه رسالة عالمية لدى المسلمين، نجده يقدم رؤى ومعالجات شاملة لمشكلة الفكر الإنساني. فهو لا يقتصر على تقديم الإجابات النهائية، بل يبحث على التأمل والتفكير، مما يفتح آفاقاً واسعة للفهم الإنساني .

أهمية البحث:

- التأكيد على أن القرآن الكريم حل لمشكلات الفكر الإنساني.
- أهمية القرآن الكريم، في معالجة مشكلات الفكر الإنساني.
- تعزيز أهمية القرآن الكريم، في إيجاد حلول لكل زمان ومكان، وخاصة مشكلات العصر.

أهداف البحث:

- إيجاد الحلول لمشكلات الفكر العصر الحديث.
- استثمار هدايات القرآن في معالجة أزمة الفكر الإنساني.
- إبراز شمولية القرآن الكريم، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

مشكلة البحث:

تبرز مشكلة البحث في كيفية معالجة القرآن الكريم لمشكلة الفكر الإنساني. ومدى استثمار ذلك في الفرد والمجتمع.

منهج البحث: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي الاستنباطي.

خطة البحث: وقسمت البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

مقدمة: وتشتمل على أهمية البحث وأهدافه وعلى إشكالية البحث مع ذكر منهج البحث وخطته.

المبحث الأول: الدعوة إلى التدبر والتأمل والتفكير.

المبحث الثاني: تحديد القيم الأخلاقية.

المبحث الثالث: تقديم الإجابات على الأسئلة الوجودية.

المبحث الرابع: العلم والمعرفة.

المبحث الخامس: التحذير من الهوى والضلال.

وخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

الدعوة إلى التدبر والتأمل والتفكير.

إن من أعظم المشكلات التي تواجه الفكر الإنساني، هو عدم الاستفادة من نعمة العقل التي وهبها الله إياه وميزه بها وفضله على سائر المخلوقات؛ فالعقل والإدراك يميز به الإنسان بين القبيح والحسن، ولاكتمال هذه النعمة ربطها سبحانه عز وجل بالسمع والبصر، فالإنسان يسمع ويميز ويصبر ويفرق، وهذا ما يحصل به العلم النافع، لكن الإنسان قد ينحط به الفكر والشهوة ليصبح أقرب من الحيوانات أو أضل؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]؛ وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44].

قال ابن القيم (ت: 751هـ): " فأخبر سبحانه أنهم لم يحصل لهم علمٌ من جهةٍ من جهات العلم الثلاث، وهي العقل والسمع والبصر، كما قال في موضع آخر ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، وقال تعالى: ﴿فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: 26]. فقد وصف أهل الشقاء - كما ترى - بعدم العلم، وشبههم تارة بالأنعام، وتارة بالحمار الذي يحمل الأسفار، وتارة جعلهم أضل من الأنعام، وتارة جعلهم شر الدواب عنده، وتارة جعلهم أمواتاً غير أحياء، وتارة أخبر أنهم في ظلمات الجهل والضلال، وتارة أخبر أن على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقراً، وعلى أبصارهم غشاوة". (1)

1 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة. ج1 ص160.

ومن هنا وجب على الإنسان الذي ميزه الله بالعقل والسمع والبصر أن يتأمل في ملكوت السموات والأرض بل يتأمل ويتذكر ويتفكر ويعي بما يجري حوله؛ والله عز وجل خاطب الفطرة التي خلقها في الإنسان ليدرك عظمة هذا الكون فيدرك عظمة الخالق القادر الغني العزيز؛ قال تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101].

قال الشوكاني (ت: 1250هـ) في تفسير الآية: "أَمَرَ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِالِدَّلَائِلِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّظَرِ: التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ أَيُّ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْكَفَّارِ تَفَكَّرُوا وَاعْتَبَرُوا بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَصْنُوعَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الصَّانِعِ، وَوَحَّدَتِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ".⁽¹⁾

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: 137]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: 11]؛ وقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69]؛ وقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20]؛ وقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 42].

ومن هنا نستطيع أن نقسم الدعوة إلى التدبر والتأمل والتفكير إلى أقسام أقسام الدعوة إلى التدبر والتأمل والتفكير ملكوت الله:

تعد الدعوة إلى التأمل والتفكير في ملكوت الله واحدة من القيم الأساسية في العديد من الأديان والفلسفات الروحية. يُشجع الإنسان على استخدام العقل والتفكير العميق لفهم العالم من حوله والتأمل في عظمة الخلق والإبداع الإلهي، ليدرك عظمة الخالق وحكمته.

قال محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ): "وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْنَا ذَلِكَ لِنَتَدَبَّرَ وَنَتَفَكَّرَ، فَمَنْ

1 الشوكاني، فتح القدير. (2/ 541).

أَرَادَ أَنْ يَزِدَّادَ عِلْمًا فَلْيَطْلُبْهُ مِنَ الْبَحْثِ فِي الْكَوْنِ .. وَحَسْبُهُ أَنَّ الْكِتَابَ أَرْشَدَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَبَاحَهُ لَهُ.

هَذِهِ الْإِبَاحَةُ لِلنَّظَرِ وَالْبَحْثِ فِي الْكَوْنِ، بَلْ هَذَا الْإِرْشَادُ إِلَيْهَا بِالصِّيَغِ الَّتِي تَبَعَتْ أَهْمَمَ وَتَشَوَّقُ النُّفُوسَ، كَكَوْنِ كُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ مَخْلُوقًا لَنَا مَحْبُوسًا عَلَى مَنَافِعِنَا هُوَ مِمَّا افْتَنَارَ بِهِ الْإِسْلَامُ فِي تَرْفِيقَةِ الْإِنْسَانِ، فَقَدْ خَاطَبَنَا الْقُرْآنُ بِهَذَا عَلَى حِينِ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا مُتَفَقِّينَ فِي تَقَالِيدِهِمْ وَسِيرَتِهِمُ الْعَمَلِيَّةِ عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ وَالِدِّينَ ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ، وَالْعِلْمَ وَالِدِّينَ حَصْمَانِ لَا يَتَّفَقَانِ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا يَسْتَنْتِجُهُ الْعَقْلُ خَارِجًا عَنِ نَصِّ الْكِتَابِ فَهُوَ بَاطِلٌ. وَلِذَلِكَ جَاءَ الْقُرْآنُ يُلْحِقُ أَشَدَّ الْإِلْحَاحِ بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّدَكُّرِ، فَلَا تَقْرَأْ مِنْهُ قَلِيلًا إِلَّا وَتَرَاهُ يَعْزِضُ عَلَيْكَ الْأَكْوَانِ، وَيَأْمُرُكَ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِ أَسْرَارِهَا، وَاسْتِجْلَاءِ حُكْمِ اتِّفَاقِهَا وَاخْتِلَافِهَا". (1)

أولاً: آيات التفكير في خلق الكون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

قال ابن كثير (ت: 774هـ): "يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تِلْكَ فِي ارْتِفَاعِهَا وَلَطَافَتِهَا وَاتِّسَاعِهَا وَكَوَافِئِهَا السَّيَّارَةِ وَالثَّوَابِتِ وَدَوْرَانِ فَلَكِهَا - وَهَذِهِ الْأَرْضُ فِي كَثَافَتِهَا وَانْخِفَاضِهَا وَجِبَالِهَا وَبَحَارِهَا وَقَفَارِهَا وَوَهَادِهَا وَعُمْرَانِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. هَذَا يَجِيءُ ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَخْلُفُهُ الْآخَرُ وَيَعْقِبُهُ، لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ لَحْظَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40] وَتَارَةً يَطُولُ هَذَا وَيَقْصُرُ هَذَا، وَتَارَةً يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا ثُمَّ يَتَعَاوَضَانِ،

1 محمد رشيد رضا، تفسير المنار. (1/ 208) .

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد: 6] أَي يَزِيدُ مِنْ هَذَا فِي هَذَا وَمِنْ هَذَا فِي هَذَا. ﴿وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ أَي فِي تَسْخِيرِ الْبَحْرِ بِحَمْلِ السَّفْنِ مِنْ جَانِبِ إِلَى جَانِبٍ لِمَعَاشِ النَّاسِ وَالْإِنْتِفَاعِ بِمَا عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ، وَنَقَلَ هَذَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: 33] إِلَى قَوْلِهِ- ﴿وَمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أَي عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَمَنَافِعِهَا وَصِغَرِهَا وَكِبَرِهَا، وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَرْزُقُهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: 6]؛ وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ أَي فَتَارَةٍ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَارَةٍ تَأْتِي بِالْعَذَابِ، وَتَارَةٍ مُبَشِّرَةٍ بَيْنَ يَدَيِ السَّحَابِ، وَتَارَةٍ تُسَوِّفُهُ، وَتَارَةٍ تُجَمِّعُهُ، وَتَارَةٍ تُفْرِقُهُ، وَتَارَةٍ تُصَرِّفُهُ، ثُمَّ تَارَةً تَأْتِي مِنَ الْجَنُوبِ وَهِيَ الشَّامِيَّةُ، وَتَارَةً تَأْتِي مِنْ نَاحِيَةِ اليمَنِ وَتَارَةً صَبَا، وَهِيَ الشَّرْقِيَّةُ الَّتِي تَصَدِّمُ وَجْهَ الْكَعْبَةِ، وَتَارَةً دُبُورًا وَهِيَ غَرْبِيَّةٌ تَنْفِذُ مِنْ نَاحِيَةِ دُبُرِ الْكَعْبَةِ. وَقَدْ صَنَّفَ النَّاسُ فِي الرِّيحِ وَالْمَطَرِ وَالْأَنْوَاءِ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِلُغَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا، وَبَسَطَ ذَلِكَ يَطُولُ هَاهُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَي سَائِرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، مَسْحَرٌ إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَمَاكِينِ، كَمَا يُصَرِّفُهُ تَعَالَى: لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أَي فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ دَلَالَاتٌ بَيِّنَةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 164، 165] " (1).

1 أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم. (1/ 344).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: 8].

قال محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ): "وَفَائِدَةُ ذِكْرِ السَّمَاوَاتِ هُنَا أَنَّ فِي أَحْوَالِ السَّمَاوَاتِ مِنْ شَمْسِهَا وَكَوَاكِبِهَا وَمَلَائِكَتِهَا مَا هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَقِّ الَّذِي خُلِقَتْ مُلَابِسَةً لَهُ، أَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهَا الَّتِي لَا نَعْرِفُ نِسْبَةَ تَعَلُّقِهَا بِهَذَا الْعَالَمِ، فَتَكِلْ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَتَقِيسْ غَائِبَهُ عَلَى الشَّاهِدِ، فَتَوْقُنْ بِأَنَّهُ مَا خُلِقَ إِلَّا بِالْحَقِّ كَذَلِكَ. فَشَوَاهِدُ حَقِّيَّةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ بَادِيَةٌ فِي دَقَائِقِ خُلُقِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلِذَلِكَ أَعَقَبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: 115]". (1)

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ افْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

قال أبو السعود (ت: 982هـ): "والتوبيخ بإخلاصهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزل إثر مانعي عليهم إخلالهم بالتفكير ... ولم ينظروا نظرًا تأملًا فيما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ أي وفيما خلق فيهما ... وقوله تعالى ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحديته تعالى ويسائر شئونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فإن كل فرد من أفراد الأكوان مما عز أو هان دليل لائتئاع على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد". (2)

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

1 الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير. (54/21).

2 أبو السعود (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (3/299).

رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿[الغاشية: 17 - 20].

قال الإمام الرازي (ت: 606 هـ): "وجه الاستدلال بذلك على صحة المعاد أنها تدل على وجود الصانع الحكيم، ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد".⁽¹⁾

ثانيًا: آيات التفكير في خلق الإنسان:

فبين سبحانه وتعالى فيما آية أن الإنسان خلق من نطفة، فقال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: 4]؛ وقال سبحانه: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37]؛ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لُبِّينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: 5]؛ وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: 11]؛ وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 77]؛ وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: 67]؛ وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم: 45، 46]؛ وقال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]؛ وقال سبحانه: ﴿تَلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ [عبس: 17 - 19].

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 20، 21]. وقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَاكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ

1 فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب. (143/ 31).

(7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿[الانفطار: 6 - 8].

وفي قوله ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]؛ قال المراغي (ت: 1371هـ): "أي ركبك في صورة هي من أبهى الصور وأجملها، وأدّها لها على بقائك الأبدي في نشأة أخرى بعد هذه النشأة. فإن الكريم يوفّي كل مرتبة من الوجود حقها، فمن خص بهذه المنزلة الرفيعة لا ينبغي أن يعيش كما يعيش سائر الحيوان، ويموت كما يموت الوحش وصغار الذرّ، وإنما الذي يليق بعقله وقوة نفسه أن تكون له حياة أبدية لا حد لها، ولا فناء بعدها، يوفّي فيها كل ذي حق حقه، وكل عامل جزاء عمله".⁽¹⁾

وبين سبحانه وتعالى فيما آية أن الإنسان أصله من طين، فقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلاً مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2] ؛ وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12] ؛ وقال سبحانه: ﴿لَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: 7] ؛ وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: 11] ؛ وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71] ؛ وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14].

ثالثاً: آيات التفكير في خلق النباتات.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 21].

قال أبو السعود (ت: 982هـ) في قوله: ﴿لأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: "لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيهها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا

1 أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي. (30/ 66).

يُفْتَتِنُونَ بِفِتْنَتِهَا".⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 266].

قال محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ): "كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ تَذِيلٌ، أَيُّ كَهَذَا الْبَيَانِ الَّذِي فِيهِ تَقَرُّبُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ بَيِّنَ اللَّهِ نُصْحًا لَكُمْ، رَجَاءُ تَفَكُّرِكُمْ فِي الْعَوَاقِبِ حَتَّى لَا تَكُونُوا عَلَى عَقْلَةٍ".⁽²⁾

قال تعالى: ﴿يَنْبِئُكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونُ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 11].

قال البيضاوي (ت: 685هـ): "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ عَلَى وجود الصانع وحكمته، فإن من تأمل أن الحبة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها، فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة، وينشق أسفلها فيخرج منه عروقه. ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار، ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطباع السفلية والتأثيرات الفلكية إلى الكل، علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الأضداد".⁽³⁾

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

قال أبو بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ): "كَذَلِكَ" أي مثل هذا التفصيل الباهر

1 تفسير أبي السعود. (7/ 250).

2 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. (3/ 55).

3 البيضاوي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (3/ 221).

﴿نفصل﴾ أي تفصيلاً عظيماً ﴿الآيات لقوم﴾ أي ناس أقوياء فيهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿يتفكرون﴾ أي يجددون الفكر على وجه الاستمرار والمبالغة⁽¹⁾.

آيات التدبر في القرآن الكريم: والتدبر: النظر في أدبار الشيء، والتفكير في عاقبته. وقد جاء الأمر بتدبر القرآن في أربعة مواضع من القرآن، في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، و في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]. وجاءت آيتان في سياق الكفار، وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 68]، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَكِّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

قال شهاب الدين الألوسي (ت: 1270هـ): "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه"⁽²⁾.

قال أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): "وفي حثِّ الله عز وجلَّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبيانات (3) - بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَكِّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: 29] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: 27، 28] وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه- ما يدل على أنَّ عليهم معرفة تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه"⁽³⁾.

1 أبو بكر البقاعي (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (9/ 103).

2 الألوسي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (89/ 3).

3 أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن. (82/ 1).

والتدبر والتفكر والتأمل والنظر كلها معاني متقاربة تحت الإنسان أن يستعمل عقله السليم ومنطقه الصادق ليحل مشكلته الوجودية وأنه لم يخلق عبثاً قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

قال ابن القيم (ت: 751هـ): "وهذا يسمّى: تفكُّراً، وتذكُّراً، ونظراً، وتأملًا، واعتبارًا، وتدبُّراً، واستبصارًا. وهذه معانٍ متقاربة تجتمع في شيءٍ وتفتقر في آخر.

فيسمّى تفكُّراً: لأنه استعمالُ الفكرة في ذلك وإحضاره عنده.

ويسمّى تذكُّراً: لأنه إحضارُ للعلم الذي يجبُ مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (201) [الأعراف: 201].

ويسمّى نظراً: لأنه التفاتٌ بالقلب إلى المنظور فيه.

ويسمّى تأملًا: لأنه مراجعةٌ للنظر كرّةً بعد كرّة، حتى يتجلى له وينكشف لقلبه.

ويسمّى اعتبارًا: وهو افتعالٌ من العبور؛ لأنه يعبرُ منه إلى غيره، فيعبرُ من ذلك الذي قد فُكّر فيه إلى معرفةٍ ثالثة، وهي المقصودُ من الاعتبار..

ويسمّى تدبُّراً: لأنه نظرٌ في أدبار الأمور وهي أواخرها وعواقبها. ومنه: تدبُّر القول، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: 68]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (82) [النساء: 82]، وتدبُّر الكلام أن ينظر في أوّله وآخره، ثم يعيد نظره مرّةً بعد مرّة؛ ولهذا جاء على بناء التفعّل، كالتجرُّع والتفهّم والتبيين. ويسمّى استبصارًا: وهو استفعالٌ من التبصُّر، وهو تبينُ الأمر وانكشافه وتحليله للبصيرة.

وكلٌّ من التذكُّر والتفكُّر له فائدةٌ غيرُ فائدة الآخر؛ فالتذكُّر يفيدُ تكرارَ القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت، ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكُّر يفيدُ تكثيرَ

العلم واستجلاب ما ليس حاصلاً عند القلب؛ فالتفكير يحصِّله والتذكر يحفظه". (1)
عَنْ قَتَادَةَ: " لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ قَالَ غُودُوا بِالتَّذَكُّرِ عَلَى التَّفَكُّرِ وَبِالتَّفَكُّرِ، عَلَى التَّذَكُّرِ". (2)

وَقَالَ الْحَسَنُ: " مَا زَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَعُودُونَ بِالتَّذَكُّرِ عَلَى التَّفَكُّرِ وَبِالتَّفَكُّرِ عَلَى التَّذَكُّرِ، وَيُنَاطِقُونَ الْقُلُوبَ حَتَّى نَطَقَتْ، فَإِذَا هُنَّ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ فَتَنَطَقَتْ بِالْحِكْمَةِ وَأُورِثَتْ الْعِلْمَ". (3)
أهمية التأمل والتفكير ونتيجته:

- **التقرب من الله:** من خلال التأمل في خلق السماوات والأرض وكل ما يحتويه الكون من تفاصيل، يمكن للإنسان أن يشعر بالقرب من الله ويزداد إيماناً بعظمته وكماله.
 - **التوازن الداخلي:** يُساعد التأمل في خلق حالة من السكون والسلام الداخلي، مما يُساهم في تحقيق التوازن النفسي والروحي.
 - **التفكير النقدي:** يُحفز التأمل على تطوير مهارات التفكير النقدي، حيث يُمكن للإنسان أن يُحلل ويُفكر في الأمور من زوايا مختلفة.
 - **تعميق الفهم:** من خلال التأمل، يمكن للإنسان أن يكتسب فهماً أعمق للوجود ومعنى الحياة، مما يُعزز من قدرته على اتخاذ قرارات مدروسة ومستنيرة.
- إن الدعوة إلى التأمل والتفكير في ملكوت الله تهدف إلى تعزيز الروابط الروحية بين الإنسان والخالق، وتُساهم في تحسين الحياة الروحية والنفسية للفرد. من خلال التأمل، يمكن للإنسان أن يكتشف الجوانب العميقة للوجود ويعيش حياة مفعمة بالسلام والرضا.

1 ابن قيم الجوزية (1432 هـ)، مفتاح دار السعادة. (524/1).

2 ابن أبي حاتم الرازي (ت: 327 هـ)، تفسير القرآن العظيم. (8/ 2517).

3 ابن تيمية الحراني (ت: 728 هـ)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية. (6/ 519).

المبحث الثاني

تحديد القيم الأخلاقية

إن من أعظم المشكلات التي تواجه الفكر الإنساني أيضا هي مشكلة القيم الأخلاقية، لأن انعدامها كفيلا بانقضاء العنصر البشري، وقد يستغرب البعض من هذه العبارة، لكن لما ندرك أن الحسد والتباغض قد يؤدي بالإنسان لقتل أخيه، بل كانت أول خطيئة ارتكبتها الإنسان فوق الأرض هي القتل وكان سببها الرئيس الحسد؛ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِغْمِي وَإِغْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 27 - 30]

القيم الأخلاقية: يقدم القرآن منظومة قيمية متكاملة توجه الفكر الإنساني نحو السلوك القويم والأخلاق الفاضلة، وتبنى منظومة الأخلاق في الإسلام بأن لها ثلاثة أبعاد⁽¹⁾:
أولها: البعد النفسي، يعني الفرد مع نفسه ومشاعره ومع ربه، وهو المتعلق بصلاته ونسكه.
فالمؤمن حريص على مراقبة ومحاسبة نفسه بنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 2]؛ وقال سبحانه: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14].
ثانيها: البعد الاجتماعي، وهو الذي يتعلق بالمجتمع والحكومة ومعاملة الآخرين.

فأهل الإيمان تجمعهم الأخوة الإيمانية، وتذوب كل الفوارق الأخرى، لتبني مجتمعا متماسكا مترابطا متعاوننا، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: 4]؛ وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2]، وحث الله سبحانه على وحدة

1 د. محمد حلمي عبد الوهاب، القيم الروحية في الإسلام، ص 28. - بتصرف -

المجتمع ما دام معبوده واحد قال سبحانه ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، كما حذر من كل مظاهر تمزيق هذه الوحدة فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]؛ وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

ثالثها: البعد الغيبي، وهو الذي يتعلق بإطار العقيدة والمبادئ والمثل والمعارف.

والبعد الغيبي، له أهمية كبرى في بلورة الأخلاق والمحافظة عليها، وليس هي مجرد تصنع يعود على العبد بقيمة مادة، كما يفعله الغرب، فالْمُؤْمِنُ يعتقد أن الله مطلع على سريره وما تخفيه النفس، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 38]؛ وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

القرآن وتحديد القيم الأخلاقية: القرآن الكريم هو كتاب الله المقدس للمسلمين، ويعتبر مصدراً رئيسياً لتحديد القيم الأخلاقية والتوجيهات السلوكية. يحتوي القرآن على العديد من الآيات التي تركز على بناء شخصية الإنسان وتوجيهه نحو الخير والفضيلة.

القيم الأخلاقية في القرآن:

الصدق والأمانة: الصدق والأمانة من القيم الأساسية التي يحث عليها القرآن الكريم. يقول الله تعالى: ﴿نَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]؛ وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8]؛ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

قال ابن القيم (ت: 751هـ): " قَدْ قَسَمَ سُبْحَانَهُ الْخَلْقَ إِلَى قِسْمَيْنِ: سَعْدَاءَ، وَأَشْقِيَاءَ، فَجَعَلَ السُّعْدَاءَ هُمُ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالتَّصَدِيقِ، وَالْأَشْقِيَاءَ هُمُ أَهْلُ الْكَذِبِ وَالتَّكْذِيبِ،

وَهُوَ تَفْسِيْمٌ حَاصِرٌ مُطَرِّدٌ مُنْعَكِسٌ. فَالْسَّعَادَةُ دَائِرَةٌ مَعَ الصِّدْقِ وَالتَّصَدِيقِ، وَالشَّقَاوَةُ دَائِرَةٌ مَعَ الْكَذِبِ وَالتَّكَذِيبِ". (1)

وقال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: 119].
قال ابن القيم (ت: 751هـ): " وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا صِدْقُهُمْ؛ وَجَعَلَ عِلْمَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي تَمَيَّزُوا بِهِ هُوَ الْكَذِبُ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، فَجَمِيعُ مَا نَعَاهُ عَلَيْهِمْ أَصْلُهُ الْكَذِبُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، فَالْصِّدْقُ بَرِيدُ الْإِيمَانِ وَدَلِيلُهُ وَمَرْكَبُهُ وَسَائِقُهُ وَقَائِدُهُ وَحَلِيَّتُهُ وَلِبَاسُهُ، بَلْ هُوَ نُبُّهُ وَرُوحُهُ". (2)

ومنزلة الصدق في القرآن عظيمة، ويكفي بها شرفاً أنها جاءت بعد مقام النبوة؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

قال ابن القيم (ت: 751هـ): " مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ. الَّذِي مِنْهُ تَنَشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ الْهَالِكِينَ. وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ الْبَقَا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجَنَانِ مِنْ أَهْلِ النَّبَرَانِ. وَهُوَ سَيْفُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ. وَلَا وَاجِبَ بَاطِلًا إِلَّا أَرَادَهُ وَصَرَعَهُ. مَنْ صَالَ بِهِ لَمْ تَرُدَّ صَوْلَتُهُ. وَمَنْ نَطَقَ بِهِ غَلَتْ عَلَى الْخُصُومِ كَلِمَتُهُ. فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَحَكْمُ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَى افْتِحَامِ الْأَهْوَالِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الْوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ. وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ. وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النَّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالَمِينَ. وَمِنْ مَسَاكِينِهِمْ فِي الْجَنَّاتِ تُجْرَى الْعُبُونُ وَالْأَنْهَارُ إِلَى مَسَاكِينِ الصِّدِّيقِينَ. كَمَا كَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَدَدٌ مُتَّصِلٌ وَمَعِينٌ". (3)

1 ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد. (3/ 517).

2 نفس المرجع. (3/ 517).

3 ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. (2/ 257).

ويلزم من قيمة الصدق أن يكون المؤمن أميناً، أميناً في نفسه أميناً مع غيره أميناً مع ربه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58].

قال القرطبي (ت: 671 هـ): "هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع".⁽¹⁾

وقد ورد عن حذيفة، أنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: "يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلُ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أَثَرُهَا مِثْلُ أَثَرِ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتُهُ عَلَى رَجُلِكَ فَتَنْفَطِرُ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا".⁽²⁾

العدل والإحسان: العدل والإحسان في القرآن الكريم ليس مجرد مفهوم نظري، بل هو مبدأ عملي يتجسد في جميع جوانب الحياة الإنسانية. حيث أمر به سبحانه تعالى وحثهم عليه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]. بل جعله مقصدا عظيما بين الناس قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]، وَالْمِيزَانُ أي العدل.

فالعدل هو قيمة محورية في الإسلام ويحث القرآن على تطبيق العدل في جميع جوانب الحياة. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]

أما الإحسان يتجاوز العدل ويعني تقديم الخير للآخرين بدون انتظار مقابل. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

1 أبو عبد الله شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن. (255 / 5).

2 صحيح البخاري. برقم: 7086.

وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿[النحل: 90].

قال ابن تيمية (ت: 728 هـ): "فالعدل واجب في جميع الأمور، والإحسان قد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً، ففي الحكم بين الناس والقسم بينهم ما ثمَّ إلا العدل، والعدل بينهم إحسان إليهم، وفيما بين الناس وبينهم مستحب له الإحسان إليهم، بفعل المستحبات من الابتداء بالإحسان الذي ليس بواجب، والعفو عن حقوقه عليهم، ويدخل في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. ونكتة هذا الكلام أن يفرق الإنسان بين العدل الذي هو الغاية، وليس بعده إحسان، وهو العدل بين الناس، وبين العدل الذي فوقه الإحسان، وهو العدل مع الناس. الأول: حقُّ الخلق عليه، والثاني: حقُّ له عليهم. فلكلٍّ منهما على صاحبه العدل، فعليه أن يُوفِّيهم العدل الذي عليه، وليس عليه أن يستوفي العدل منهم، بل قد يستحب له الإحسان بتركه". (1)

التواضع: التواضع والبعد عن التكبر من القيم التي يشجع عليها القرآن. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37]؛ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]؛ وقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

قال ابن القيم (ت: 751 هـ): "أَيُّ سَكِينَةٍ وَوَقَارًا مُتَوَاضِعِينَ، غَيْرِ أَشْرِينَ، وَلَا مَرَحِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ. قَالَ الْحَسَنُ: عُلَمَاءُ حُلَمَاءُ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: أَصْحَابُ وَقَارٍ وَعِفَّةٍ لَا يَسْتَفْهُونَ. وَإِنْ سُفِهَ عَلَيْهِمْ حُلُمُوا". (2)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا

1 ابن تيمية الحارثي (ت: 728 هـ)، جامع المسائل لابن تيمية. (39/ 6) .

2 ابن قيم الجوزية (ت: 751 هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. (310/ 2) .

يَنْبَغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»⁽¹⁾.

الصبر: الصبر هو قيمة عظيمة تساعد الإنسان على تحمل المشاق والصعوبات، وجعلها الله عبادة ذو منزلة عظيمة، حيث قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]؛ وقال سبحانه: ﴿وَلَنْبَلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]؛ وقال سبحانه: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]؛ وقال سبحانه: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17]؛ وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142]؛ وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]؛ وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]؛ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

فَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ عِنْدَ الْمَصَائِبِ أَنْ يَصْبِرَ وَيُسَلِّمَ وَعِنْدَ الذُّنُوبِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: 55] فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الْمَعَاصِي⁽²⁾.

قال ابن القيم (ت: 751هـ): "الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ مَاهِيَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ صَبْرٍ وَشُكْرِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفُ صَبْرٍ، وَنِصْفُ شُكْرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]؛ وَالصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّاسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ عَلَى فَرَاغِ اللَّهِ فَلَا يُضَيِّعُهَا، وَصَبْرٌ عَنِ مُحَارِمِهِ، فَلَا يَرْتَكِبُهَا وَصَبْرٌ عَلَى أَقْضِيَّتِهِ وَأَقْدَارِهِ، فَلَا يَتَسَخَّطُهَا، وَمَنْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الثَّلَاثَ، اسْتَكْمَلَ الصَّبْرَ، وَلَدَّةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَنَعِيمَتَاهَا، وَالْفُؤُزُ وَالظَّفَرُ فِيهِمَا، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى جِسْرِ

1 صحيح مسلم ، برقم: 2865.

2 ابن تيمية الحراني (ت: 728 هـ)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. (ص: 264).

الصَّبْرُ، ... وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَرَاتِبَ الْكَمَالِ الْمُكْتَسَبِ فِي الْعَالَمِ، رَأَيْتَهَا كُلَّهَا مَنُوطَةً بِالصَّبْرِ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ التَّقْصَانَ الَّذِي يُدْمُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، رَأَيْتَهُ كُلَّهُ مِنْ عَدَمِ الصَّبْرِ".⁽¹⁾

دور القيم الأخلاقية في المجتمع: تساهم القيم الأخلاقية المستمدة من القرآن في بناء مجتمع متماسك يقوم على الاحترام المتبادل والتعاون. من خلال التزام الأفراد بهذه القيم، يمكن تحقيق بيئة تسودها العدالة والسلام والمحبة.

وقد عبر الشاعر أحمد شوقي عن أهمية الأخلاق في حياة الأمم والشعوب فقال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

وقال أيضا: وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتما وعويلا.⁽²⁾

محاسن نشر القيم القرآنية في المجتمع:

- تعزيز الثقة والصدق: بناء الثقة بين الأفراد من خلال الصدق والأمانة.
 - تحقيق العدالة الاجتماعية: ضمان حقوق الجميع من خلال تطبيق مبدأ العدل.
 - تشجيع العمل الجماعي: التعاون والإحسان يعززان من العمل الجماعي والتكاتف.
- القرآن الكريم ليس فقط كتاباً دينياً، بل هو أيضاً دليل شامل يوجه المسلمين نحو حياة مليئة بالقيم الأخلاقية والفضائل.

1 ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، الطب النبوي. (ص: 251).

2 محمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. (ص: 138).

المبحث الثالث

تقديم الإجابات على الأسئلة الوجودية

إن من أعظم المشكلات التي تواجه الفكر الإنساني أيضا هي مشكلة فلسفة المعرفة الوجودية وهدفها، وما هو مصيرها؟

نجد أن القرآن الكريم يعالج الأسئلة الكبرى المتعلقة بالوجود والغاية من الحياة، بكل وضوح وصدق، بل تعتبر الأسئلة المتعلقة بالوجود والغاية من الحياة من أهم المواضيع التي تناولها القرآن الكريم، حيث يقدم توجيهات وإجابات تعين الإنسان في فهم دوره ومكانته في الكون.

الوجود والخلق: يعتبر وجود الإنسان في الكون نعمة وجودية من الله، وتكريما لهذا المخلوق، وجعله خليفة على الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]؛ بل كرمه وفضله على كثير من مخلوقاته؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

الإنسان محور الرسالات السماوية: إن الإنسان هو المقصود غاية وهدفاً في ابتعاث الرسل واختيار الأنبياء، وإنزال الكتب والصُّحف وإن الله سبحانه وتعالى الذي جعل آدم خليفة في الأرض، اقتضت حكمته، ومشيتته ورحمته بالإنسان إلا يخلقه عبثاً، وألا يتركه سدى، وأنما تكفل بهدايته وإرشاده، وأخذ بيده إلى الطريق الأقوم والمنهج الأمثل وطمأنه منذ استقراره في الأرض أنه لن يدعه طعاماً سائعاً لوساوس الشيطان ولن يتركه نبهاً للوهم، والخبط، والضلال، والشهوات، ولن يسلمه للجحالة والحيرة والضياح، وإنما أكرمه بالهداية والرشاد بالتي هي أقوم. قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]؛ وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿طه: 123﴾⁽¹⁾.

الغاية الوجودية للإنسان في الحياة: إن الله سبحانه وتعالى أناط الأمانة الوجودية بالإنسان دون غيره من المخلوقات العظيمة، وهذا دليل آخر على تكريمه ورفع شأنه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]؛

ومن ثمة جعل رابطة بين الإنسان وخالقه، وهي الهدف الأسمى من هذا الوجود وهو التقرب إلى الله عز وجل من خلال العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]؛ وهذا التقرب والتعبد في صالح الثقلين، لذلك أعقب الله هذه الآية بقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [الذاريات: 57]؛ فالثقلين هم بحاجة إلى من يرزقهم ويطعمهم، لا الرب الغني الحميد، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: 64]؛ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].

فالعبادة تتمثل الغاية الكبرى من حياة الإنسان حتى يتقرب إلى المولى وينال رضاه وثوابه؛ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

الابتلاء والاختبار سنة كونية: إن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان وكرمه، ابتلاه واختبره، وكان أول اختبار لأبينا آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35]؛ وقال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 117]؛ فكان هذا أول اختبار وأول ابتلاء.

وكان الابتلاء والاختبار من سنن الله الكونية على البشر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

1 الصَّلَافِي، علي محمد محمد، الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية. (ص: 85).

جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[الأنعام: 165]﴾؛ وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7]؛ وقال سبحانه: ﴿لَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2]؛ وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7]؛ وقال سبحانه: ﴿وَلِنَبْلُوْتَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]؛ والابتلاء يكون بالحسنات والسيئات؛ قال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168]؛ وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: 15، 16].

قال ابن القيم (ت: 751هـ): " فالابتلاء كبر العبد ومحك إيمانه فيما أن يخرج تبراً أحمر وإما أن يخرج زغلاً محضاً وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه ويبقى ذهباً خالصاً فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه بشكره ولسانه". (1)

وقد ورد عن الحسن قوله: «... إِنَّكَ لَتَعْرِفُ النَّاسَ مَا كَانُوا فِي عَافِيَةٍ فَإِذَا نَزَلَ بِلَاءٌ صَارَ النَّاسُ إِلَى حَقَائِقِهِمْ صَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيْمَانِهِ وَالْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ». (2)

المصير الأخروي: إن من المشكلات الفكرية التي تشغل بال الإنسان هو مصيره في هذه الحياة، وما بعد الحياة الدنيا، ولقد عالج القرآن الكريم هذه القضية وعلقها بقضايا أخرى مرتبطة بالغاية الوجودية للإنسان في هذه الأرض، وبين أن هذا الخلق وعظمة هذا الكون لم تكن لتخلق عبثاً، وإنما لغاية أسمى تتعلق بعلم الله وحكمته وعزته، قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

1 ابن قيم الجوزية (ت: 751 هـ)، طريق المهجرتين وباب السعادتين. (ص: 417).

2 أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: 241 هـ)، الزهد. (ص: 233).

أَمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿[المؤمنون: 115، 116]، ثم ركز القرآن على مسألة الرجوع وعلقها بالخلق وبالحياة والممات وبالملك والحساب، فقال سبحانه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 28] ؛ وقال سبحانه: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281] ؛ وقال سبحانه: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [يونس: 56] ؛ وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] ؛ وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [القصص: 70] ؛ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [القصص: 88] ؛ وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [الروم: 11] ؛ وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 11] ؛ وقال سبحانه: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدَأُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [يس: 83] ؛ وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [فصلت: 21] ؛ وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجِعُونَ﴾ [الجاثية: 15].

يؤكد القرآن أن فهم هذه الأسئلة الكبرى هو جزء من السعي نحو الحقيقة الوجودية والعيش وفقاً لتوجيهات الله تعالى الخالق والعالم بأسرار هذا الكون، مما يساعد البشر على تحقيق السلام الداخلي والرضا النفسي. هذه الإجابات توفر للإنسان إطاراً لفهم دوره في الحياة والكون. وتجعله ذا قيمة بين جميع المخلوقات لأنه أنيطت به المسؤولية والخلافة الأرض، قال سبحانه ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62] ؛ وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

المبحث الرابع

العلم والمعرفة

إن من أعظم المشكلات التي تواجه الفكر الإنساني أيضا هي مشكلة العلم والمعرفة، فالعلم والمعرفة لها ماهية ووظيفة في هذه الحياة، وينقسم العلم والمعرفة إلى جانبين جانب متعلق بالحياة الآخرة، وجانب متعلق بالحياة الدنيا أو ما يعرف بالحياة المادية، ونجد القرآن حث على كلا الجانبين من خلال هذه العناصر:

أولاً: تعزيز العلم والمعرفة: يشجع القرآن على طلب العلم والمعرفة، معتبراً أن ذلك من أبرز الوسائل للارتقاء بالفكر الإنساني، وكان أول ما أكرم به آدم هو تعليمه الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31]، وكانت أول سورة أنزلت على نبينا -صلى الله عليه وسلم- تحث على العلم والقراءة؛ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]؛ وقال تعالى ﴿مَا كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79].

كما أن الله سبحانه وتعالى سخر لنا كل ما هو حولنا في هذه الحياة حتى يرتقى الإنسان بالفكر والمعرفة ليستغل قدر معرفته وعلمه من نعم الله في الأرض والبر والبحر وغيرها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمَنِ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: 20]، وقال سبحانه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِغْثَافَكُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: 33].

ثانياً: رفع شأن العلماء: رفع الله عز وجل شأن العلماء حتى أنهم قرئهم بشهادته على وحدانيته؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]؛ وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]؛ وقال سبحانه: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ

وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿ [النساء: 162]؛ وقال سبحانه: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿ [الإسراء: 107]؛ وقال سبحانه: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ [المجادلة: 11]؛ وقال سبحانه: ﴿ تَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿ [فاطر: 28].

بل أمر سبحانه وتعالى الرجوع إلى أهل العلم، بل أمر بطاعتهم فيما أطاعوا فيه الله ورسوله، قال تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿ [النساء: 83]؛ وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ [النساء: 59]؛

وحت نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على طلب العلم فقال: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ". (1)

حث القرآن على تعزيز العلم والمعرفة: القرآن الكريم هو مصدر هداية وإرشاد للبشرية، وقد أولى أهمية كبيرة للعلم والمعرفة باعتبارهما وسيلة لفهم الكون وسبيلًا لمعرفة الله الخالق. يُعتبر العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحث على التعلم والتفكير والتدبر.

يشكل العلم والمعرفة جزءًا لا يتجزأ من تعاليم الإسلام، حيث يشجع القرآن الكريم على البحث عن المعرفة والتفكير في خلق الله وفهم تعاليم الدين بشكل أعمق. يُعتبر العلم في

الإسلام وسيلة لتحقيق التقدم والازدهار، ووسيلة لتعزيز الإيمان بالله وفهم عظمتهم في خلق الكون.

المبحث الخامس

التحذير من الهوى والضلال

إن من أعظم المشكلات التي تواجه الفكر الإنساني أيضا هي مشكلة اتباع الهوى وطرق الغواية والضلال، ولقد عالج القرآن الكريم هذه الظاهرة استباقيا، لأنه هو العالم الخبير. **تحذير القرآن من الهوى والضلال:** يعتبر القرآن الكريم مصدرا أساسيا للتوجيه والإرشاد في حياة المسلمين، حيث ينبه البشر إلى مخاطر اتباع الهوى والضلال. وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحذر من هذه الأمور، وتدعو إلى اتباع الحق والاستقامة.

ونجد أن الله سبحانه وتعالى حذر أبونا آدم منذ أن خلقه وبين له عدوه وبين له طريق الشقاء ليتجنبها، قال تعالى عن آدم وزوجه: ﴿أَلَمْ أَهْكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]؛ وقال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 117]؛ وحذر سبحانه وتعالى بني آدم من الشيطان وبين أنه عدو للإنسان بصفة عامة، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168]؛ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5]؛ وقال سبحانه: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: 15]؛ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6]؛ وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: 60]؛ وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: 62].

كما حذر سبحانه من اتباع الهوى، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾ [النساء: 135]؛ وقال سبحانه: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص: 26]؛ وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: 40].

وزجر القرآن كل من اتبع هواه، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: 176]؛ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ

ذِكْرَنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿[الكهف: 28]﴾؛ وقال سبحانه: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَزْدَى﴾ [طه: 16]؛ وقال سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]؛ وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23].

يقول البشير الإبراهيمي (ت: 1385هـ): "ويا للعجب من بيان القرآن وبيناته وإعجازه بفنون إيجازه. إن الاتباع ضرب من قَفْو أثر الغير وترسم خطاه والانقياد له وجعل الهوى تبعاً للهوى مع اطمئنان بالمشاركة في النتيجة خيراً كانت أو شراً. وفي معناه من المهجنة أنه ينافي الاستقلال الفكري في الفكريات والذاتي في الذاتيات، فتجد القرآن يدفع عنك أثر هذه المهجنة العارضة فيأمرك بالتدبر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يأمرك بالاتباع، حتى تطمئن إلى أنك إنما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة، ثم إذا أمرك بالاتباع فإنما ذاك فيما يتعالى على فكرك إدراكه أو يصعب عليك تمييزه أو يخاف فيه غلبة الأهواء عليك. وبعد الأمر ينهى عن اتباع الهوى المضلّ عن سبيل الحق، وعن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وعن اتباع خطوات الشيطان، وعن اتباع أولياء من دون الله، وعن اتباع السبل المتفرقة، توكيداً للمعنى الإيجابي وإيضاحاً للحق الذي يجب أن يتبع". (1)

التحذير من الضلال في القرآن الكريم: الضلال هو الابتعاد عن الطريق المستقيم، وهو من الأمور التي حذر منها القرآن بشدة. فالضلال يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، ويؤكد القرآن الكريم على أهمية التمسك بالهدي الإلهي لتفادي السقوط في الضلال. ومن الآيات التي تشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: 88]؛ وقال سبحانه: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 39]؛ وقال

1 الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام مُحَمَّدُ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِي. (1/ 322).

سبحانه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 178] ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: 186]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: 33]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء: 97]؛ وقال سبحانه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: 17]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الشورى: 44].

وبين سبحانه وتعالى طرق الضلال، بما لا يلتبس، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصْرِفُونَ﴾ [يونس: 32]؛ وقال سبحانه: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18]؛ وقال سبحانه: ﴿يَدْعُو مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: 12].

وكل من اشترى الضلالة وترك الهدى ضل عن السبيل، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16] وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175] وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: 44] وقال سبحانه: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالََةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالََةُ﴾ [النحل: 36] وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالََةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم: 75].

أهمية اتباع الحق: لتجنب الهوى والضلال، يشدد القرآن على ضرورة اتباع الحق والتمسك بالقيم الدينية الصحيحة. فالحق هو النور الذي يهتدي به الناس في ظلمات الحياة، وهو

السبيل إلى السعادة الحقيقية. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174]؛ وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]؛ وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

وسائل الوقاية من الهوى والضلال:

- الالتزام بالقرآن والسنة: يعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية المصدرين الرئيسيين للهداية.
 - التوبة والاستغفار: يُنصح المسلمون بالتوبة عن الذنوب والاستغفار لتطهير النفس من الهوى.
 - صحبة الصالحين: الصحبة الصالحة تساعد في التمسك بالحق والابتعاد عن الضلال.
 - التفكير والتدبر: التفكير في خلق الله وآياته يعين على تعميق الإيمان والتمسك بالحق.
- بتحذيراته من الهوى والضلال، يقدم القرآن الكريم للمسلمين الإرشادات الضرورية لحياة متوازنة وصالحة، مما يعزز من قدرتهم على الابتعاد عن الفتن والتمسك بالحق.

الخاتمة:

1. يعد القرآن الكريم مرجعاً هاماً لمعالجة مشكلة الفكر الإنساني، حيث يوجه الإنسان نحو التفكير السليم والتأمل العميق في الذات والكون، مما يعزز من قدراته على مواجهة تحديات الحياة بطريقة أكثر حكمة وإدراكاً.
2. يُعدّ القرآن الكريم مصدراً رئيساً للفكر الإنساني، حيث يقدم توجيهات شاملة ومستدامة لمعالجة مشكلات الفكر الإنساني وتطوره.
3. يتناول القرآن الكريم قضايا جوهرية تتعلق بالفكر البشري، مثل الحرية، والمسؤولية، والإيمان، والاستقامة.
4. يُبرز القرآن الكريم أهمية الفكر الإنساني الناضج والمتوازن. إنه يقدم حلولاً شاملة لمشكلات الفكر البشري، مما يساعد على بناء مجتمع متحضر يزدهر فيه العلم

والأخلاق.

5. من خلال اتباع مبادئ القرآن، يمكن للإنسان أن يحقق نموًا فكريًا وروحيًا يساهم في تحسين حياته وحياة من حوله.

التوصيات:

1. يجب التعريف بالمقاصد العظمى للقرآن الكريم، وبيان محاوره وفعاليته في مواكبة مشكلات العصر.
2. تصنيف موضوعي للقرآن الكريم يتناول فيه كيفية حل مشكلات الفكر الإنساني.
3. بيان إحصائي لمعالجة القرآن الكريم لمشكلات الفكر الإنساني.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو بكر البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (1415 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- الإبراهيمي، محمد بن بشير، (1997م)، آثار الإمام محمد البشير، ط: الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422 هـ)، صحيح البخاري، ط: الأولى، الناشر: دار طوق النجاة.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685 هـ)، (1418 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط: الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، (1422 هـ)، جامع المسائل لابن تيمية، ط: الأولى، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، (1987م)، الفتاوى

- الكبرى لابن تيمية، ط: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، (1985م)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، الرازي، (1419 هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط: الثالثة، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية.
- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، (2000 م)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، (1999 م)، الزهد، ط: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، (2009 م)، سنن أبي داود، ط: الأولى، الناشر: دار الرسالة العالمية.
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، (1990م)، تفسير المنار، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- شمس الدين القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، (2003 م)، الجامع لأحكام القرآن، ط: الأولى، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (1414 هـ)، فتح القدير، ط: الأولى، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
- الصَّالَّاوي، علي محمد محمد، (2011م)، الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (ت: 1393هـ)، (1984هـ)، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس.

عبد الوهاب، محمد حلمي، (2012م)، القيم الروحية في الإسلام، إصدار: روافد. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1432هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط: الأولى، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1994م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط: السابعة والعشرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1994م)، طريق المحجرتين وباب السعادتين، ط: الثانية، الناشر: دار ابن القيم - الدمام.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1996م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط: الثالثة، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطب النبوي، الناشر: دار الهلال - بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، (1419هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي ييـضون - بيروت.

المراغي، أحمد مصطفى، (1985م)، تفسير المراغي، الطبعة: 2، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

مرسي، محمد منير، (2005م)، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، الناشر: عالم الكتب.

مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

**مناهج القرآن الكريم في القضاء
على المشاكل المالية وتحسين الكسب**

د. حكيم إبراهيم عبد الجبار الشميري

**Department of Sharia and Islamic
Studies, University of Sultan
Azlan Shah, Malaysia**

aabobhaa@yahoo.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الشميري، حكيم إبراهيم، مناهج القرآن الكريم في القضاء على المشاكل المالية وتحسين الكسب، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 157-195.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0196>

الملخص:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم وفيه الحلول الكافية لجميع المشاكل المالية المستعصية في المجتمعات البشرية، وتميز القرآن الكريم بمناهج متعددة وطرق مختلفة لحل هذه المشاكل التي كانت وما زالت تؤرق الفقراء والمساكين، وتهدد المجتمع والبشرية، وتزعزع الاستقرار، وتخلق الاضطرابات، وتولد الطبقية في المجتمع والإنسانية. ونحن نهدف من خلال هذه الدراسة بيان مناهج القرآن الكريم في حل هذه المعضلات المالية والقضاء على الطبقية ورفع المعاناة عن الفقراء والمساكين، وتحسين معيشتهم، كما نهدف من إلى إبراز الخصائص الإصلاحية في المعاملة الإسلامية التي انفرد بها القرآن الكريم عن غيره، واستطاع من خلالها القضاء على المشاكل المالية وخلق فرصاً متعددة للكسب وضبط طرق الإنفاق على متطلبات الحياة. وتكمن أهمية البحث من خلال أهمية حل المشاكل المالية التي تتسبب في اضطرابات المجتمع البشري وتعمل على خلق الطبقية في المجتمع. ومن أجل تحقيق الأهداف المرسومة في الدراسة سلك الباحث مناهج متعددة أبرزها الاستقراء والتحليل والاستنتاج، وتوصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن القرآن الكريم فيه الحلول الكثيرة للمشاكل المالية، وأن هذه الحلول تتسم بالعدل والإنصاف والمساواة بين الناس، وأن القرآن الكريم سن قوانين مالية، ومعايير وضوابط شرعية تضمن نمو اقتصاد الفرد والمجتمع والدولة.

الكلمات المفتاحية: المناهج، القرآن الكريم، المشاكل، المال، الكسب.

Qur'anic Approaches to Eliminating Financial Problems and Improving Livelihood

Dr. Hakim Ebrahim Abdul Jabbar Al-Shamiri

Universiti Sultan Azlan Shah, Darul Ridzuan, Bukit Chandan,
33000 Kuala Kangsar, Perak,
Malaysia

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al-Shamiri, Hakim Ebrahim, Qur'anic Approaches to Eliminating Financial Problems and Improving Livelihood, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International

Qur'anic Conference, Volume (1)٬ September 2025:157-195.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0196>.

Abstract:

Allah Almighty revealed Holy Qur'an, which contains sufficient solutions for all intractable financial problems in human societies. Qur'an is distinguished by its multiple methodologies and diverse approaches to solving these problems, which have plagued and continue to plague the poor and needy, threaten human society, destabilize stability, create disturbances, and generate class divisions in human society. Through this study, we aim to clarify Qur'anic approaches to solving these financial dilemmas, eliminating classism, alleviating the suffering of the poor and needy, and improving their living standards. We also aim to highlight the reformative characteristics of Islamic transactions, which Qur'an uniquely possesses, and through which it has managed to eliminate financial problems, create multiple opportunities for earning, and regulate spending methods on life's necessities. The importance of this research stems from the importance of solving financial problems that cause disturbances in human society and contribute to the creation of class divisions. To achieve the study's objectives, the researcher employed multiple methodologies, most notably induction, analysis, and deduction. The researcher expects to reach several conclusions through this study, the most important of which are that Holy Qur'an offers numerous solutions to financial problems, that these solutions are characterized by justice, fairness, and equality among people, and that Holy Qur'an has legislated financial laws, standards, and legitimate controls that ensure the economic growth of the individual, society, and the state.

Keywords: Approaches, Holy Qur'an, Problems, Money, Livelihood.

المقدمة:

من المسلم به أن القرآن الكريم كلام الله الذي يعلم كل شيء ومطلع على كل شيء وأنه لا يخفى عليه شيء في

الأرض ولا في السماء، ويعلم ما يصلح للإنسان وما لا يصلح له من أمور الدنيا والدين، فهو شامل لجميع القضايا. ولم يقتصر على الجانب الروحي والمعنوي للإنسان فقط؛ بل تناول جوانب الحياة المختلفة، بما فيها الجانب المالي. فهو يقدم إرشادات وتوجيهات شاملة لكيفية التعامل مع تحسين الكسب والزيادة في الدخل والحفاظ على المال والثروة، وذلك من منظور إيماني وعقائدي. فالقرآن يسعى إلى بناء مجتمع عادل قائم على التكافل الاجتماعي والعدالة في توزيع الثروة. وله تأثير كبير في تشكيل الاقتصاد الإسلامي. يُقدم رؤية شاملة ومتكاملة للقضايا المالية، وهي رؤية تساهم في بناء الفرد المسلم والمجتمع والدولة. ويعتبر تحسين الدخل أحد الأهداف الرئيسية التي يسعى إلى تحقيقها التشريع الإسلامي وقد أولى القرآن الكريم اهتماماً كبيراً للمسائل الاقتصادية، ووضع أسساً وقواعد لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة. وضع مناهج مختلفة التي يمكن أن تساهم في تحسين عملية الدخل، مع التركيز على الجوانب العملية والتطبيقية. التي يمكن أن تساهم بشكل كبير في تحسين عملية الدخل وتحقيق الرخاء والاستقرار.

أهمية الدراسة: تتمثل في معالجة القضايا المالية وتحسين عملية الدخل للأفراد والمجتمع والمؤسسات المالية. من منظور القرآن الكريم، والعمل على تحقق الآيات القرآنية التي ترشد المسلم إلى العمل بالتوجيهات الربانية في الكسب والإنفاق، وتعميق الفهم للنصوص الشرعية من خلال ربطها بالواقع المالي والاقتصادي.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة فيما يأتي:

1. رغم الفوائد الجمة التي تكمن في النصوص القرآنية التي تحث على الكسب والإنفاق؛ إلا أن الكثير من المجتمعات البشرية تجهل مكانة المعاملة المالية الإسلامية.
2. اختلاف المنهجية المالية الإسلامية في تعاطيها مع المجتمع، وتحريمها استغلال الأغنياء للفقراء والمساكين والمحتاجين، وهذا يدفع الأغنياء إلى محاربة النظام المالي الإسلامي، في المصارف المالية والمؤسسات الاقتصادية.

3. ضعف المسلمين في جميع مرافق الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية، عطل الكثير من الاستفادة من الثروات والتطوير والانتاج مما قلص دخل الفرد وانتشار الفقر والجهل والتخلف.

4. هناك صعوبة في التوافق بين الاقتصاد المالي الإسلامي الذي يبنى نظرياته المالية على الإنسانية والرحمة بالفقراء والمساكين وبين النظام الرأسمالي الذي يستبيح جميع القيم والأخلاق في سبيل الأرباح التي ينهبها من الطبقات الفقيرة في المجتمع. مما يؤدي إلى ازدياد الفقر وانتشار البطالة وتدني الأجور.

5. ندرة المتخصصين في الجوانب المالية الإسلامية وقلة الإمكانات لديهم وضعف رأس المال المستثمر، مقارنة بالاقتصاد الرأس مالية الذي يستحوذ على الكثير من المؤسسات المالية والمصارف البنكية.

أهداف الدراسة:

1. تقديم حلول عملية للمشكلات المالية التي تواجه المجتمعات الإسلامية.
2. الإسهام في تطوير الدخل المالي، من خلال تطبيقات النصوص الشرعية والعمل بمقتضى التعليمات الربانية في حل ظاهرة الدخل المحدود.
3. إبراز أهمية الجانب المالي الإسلامي، والسعي إلى توظيف النص الشرعي، والاستفادة منه بشكل أعمق وأشمل للحياة.
4. دمج الدراسات المالية المنصوص عليها في القرآن الكريم مع الدراسات المالية الأخرى، ومعرفة مميزات المعاملة المالية الإسلامية.

منهجية الدراسة:

تنوع المناهج المستخدمة في هذه الدراسة المالية في ضوء القرآن الكريم. وإليك بعض أهم هذه المناهج التي سوف نستخدمها.

المنهج الاستقرائي: يعتمد هذا المنهج على استقراء النصوص القرآنية التي تحث على زيادة الكسب والإنفاق والعمل الجاد في تحسين الدخل للفرد والمجتمع والدولة.

المنهج العلمي التجريبي: يستخدم هذا المنهج الأدوات والأساليب والخبرات العلمية والتجريبية للتحقق زيادة الدخل المحدود طبقاً للتعليمات والتوجيهات المنصوص عليها في القرآن الكريم.

المنهج الاستنتاجي: يبحث هذا المنهج في النتائج التي تنتج من تصب في معرفة الإيجابيات والسلبيات التي يقع فيها المجتمع الإسلامي عند التطبيق للنصوص الشرعية، أو معرفة الإيجابيات التي يتميز بها النظام المالية الإسلامي.

الدراسة السابقة:

قُدِّمت دراسات كثيرة حول تحسين الدخل والكسب المالي، ومن ضمن هذه الدراسات (مبادئ الإصلاح الاقتصادي في القرآن الكريم) للباحث ناجي فرج التكواري. وقد ناقش في دراسته اهتمام القرآن الكريم المعايير القرآنية التي تعالج الجوانب الاقتصادية والمالية، ومناهجه ومسالكه في تحسين الدخل المالي. وهناك كتب تهتم بالاقتصاد والكسب وفق النصوص الشرعية. وهذا كتاب الكسب محمد بن الحسن الشيباني، الذي يبين من خلاله فرضية الكسب في المال وزيادة الدخل للفرد. وهناك دراسة في الإعجاز الاقتصادي في الادخار والاستثمار في ضوء القرآن والسنة. للباحث مجدي محمد مدني. ويناقش الغاية والشرعية من زيادة الرزق الذي يعمل على إعمار الأرض. وهذا البحث يناقش العوامل الروحية والعوامل الحسية التي تحافظ على التوازن الاقتصادي، وتعمل على بركة الرزق وزيادته وتحسين الاقتصاد في المجتمع وحل المشاكل المالية التي تعيق مجرى الحياة، وتكدر المعيشة.

هيكل الدراسة:

يتكون هذا البحث من:

المقدمة، وتشمل أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه ومناهج الدراسة، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: مشروعية تحسين الكسب المالي.

المبحث الثاني: المنهج العملي التطبيقي لتحسين الكسب المالي.

المبحث الثالث. المنهج الروحي المعنوي للكسب المالي

الخاتمة، والنتائج، التوصيات.

المبحث الأول

مشروعية تحسين الكسب المالي

المطلب الأول: مفهوم الكسب لغة واصطلاحاً:

الكسب في اللغة: وهو الدخل وطلب الرزق⁽¹⁾. مصدره كَسَبَ. وعرفه المناوي: بأنه كل ما يتحرره الإنسان مما فيه اجتلاب نفعٍ وتحصيل حظ، وقد يستعمل فيما يظن أنه يجلب منفعة ثم هو في الحقيقة يجلب مضرة⁽²⁾. فالاكتساب في عرف أهل اللسان تحصيل المال بما يحل من الأسباب واللفظ في الحقيقة يستعمل في كل باب وقد قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267]. وقال عز وجل ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. أي بجنايتكم على أنفسكم فقد سمي جناية المرء على نفسه كسباً وقال جل وعلا في آية السرقة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38]. أي باشرا من ارتكاب المحذور فعرفنا أن اللفظ مستعمل في كل باب ولكن عند الاطلاق يفهم منه اكتساب المال. وكلمة الاكتساب تتردد في عالم الاقتصاد المالي، وهي من الكلمات التي انفرد باستعمالها الاقتصادي الإسلامي البديل عن مفهوم العمل وهي كلمة استخدمت في القرآن والسنة قال تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 2]. لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267]. ولقد اقترنت بكلمة الكسب عدة معاني أشارت إلى هذا جميع تفسيرات

(1) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح.

(2) المناوي، زين الدين محمد، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 281.

كلمة الكسب التي وردت في القرآن الكريم، وهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، [النساء: 32]. أي كل له جزاء على عمله وبحسب قدرته. وعن رافع بن خديج، قال: قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أنواع الكسب

الكسب المالي له قنوات متنوعة وطرق مختلفة، منها ما تكون قنواته مشروعة، ومنها تكون قنواته مكروهة، أو محرمة حسب مصدر الدخل وإليك بعض قنوات الكسب.

أ. **الكسب الحلال**: كل كسب لم يرد في أصله نهي ولا زجر من قبل الشارع فهو كسب حلال، حيث الأصل في الأشياء الإباحة. ولكن العلماء اختلفوا في أطيبها وأحسنها فمنهم من قال الزراعة ومنهم من قال التجارة، ومنهم من قال الصنعة والحرفة، بعد اتفاقهم على أن الغنيمة أفضلهم، لما فيها من إظهار عزة الإسلام وحماية شعائره.

ب. **الكسب المكروه**: وهو كل مال اعتراه شبه، أو شك في مصدره لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ»⁽²⁾. أو اختلط المال الحلال بالحرام، أو عمل في الأعمال المحرمة كبيع الخمر وبيع لحم الخنزير في المحلات التجارية في بلاد الكفار أو بلاد المسلمين؛ لأنه أصبح في بلاد المسلمين بيع الخمر موجود في أغلب البلدان، وكذلك الأخذ من عطايا الحاكم إذ الأغلب على ماله الحرام، واحتج أحمد بأن جماعة من الصحابة تنزهوا عن مال السلطان؛ منهم حذيفة، وأبو عبيدة، ومعاذ، وأبو هريرة، وابن عمر. ولم ير ذلك حراماً؛ فإنه سئل، فقيل له: مال السلطان حرام؟ فقال: لا، وأحب إلي أن يتنزه عنه⁽³⁾.

قال محمد بن رشد: إن كان الذي في يده من السلطان هو الأكثر فلا خير في قبول صلته

(1) البيهقي، أحمد بن الحسين، 237/4، رقم 1854. كتاب البيوع. باب البيوع.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، 53/3. رقم 1. كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات.

(3) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني لابن قدامة، (6، 490).

ولا أكل طعامه، وإن كان الذي ورث هو الأكثر فأحب إليه أن يتنزه عن أخذ صلته وأكل طعامه؟ ففرق بين المال الذي جله حرام أو جله حلال بين الهبة والميراث⁽¹⁾. وكذلك كل مال اكتسبه المرء من مصدر يكره التكسب منه فيكره المال بکراهية مصدره؛ اعتباراً بحكم الوسائل فكل ما كان مصدره حلال كان حلالاً قطعاً، وما كان مصدره حراماً فهو حرام قطعاً، وما كان مصدره مكروهاً فهو مكروه اتفاقاً. قال جماعة من أصحابنا: يجوز العمل مع السلطان وقبول جوائزه، وقيدته في الترغيب بالعدل، وقيدته في التبصرة بمن غلب عدله، وأنها تکره، في رواية، وقيل للإمام أحمد في جائزته ومعاملته، فقال: أكرههما، وجائزته أحب إلي من الصدقة، وقال: هي خير من صلة الإخوان، وأجرة التعليم خير منهما، ذكره شيخنا. وقال أيضاً: ليس بحرام. وقال أيضاً: يموت بدينه ولا يعمل معهم. وقال بهجرانه، ويخرجه إن لم ينته، وهجر أحمد أولاده وعمه وابن عمه لما أخذوها⁽²⁾.

ج. **الكسب الحرام:** كل مال حرمه الشارع ونهى عن أخذه مثل الرشوة، قال رسوله الله صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ وَالرَّائِشَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا»⁽³⁾، والتطفيف في الكيل والوزن قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 1-3] وخداع المشتري والغش، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْلاَ جَعَلْتُهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»⁽⁴⁾. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]. ومنها: السرقات والسلب والنهب والخيانة، والتعامل بربا، وكل ما نهى عنه الشارع من خمر وقمار وبيع النجاسات وثن الكلب، وكسب الحجام،

(1) ابن رشد، محمد بن أحمد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، 579/1.

(2) ابن مفلح، محمد بن مفلح، 393/4.

(3) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، 148/4. رقم 7068. كِتَابُ الْأَطْعَمَةِ.

(4) مسلم، صحيح مسلم، 99/1. رقم 102. كتاب الإيمان. بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

وكسب الفروج وعسب الفحل.

المطلب الثالث: أهمية الكسب في الإسلام:

يعد الكسب في الإسلام من أهم الأولويات التي يدعو إليها، ويحث الناس على ممارستها فالتكسب له منزلة عظيمة تفوق العبادات وتتقدمه، قال تعالى: ﴿وَأَخْرُوزَ يَصْرُبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل:20]. فالإسلام عدّ السعي في الأرض وخدمة المجتمع وتنميته من أفضل ضروب العبادة، لأن الإسلام لم يكن ديناً كهنوياً مقتصرًا على الطقوس والطلاسم؛ أو يكتفي بالتسبيح والتهليل في زوايا المساجد وفي المحارب، الإسلام يعلم الإنسان الحياة المكتملة الأركان، ففيه الجهاد وفيه الرحمة واللين، وفيه العبادات وفيه المعاملات، وعلى المكلف حقوق وواجبات فإذا قعد عن الكسب وعجز عن أداء الواجب. وكان عمر - رضي الله عنه يقول: إني أكره الرجل أن أراه يمشي سبهلاً أي: لا في أمر الدنيا، ولا في أمر الآخرة. وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «يَعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»⁽¹⁾. وروى الإمام الطبراني - رحمه الله - في المعجم الكبير، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَوْ سَخِرْتُ مِنْ كُلِّ لَحْشِيَةٍ أَنْ أَكُونَ كَلْبًا، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى الرَّجُلَ فَارِغًا، لَيْسَ فِي عَمَلٍ آخِرَةٍ، وَلَا دُنْيَا»⁽²⁾. وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَفْعَلْ»⁽³⁾. وقد حث الإسلام المسلمين على الإحسان في العمل، والاتقان في الحرف والصناعة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:30]. إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه". حتى في حفر القبر يلزم الاتقان فيه بسد مكان الفرج فيه، روى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم: رأى فرجة في القبر حين مات ابنه إبراهيم فأمر بها أن تسد، ف قيل: يا

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، رقم 6412. كِتَابُ الرِّقَاقِ. بَابُ: لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ. 88/8.

(2) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، 102/9.

(3) الشيباني، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 296/20.

رسول الله هل تنفعه؟ فقال: «أَتُنِي بِمَكْرَةٍ لِأَسُدَّهَا، أَمَا إِنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَكِنْ يَقَرُّ بِعَيْنِ الْحَيِّ»⁽¹⁾.

المطلب الرابع: مشروعية الكسب

مع أن الكسب أهم عصب الحياة وأهم مقوم المعيشة، فيصبح بهذا في نظر الشارع من الضروريات الشرعية والواجبات الدينية. ويكون الكسب تارة على النفس وتارة يكون الكسب على من وجبت عليه نفقته ومؤنته ولهذا يكون فرض في تحصيل المال الذي لا بد منه في تحقيق ما لا يتحقق إلا به. وقد وردت نصوص كثيرة تحت على الكسب كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168] أي احرصوا على كسب الحلال وتجنبوا الحرام. وفي سورة التوبة، أمر الله بالعمل: فقال عز من قائل: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 109]. وقد اختلف العلماء في الحكم الشرعي للكسب، حيث انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

القول الأول: ذهب الجمهور من الفقهاء رحمهم الله تعالى من أهل السنة والجماعة أن الأصل في الكسب الجواز، لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]؛ لكن الكسب بقدر ما لا بد منه واجب. لأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، قال محمد الشيباني: المذهب عند جمهور الفقهاء رحمهم الله من أهل السنة والجماعة أن الكسب بقدر ما لا بد منه فريضة⁽²⁾.

القول الثاني، الكرامية: وقالت الكرامية الكسب مباح بطريق الرخصة لأنه لا يخلو إما أن يكون فرضاً في كل وقت أو في وقت مخصوص، والأول باطل لأنه يؤدي إلى ألا يتفرغ أحد عن أداء هذه الفريضة ليشغل بغيرها من الفرائض والواجبات، وثاني باطل لأن ما يكون فرضاً في وقت مخصوص شرعاً يكون مضافاً إلى ذلك الوقت كالصلاة والصوم ولم يرد الشرع

(1) الصنعاني، عبد الرزاق، المصنف، 507/3.

(2) الشيباني، محمد بن الحسن، الكسب، ص44.

بإضافة الكسب إلى وقت مخصوص. فتبين ذلك أن الكسب ليس بفرض أصلاً والدليل عليه أنه لو كان أصله فرضاً لكان الاستكثار منه مندوباً إليه أو كان نفلاً بمنزلة العبادات والاستكثار منه مذموم كما قال الله تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: 20]⁽¹⁾.

القول الثالث: وذهب قوم من جهال أهل التقشف وحمقى أهل التصوف أن الكسب حرام لا يحل إلا عند الضرورة بمنزلة تناول الميتة وقالوا إن الكسب ينفي التوكل على الله أو ينقص منه وقد أمرنا بالتوكل قال الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] فما يتضمن نفي ما أمرنا به من التوكل يكون حراماً والدليل على أنه ينفي التوكل قوله صلى الله عليه وسلم «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرْوُحُ بِطَانًا»⁽²⁾. وفي هذا حث على ترك الاشتغال بالكسب وبيان أن ما قدر له من الموعود يأتيه لا محالة⁽³⁾.

الراجع من الأقوال: الراجع من هذه الأقوال هو الأول لأن الله سبحانه وتعالى نجده في محكم آياته: يحث المسلم دومًا على العمل الجاد المثمر المتواصل. فالإنسان مكلف بالعمل ليعمر الأرض، التي جعله الله فيها خليفة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6]. قال تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105]. فلم يرض الله للمسلمين، أن يعتكفوا في المساجد دون الضرب في مناكب الأرض، واستغلال ثرواتها لصالح البشرية؛ بل أمرهم بالجمع بين أداء واجبات العبادة، والعمل في الكسب والنفقة على الذراري والزواج. والأهل والحباب، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي

(1) المصدر السابق: 44/1.

(2) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 573/4. رقم 2344. بَابُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ.

(3) المصدر السابق: 47/1.

الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة:10]. قال ابن تيمية: وهذا وإن كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات، وهذا أمر والأمر يقتضي الإيجاب فالاستعانة بالله واللجوء إليه في أمر الرزق⁽¹⁾. وقال محمد بن الحسن الشيباني: والدليل على وجوبه أن الله تعالى أمر بالإنفاق على العيال من الزوجات والأولاد والمعتدات ولا يتمكن من الإنفاق عليهم إلا بتحصيل المال بالكسب وما يتوصل به إلى أداء الواجب يكون واجباً والمعقول يشهد له فإن في الكسب نظام العالم والله تعالى حكم ببقاء العالم إلى حين؛ بل جعل بعض العلماء أن كسب الرزق أفضل من العبادات النافلة، وجه هذا القول أن منفعة الاكتساب أعم، فإن ما اكتسبه الزارع تصل منفعته إلى الجماعة عادة والذي يشتغل بالعبادة إنما ينفع نفسه لأن بفعله يتحصل النجاة لنفسه ويحصل الثواب لجسمه وما كان أعم نفعا فهو أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس ولهذا كان الاشتغال بطلب العلم أفضل من التفرغ للعبادة لأن منفعة ذلك أعم ولهذا كانت الإمارة والسلطنة بالعدل أفضل من التخلي للعبادة كما اختاره الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم لأن ذلك أعم نفعا وإلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال»⁽²⁾. يعني طلب الحلال للإنفاق على العيال والدليل عليه أنه بالكسب يتمكن من أداء أنواع الطاعات من الجهاد والحج

والصدقة وبر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الأقارب والأجانب⁽³⁾.

المطلب الخامس: خصائص الكسب المالي في القرآن الكريم

الكسب المالي في الإسلام يتميز بمجموعة من الخصائص التي تميزه عن الأنظمة المالية التقليدية، وهذه الخصائص مستمدة من الشريعة الإسلامية ومبادئها. حيث يعتمد الكسب

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الزهد والورع والعبادة، ص94.

(2) قال العراقي منكر. العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، ص 536.

(3) الشيباني، محمد بن الحسن، الكسب، ص44.

المالي الإسلامي على تقسيم المعاملات المالية إلى حلال وحرام، ويجرم الربا (الفائدة) والغرر (الغموض والمخاطرة) والمضاربة المحرمة. ويشجع في الوقت نفسه على المشاركة في الربح والخسارة في التجارة ويمنح العميل توجيهات متقنة تجنبه الخسارة وتوفر له الربح في الدنيا والآخرة. ويسعى النظام الإسلامي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال توزيع الثروة والقضاء على الطبقة في المجتمع الإسلامي، ويحث على الاستثمار في المشاريع المشروعة، ويركز على استثمار الأموال التي تساهم في النمو الاقتصادي وتخدم المجتمع ويضمن الحرية الاقتصادية للأفراد والشركات، مع وضع ضوابط تضمن عدم استغلال الآخرين. وتخضع المعاملة الإسلامية الشرعية لضمان مطابقتها لأحكام الشريعة وعدم السماح للتجار بسحق الفقراء والمساكين عن طريق القروض الربوية. ومن خصائص المعاملة المالية أنها تعمل على تحقيق التنمية المستدامة من خلال الاستثمار في المشاريع التي تحافظ على البيئة والموارد الطبيعية. وتهتم المعاملة المالية بالجانب الإنساني والأخلاقي في تعاملها مع العميل والمجتمع، عكس الأنظمة المالية التقليدية التي تعتمد على الربا وسحق الطبقة الفقيرة عن طريق الاستغلال لحاجتهم. وآخر ما أقوله أن النظام المالي شامل لجميع مرافق الحياة، وبمقدور جميع شرائع المجتمع الإسلامي ممارسته بدون دراسات علمية أو شهادات جامعية، أو خبرات مهنية إذا عمل بالتعاليم القرآنية والتوجيهات النبوية، على نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

المبحث الثاني

المنهج العملي التطبيقي لتحسين الكسب المالي

المطلب الأول: التعريف بالمنهاج

المنهج في اللغة: هو الطريق الواضح، والواسع قال الفراهيدي: نهج: طريق نهج: واسع واضح، وطرق نهجة. ونهج الأمر وأنهج - لغتان - أي: وضح. ومنهج الطريق: وضحه. والمنهاج: الطريق الواضح. قال: وأن أفوز بنور أستضيء به ... أمضي على سنة منه ومنهاج، والنهجة: الربو يعلمو الإنسان والدابة. ويقال للثوب إذا بلي ولما يتشقق أنهجه البلى⁽¹⁾. وقال الرازي: (نهج) النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق. ونهج لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج. والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج. والآخر الانقطاع. وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس. وضربت فلانا حتى أنهج، أي سقط⁽²⁾. وفسر ابن عباس والحسن ومجاهد قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]. أي سبيلاً وسنة، فالشريعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشريعة، ومنه شرائع الإسلام لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شريعة⁽³⁾. وقال الإمام الشافعي، المنهاج طريقاً واضحاً، أمرنا بالاستقامة عليه، والعرب تقول: شرع السالخ إهاب الذبيحة، إذا شق بين الرجلين وفتحه⁽⁴⁾.

المنهج في الاصطلاح: المنهج هو مجموعة من الخطط والأنشطة والأساليب التي يتم اتباعها لتحقيق هدف معين. أو قوانين وقواعد تعمل على تحسين أدى الدراسة العلمية، في جميع المجالات، ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، ومع وجود حدٍّ مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون - مجموعة من المناهج لخدمة علم من

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، 393/3.

(2) الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 361/5.

(3) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 66/3.

(4) الشافعي، محمد بن إدريس، تفسير الإمام الشافعي، 757/2.

العلوم أو تحقيق هدف من الأهداف في الحياة⁽¹⁾.

ونقصد بالمناهج القرآنية في هذه الدراسة العلمية، التعليمات والتوجيهات المختلفة التي أرشدنا الله إليها في القرآن الكريم لتحقيق تحسين الكسب والزيادة من الدخل المالي، والارتقاء بالمجتمع الإسلامي إلى مصاف المجتمعات الغنية والمستقرة.

المطلب الثاني: أنواع المناهج المالية في القرآن الكريم

تختص الشريعة الإسلامية بعدة مناهج في سبيل تحسين الدخل المالي للفرد، وحل المشاكل المالية، وتتميز عن سواها بالنظام المالي القائم على العدل والإنصاف، الذي يراعي حاجة المجتمع، ويقضي على الطبقة ويعالج الفقر، ويحسن من عملية الدخل وينظم الإنفاق المالي، ويستشعر معاناة الفقراء والمساكين، ويفرض على الأغنياء جزءاً من المال للمحتاجين. كما يحتوي القرآن الكريم على منهجين أساسيين في كسب المال وتوسيع دائرة الرزق. منهج روحي ومنهج حسي.

الأول المنهج الروحي: وهو يشمل جوهر الإنسان غير المادي، وهو الذي يرتبط بالعقيدة الإسلامية والعبادات والقيم الأخلاقية، والمبادئ، والعواطف، والأفكار. والاتصال بقوة عليا، والشعور بالانتماء إلى شيء أكبر من الذات. فالمنهج المعنوي الروحي، تتفرع من خلاله مناهج عدة، عبارة عن عبادات محضة مثل: التسبيح والاستغفار والأدعية، والتوكل على الله سبحانه وتعالى، ومراقبة الله وتقواه، والصدقة، والإحسان إلى الفقراء والرحمة بالمساكين، ورعاية الأيتام. وصلة الأقرباء والإنفاق على الزوجة والأولاد. والبعد عن الحرام. والاستقامة والمحافظة على الأذكار. ويختص هذا المنهج الروحي بأنه يعمل على تركية النفس وقتل الجشع والبخل المتغلغل في نفس الإنسان، ويعالج الشح والقسوة وحب المال، ويدفع المكلف إلى مراقبة الله والخوف منه والتقرب إليه من خلال المال الذي عده الإسلام أحد أركانه، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى

(1) الصلاحي، علي محمد ، الوسطية في القرآن الكريم، الناشر، مكتبة الصحابة. 183/1.

أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونُهُ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ⁽¹⁾». **الثاني المنهج الحسي:** وهو تخطيط وتنظيم وسعي في الأرض، وبذل جهد، واكتساب حرف، والتنقيب عن المعادن في الأرض، والصيد في البحر، والزراعة، والاستفادة من جميع ما أودع الله في باطن الأرض وظاهرها من الخيرات. ويظهر من خلال هذين المنهجين تكامل وتنغم بين الروح وبين المادة، فالإسلام يهتم بالجوانب الروحية والعملية.

المطلب الثالث: منهج التخطيط والتنظيم

مفهوم التخطيط المالي في القرآن الكريم يعكس رؤية متوازنة تجمع بين الالتزام بالأخلاقيات الإسلامية والأخذ بالأسباب المادية لتحقيق الاستقرار المالي. القرآن يقدم إرشادات واضحة حول كيفية إدارة الموارد المالية بشكل مسؤول، مع التأكيد على أهمية التوكل على الله وعدم إهمال الجوانب الروحية. فالتوازن بين الإنفاق والادخار أحد ركائز المنهج المالي في القرآن الكريم، حيث يدعو إلى عدم الإسراف أو التبذير، وفي الوقت نفسه عدم البخل أو التقليل من الإنفاق في وجوه الخير. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]. هذا التوازن يعكس مفهوم التخطيط المالي السليم، حيث يجب توزيع الموارد بين الحاجات الحالية والمستقبلية. ويقدم القرآن نموذجًا عمليًا للادخار في قصة النبي يوسف عليه السلام، حيث قام بتخزين المحاصيل في سنوات الخصب لاستخدامها في سنوات القحط. يقول تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: 47]. هذا النموذج يعلمنا أهمية التخطيط المالي طويل الأجل ووضع خطط للطوارئ.

المطلب الرابع: منهج السعي وبذل الأسباب:

يعد السعي في الأرض وبذل الأسباب من أبرز المناهج الفعالة في القرآن الكريم

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري. 88/8. رقم 8. كِتَابُ الْإِيمَانِ. بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ.

لتحسين الرزق وزيادة الدخل، وهذا يعكس رؤية متكاملة تجمع بين الأخذ بالأسباب المادية والاعتماد على الله سبحانه وتعالى. يؤكد القرآن على أهمية الأخذ بالأسباب كجزء أساس من السعي للرزق. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: 15]. فهذه الآية تربط بين السعي وبين الرزق. وهذا يعني أن الله قد سخر لنا الأرض ووفر لنا مواردها، ولكن علينا أن نسعى ونعمل لنحصل على هذه الخيرات. قال ابن كثير: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً، إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: 15]. فالسعي في السبب لا ينافي التوكل⁽¹⁾. وهذا يشجع على العمل والاجتهاد والسعي في الأرض لتحصيل الرزق. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 10]. هاتان الآيتان تشير إلى ضرورة العمل والسعي في الأرض لتحقيق زيادة الرزق، حيث أن الله قد سخر الأرض للإنسان ليعمل فيها ويستفيد من خيراتها قال: أن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أحبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين⁽²⁾.

المطلب الخامس: منهج التجارة

التجارة المالية المستوفاة الشروط الإسلامية تعد أبرز مناهج القرآن الكريم لزيادة الدخل المالي، وقد نصت نصوص كثيرة على ذلك. قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]. هذه الآية تبيح البيع كونه وسيلة شرعية للكسب، بينما تحرم الربا كونه وسيلة غير عادلة. قال تعالى: ﴿وَأَخْرُوجُوا فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: 20]. يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 179/8.

(2) الخازن، علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، 294/4.

بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله: " وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله⁽¹⁾ ". وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198]. قال ابن عباس: كان ذو الحجاز وعكاظ متجرا للناس في الجاهلية، فلما كان الإسلام كرهوا ذلك، حتى نزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198]. في مواسم الحج. عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198] قال: كانوا إذا أفاضوا من عرفات لم يتجروا بتجارة، ولم يعرجوا على كسير، ولا ضالة، فأحل الله لهم ذلك. فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198]⁽²⁾. مفهوم التجارة في القرآن يعتمد على مبادئ العدل، والأمانة، والتراضي، وتجنب الغش والربا. هذا النهج يضمن تحقيق الدخل المالي بشكل مشروع، مع الحفاظ على القيم الروحية والأخلاقية. وقد تاجر النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها قبل البعثة النبوية، حين عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار. فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدم الشام، وباع النبي صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد من السلع، فلما رجع إلى مكة ودخل على خديجة رضي الله عنها وخبرها بما ربحوا سرت بذلك، إذ رجت ضعف ما كانت تربح، وأضعفت للنبي صلى الله عليه وسلم أجره التي كانت اتفقت معه عليه⁽³⁾. وكذلك عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالتجارة قبل البعثة مع عمه أبي طالب، فعندما عزم أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم على الرحيل إلى الشام لغرض التجارة، تعلق به النبي صلى الله عليه وسلم راغباً في صحبته ليتعلم بعض طرق التجارة وأسرارها، ورق له قلب عمه وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً. ولم تنقطع صلة النبي صلى الله عليه وسلم بالتجارة بعد عودته من الشام، بل كان يتاجر في بعض أسواق مكة، كسوق

(1) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 258/8.

(2) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير عبد الرزاق، 323/1.

(3) المغازلي، علي بن محمد، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص 395.

عكاظ ومجنة وذو المجاز⁽¹⁾.

المنهج السادس: منهج بناء المصانع وتأسيس الشركات

لا شك أن منهج القرآن الكريم في زيادة الكسب قائم على بناء المصانع وتأسيس الشركات، فرؤية القرآن الكريم لأهمية الحديد كونه عنصر أساس في تطور الصناعة من خلال استخدام الحديد. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25]. فهذه الآية إشارة إلى أهمية الصناعة وبناء المصانع، خاصة في مجال استخراج المعادن وتصنيعها. مما يمكن أن يفهم كدعوة إلى تطوير الصناعة والاستفادة من الموارد الطبيعية. فقله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾. فالبأس الشديد يشير إلى استخدام الحديد في الصناعات العسكرية والدفاعية، مثل صناعة الأسلحة والدروع. والمنافع للناس، يشير إلى الاستخدامات المدنية للحديد، مثل بناء المنازل، والجسور، والسيارات، الآلات المختلفة في الصناعات، وغيرها من الصناعات التي تعود بالنفع على المجتمع. وهذا نبأ الله داود عليه الصلاة والسلام كان حداثاً، وقد ألان الله له الحديد، فكان يصنع منه الدروع وغيرها من الأشياء النافعة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10]. قال الثعلبي: قوله: وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ فذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول والعجين والشمع، يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد⁽²⁾. قد قص لنا القرآن الكريم عن حياة الأنبياء والمرسلين، وأشار في آيات عديدة إلى بعض المهن التي كانوا يعملون بها؛ فهذا نوح عليه الصلاة والسلام قد صنع بيده السفينة التي كانت سبباً في نجاتهم من الغرق بعد فضل الله؛ قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَى مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38].

(1) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ص 73.

(2) الثعلبي، أحمد بن محمد.

المبحث الثالث

المنهج الروحي المعنوي للكسب المالي

المطلب الأول: منهج الإيمان بالله:

الإيمان هو التصديق الجازم بالله تعالى ورسوله، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح والأركان. وهو أساس الدين الإسلامي، ولا يقبل الله تعالى من العبد عملاً إلا إذا كان معه إيمان. وهو أساس بركة المال ونموه، فالمؤمن بالله تعالى يمتثل لأوامره، ويتوكل عليه، وينفق من ماله في وجوه الخير، ويستغفر الله تعالى، ويتحلى بالأمانة والصدق، وبذلك يجلب البركة في ماله وينميها. ومن أبرز مناهج زيادة الدخل المالي في القرآن الكريم والسنة النبوية، الإيمان بالله تعالى، فبركة النعم التي بحوزة العبد تزيد ولا تنقص، وقد وعد الله تعالى في سورة الأعراف أن من آمن بالله حق الإيمان والترم بأمره ونهي، فتح عليه بركات السماء والأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]. قال الزمخشري: ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل كفرهم وَاتَّقَوْا المعاصي مكان ارتكابها لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَاتِينَاهُمْ بالخير من كل وجه. وقيل أراد المطر والنبات وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بسوء كسبهم⁽¹⁾.

المطلب الثاني: منهج تقوى الله

التقوى هي مفهوم إسلامي شامل يشير إلى الخوف من الله وطاعته في السر والعلن، وذلك بأن يراقب العبد ربه في جميع أحواله، ويخافه في سره وعلا نيته. والإخلاص في العمل بأن يكون العمل خالصاً لله تعالى، لا يراد به رياء ولا سمعة. وتجنب نواهي، والامتنثال لأوامره. وهي جوهر الدين الإسلامي، ومفتاح الفلاح في الدنيا والآخرة. وأصل كلمة التقوى ومعناها اللغوي: فهي مشتقة من الفعل "اتقى" بمعنى "حفظ" و"صان". وفي اللغة، تعني: الوقاية والحماية: فالمتقي هو الذي يجعل بينه وبين ما يخافه ويخشاه وقاية تحميه منه. والتقوى في

(1) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 133/2.

الاصطلاح الشرعي هي: فعل الأوامر واجتناب النواهي: وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، واجتناباً لنواهيه، طمعاً في رضاه، وخوفاً من عذابه. التقوى هي أساس الدين، ومفتاح كل خير، وهي وصية الله تعالى لجميع عباده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131]. والتقوى سبب للفلاح في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَهُوَ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾ [الأنعام: 128]. وسبب لنيل محبة الله تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4]. سبب لتكفير السيئات: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5]. سبب لتيسير الأمور: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]. والتقوى هي جوهر الدين الإسلامي، ومفتاح الفلاح في الدنيا والآخرة. وهي صفة يجب على كل مسلم أن يسعى لتحقيقها، وذلك بالعمل بأحكام الإسلام، والاجتناب عن المحرمات، والإخلاص في العمل، ومراقبة الله في السر والعلن. والتقوى من أسباب زيادة الكسب المالي والخروج من ضيق الرزق وجلبه من حيث لا يحتسب الإنسان. فهناك علاقة وثيقة بين تقوى الله تعالى وزيادة الرزق، وهذا نص عليه القرآن الكريم، فالله هو الرازق لعباده فمن أتقاه وسَّعَ له من جميع أصناف المال، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2-3] قال مقاتل: مخرجاً من الشدة ويرزقه من حيث لا يحتسب يعني من حيث لا يأمل، ولا يرجو فرزقه الله - تعالى - من حيث لا يأمل ولا يرجو، ثم قال: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِي الرِّزْقِ فَيَتَّقِ بِهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ فِيمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الشَّدَةِ وَالْبَلَاءِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ قَدْرًا يَعْنِي مَتَى يَكُونُ هَذَا الْغَنِيِّ فَقِيرًا؟ ومتى يكون هذا الفقير غنياً؟ فقدر الله ذلك كله، لا يقدم ولا يؤخر⁽¹⁾. وهذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، جاء إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فشكا إليه الحاجة والفاقة، «وكان ابن له أسير» في أيدي مشركي العرب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَرْسِلْ إِلَيْهِ

(1) مقاتل، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 4/364.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن تُكثِرَ مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ⁽¹⁾» وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم، فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة، فقالت: أمه: وا سواتها! وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد، فاستبقا الباب والخادم فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه: قفا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْتَ وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِمَالِكَ⁽²⁾» ونزل: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مُؤْنَةٍ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا⁽³⁾». وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئًا لَا يَتَرَكُهُ إِلَّا لِلَّهِ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مِمَّا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَلَا تَهَاوَنَ عَبْدٌ أَوْ أَحَدَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مِمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ⁽⁴⁾. قال مسروق: أسمعت عبد الله يقول: إن أقرب آية في القرآن فرجاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾⁽⁵⁾. فتعسير الأمور لا يكون إلا بترك التقوى؛ فلا يتوجه المرء إلى باب من أبواب الدنيا إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه، كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسراً وفرج عنه كل بلاء وزاد من رزقه وبارك في عمره ووقته. ومن عطل التقوى خسر وافتقر وعاش في ضنك من الحياة قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ

(1) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، 594/2.

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 147/8.

(3) شهاب، محمد بن سلامة، مسند الشهاب، 298/1، رقم 493. باب مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ.

(4) الطحاوي، أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار، 221/12.

(5) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، 370/3.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى»، [طه:124]. قال الطبري: فإن له معيشة ضيقة، والضنك من المنازل والأماكن والمعاش: الشديد، يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقاً، وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد، ومنه قول عنترة: وإنْ نزلُوا بضنك أنزل⁽¹⁾.

المطلب الثالث: منهج الاستقامة

الاستقامة في الإسلام تعني الثبات على دين الله، والامتنال لأوامره، واجتناب نواهيه، والسير على الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى رضا الله وجنته. وتشمل الاستقامة في العقيدة: الإيمان بالله وحده، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. والاستقامة في العبادة: أداء الفرائض، والاجتهاد في النوافل، والإخلاص في العبادة. والاستقامة في الأخلاق: التحلي بالأخلاق الفاضلة، واجتناب الأخلاق السيئة. والاستقامة في المعاملات، الصدق في الحديث، والأمانة في المعاملات، والعدل في القضاء. فالاستقامة في منهج القرآن الكريم تعني زيادة المال بشكل مباشر تيسير أسبابه، كما لها دور هام في جلب البركة في الرزق، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال القشيري: واعلم أن الاستقامة توجب إدامة الكرامة قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16] لم يقل: سقيناهم، بل قال: (أسقيناهم) يقال: أسقيته إذا جعلت له سقياً فهو يشير إلى الدوام⁽²⁾. وعن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: الدين ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾. [الجن: 16]. قال: مالا كثيراً. وقال، قال عمر رضي الله عنه في قوله: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال: أينما كان الماء كان المال⁽³⁾. عن أبي قتادة وأبي الدهماء - رضي الله عنهما - قال: أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، 390/18.

(2) الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، ص207.

(3) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، 62/1.

علمه الله تبارك وتعالى وقال: «لَا تَدْعُ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ، إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»⁽¹⁾، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح". وجاء عند مسلم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه يرفعه: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»⁽²⁾.

المطلب الرابع: منهج إقامة شرع الله:

يعد تطبيق منهج الله في هذه الأرض من أبرز المناهج لزيادة الدخل المالي، وقد قص الله علينا قصص أهل الكتاب؛ أنهم لو طبقوا ما تورات وما حوى الإنجيل لأغدق الله عليهم النعم من فوقهم وتحتهم. قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66] وليس المقصود هنا بإقامة التوراة والإنجيل مجرد تلاوتهما وحفظهما، بل العمل بما فيهما، أي تطبيق أحكامهما، والامتثال لأوامرهما، وتجنب نواهيهما. ويدخل في ذلك الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بشرت به التوراة والإنجيل، واتباعه، والانقياد له. وما أنزل إليهم من ربهم: يشمل القرآن الكريم، الذي هو المهيم على الكتب السابقة، والمصدق لها، والتمتع لأحكامها. تبين الآية الكريمة أن أهل الكتاب لو أنهم قاموا بالتوراة والإنجيل، أي عملوا بما فيهما، وآمنوا بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحق الذي أنزل عليهم من ربهم، لأوسع الله عليهم في الرزق، وأفاض عليهم من الخيرات، ولكنهم أعرضوا عن ذلك، وكذبوا، فاستحقوا العذاب. ولو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [المائدة: 66] يقول: "وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم من الفرقان الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم. فإن قال قائل: وكيف يقيمون التوراة والإنجيل

(1) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، 5546. رقم 832. باب من اتقى الشبهات.

(2) مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، 2162/4.

وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، مع اختلاف هذه الكتب ونسخ بعضها بعضاً؟ قيل: وإن كانت كذلك في بعض أحكامها وشرائعها، فهي متفقة في الأمر بالإيمان برسول الله والتصديق بما جاءت به من عند الله؛ فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم تصديقهم بما فيها والعمل بما هي متفقة فيه وكل واحد منها في الخبر الذي فرض العمل به. وأما معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66]. فإنه يعني: لأنزل الله عليهم من السماء قطرها، فأنبئت لهم به الأرض حبها ونباتها فأخرج ثمارها. وقد أهلك الله أمة وأخذ ما بين أيديهم من النعم بغتة ومن غير إنذار عندما تجاهلوا ما أنزل الله عليهم من الآيات والبينات قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾، [سورة الأنعام: 44].

المطلب الخامس: منهج الاستغفار

الاستغفار هو عبادة عظيمة، وفضله كبير، وشروطه ميسرة، وأوقاته متعددة، وصيغته متنوعة، وفوائده جمة، فعلى المسلم أن يحرص على الاستغفار في كل وقت وحين، وأن يتوب إلى الله تعالى توبة نصوحاً، ليحظى بمغفرة الله تعالى ورضوانه. الاستغفار هو طلب المغفرة من الله تعالى، وهو من أعظم العبادات التي يحبها الله تعالى، ويتقرب بها العبد إليه. معنى الاستغفار لغة: مشتق من الفعل "غفر" بمعنى ستر وغطى، فالاستغفار يعني طلب ستر الذنب والتجاوز عنه.

واصطلاحاً: هو طلب المغفرة من الله تعالى باللسان والقلب، مع الندم على الذنب والعزم على عدم العودة إليه. والاستغفار له فوائد كثيرة فهو من أسباب مغفرة الذنوب ومحو السيئات: قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10]. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110]. سبب لدخول الجنة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لِدُثُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٥﴾.

[آل عمران: 135-136]. راحة القلب وطمأنينة النفس ويرتكز زيادة الدخل المالي في ضوء القرآن الكريم على منهج الإكثار من استغفار الله سبحانه وتعالى، فسعة الرزق مرتبطة بكثرة الاستغفار، وهذا الأمر مسلم به في الشريعة الإسلامية، وقد أرشد الله خلقه إلى هذا المنهج القويم، وعلمهم أن استغفارهم له ينتج عنه زيادة المال والبنين، وكثرة الثمار وزيادة الأمطار، وكثرة الأنهار، واخضرار الأرض وانتشار البساتين. قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12]. ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52] عن الشعبي، أن عمر، خرج يستسقي، فصعد المنبر، فقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12]. ثم نزل، فقليل له: يا أمير المؤمنين لو استسقيت، فقال: «لقد طلبت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر⁽¹⁾». وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ⁽²⁾» قال الشوكاني: وفي الحديث فضيلة عظيمة وهي أن الاستكثار من الاستغفار فيه المخرج من كل ضيق والفرج من كل هم وحصول الأرزاق له من حيث لا يحتسب ولا يكتسب فمن حصل له ذلك عاش في نعمة سالمًا من كل نقمة⁽³⁾. ولهذا روى أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(1) ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، 221/2.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، 85/2. رقم الحديث. 1518 باب في الاستغفار. كتاب الصلاة.

(3) الشوكاني، محمد بن علي، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، ص 299.

«وَاللَّهُ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً⁽¹⁾». قال لقمان رحمه الله لابنه: "يا بني، عود لسانك الاستغفار؛ فإن الله ساعات لا يرد فيهن سائلاً⁽²⁾».

المطلب السادس: منهج شكر النعمة

الشكر في الإسلام هو اعتراف العبد بإنعام الله عليه، مع التعبير عن هذا الاعتراف باللسان، وتوجيه النعم في طاعة الله، واستعمالها في مرضاته. والشكر من أجلّ العبادات التي يحبها الله، وهو دليل على رضا العبد عن ربه. الشكر يريح القلب، ويزيل الهموم، ويجلب السعادة. ويتحقق الشكر بالاعتراف بالفضل لله، والتحدث بنعمه، وتسبيحه وحمده. واستخدام النعم في طاعة الله، وتجنب استعمالها في المعاصي. والشعور بالامتنان لله تعالى. الشكر هو مفتاح زيادة النعم، وباب السعادة والرضا. فلنحرص على شكر الله في كل وقت وحين، لننال رضاه، ونستجلب المزيد من فضله. والشكر أبرز مناهج القرآن الكريم في زيادة الكسب المالي فشكر العبد النعمة التي بين يديه، بالقول وبالفعل أو بالقلب يصونها من الزوال ويزيدها. وتكون الزيادة إما بطرح البركة فيها أو حفظها وعدم ذهابها، أو بمضاعفتها وتكثيرها. وهذا مجرب في الحياة. وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ: الشُّكْرُ قَيْدُ النَّعْمِ. قيمة كل نعمة شكرها. وقال بعض الحكماء: كفر النعم من أمارات البطر وأسباب الغير. وقال بعض الفصحاء: الكريم شكور أو مشكور، واللئيم كفور أو مكفور. وقال بعض البلغاء: لا زوال للنعمة مع الشكر، ولا بقاء لها مع الكفر، من لم يشكر الإنعام فأعدده من الأنعام⁽³⁾. وقد وعد أهل الشكر بالزيادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]. قال الحسن، في قوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: 7] قال: «من طاعتي» ولا وجه لهذا القول يفهم، لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 67/8. رقم. 6307. باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة. كتاب الدعوات.

(2) ابن الحسن، عبد الرحمن بن أحمد، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص 214.

(3) القشيرية، عبد الكريم بن هوزن، 358/2.

ذكر، فيقال: إن شكرتموني عليها زدكم منها، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم:6] ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم، فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام: زادهم من نعمه، لا مما لم يجر له ذكر من الطاعة، إلا أن يكون أريد به: لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه، فيكون ذلك وجهها.

المطلب السابع: منهج العفاف عن الحرام

كلما كان العبد ضعيف الإيمان، كان أكثر عرضة للوقوع في الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة أوامر الله تعالى، والخروج عن طاعته، وارتكاب ما نهى عنه. وهي بذلك تُعدّ سبباً في البعد عن الله تعالى، وجلب غضبه وعقابه. فالذنوب: هو كل فعل يستحق صاحبه الذم والعقاب، سواء كان صغيراً أم كبيراً. المعصية: هي مخالفة أمر الله تعالى، سواء كانت بالفعل أو بالتارك. ولها آثار وخيمة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، فالمعاصي تُبعد العبد عن ربه، وتُضعف صلته به، فالله تعالى يغضب على العاصين، وقد يُعاقبهم في الدنيا والآخرة. فالذنوب والمعاصي من أبرز المناهج التي تعيق وتضيق عملية الدخل وتحرم المرء من الرزق الذنوب والمعاصي قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور:33]. قال الشافعي: فيشبه أن يكونوا إنما أمروا بالاستعفاف عن أن يتناول المرء بالفرج ما لم ييح له به، فيصبر إلى أن يغنيه الله من فضله، فيجد السبيل إلى ما أحل⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:112] فمن عصى الله ضيق الله عليه رزقه، وهذا مسلم به. إذا أن تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر، فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي. وقد جاء في الحديث: "إن العبد ليحرم الرزق بسبب الذنب الذي يرتكبه، فعن ثوبان، أن النبي صلى الله

(1) الشافعي، محمد بن إدريس، تفسير الإمام الشافعي، 3/1142.

عليه وسلم قال: «وَأَنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ⁽¹⁾». وأما الذي قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك: لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجيء الحلال فإنهما أيضاً، إن لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذي روي عن ابن مسعود أنه قال: "إن الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها"، ففساده نظير فساد قول ابن زيد. لأن من استعجل الحرام فأكله، ثم آتاه الله رزقه الحلال، فلم يبدل شيئاً مكان شيء. وإن كانا قد أرادا بذلك، أن الله جل ثناؤه نهي عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجيء الحلال، فيكون أكلهم ذلك. وعن واثلة بن الأسقع، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْيَمِينُ الْعَمُوسُ تَدْعُ الدَّيَّارَ بِلَاقِعٍ⁽²⁾» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الزَّيْنَةُ يُورِثُ الْفَقْرَ⁽³⁾». قال المناوي: لأن الغنى من فضل الله والفضل لأهل الفرح بالله وبعطائه وقد أغنى الله عباده بما أحل لهم من النكاح من فضله فمن أثر الزنا عليه فقد أثر الفرح الذي من قبل الشيطان الرحيم على فضل ربه الرحيم وإذا ذهب الفضل ذهب الغنى وجاء العنا فالزنا موكل بزوال النعمة فإذا ابتلي به عبد ولم يقلع ويرجع فليودع نعم الله فإنها ضيف سريع الانفصال وشيك الزوال. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: 11]. ﴿ذَ بَانَ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53]⁽⁴⁾. وأخرج ابن عساکر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده" أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ يَا مُوسَى أَنَا قَاتِلُ الْقَتَّالِينَ وَمُقْفِرُ الزُّنَاةِ⁽⁵⁾». وعن أنس بن مالك قال: أتى النبي

(1) الحاكم، الحاكم محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، 548/3. رقم 1814. كتاب الدعاء.

(2) محيي السنة، الحسين بن مسعود، شرح السنة، 85/1.

(3) شهاب، محمد بن سلامة، مسند الشهاب، 73/1.

(4) زين الدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 72/4.

(5) ابن المقرئ، أبو بكر محمد، المعجم لابن المقرئ، ص 229.

صلى الله عليه وسلم سائل، فَأَمَرَ لَهُ بِتَمْرَةٍ، فَلَمْ يَأْخُذْهَا أَوْ وَحَّشَ بِهَا. قَالَ: وَأَتَاهُ آخَرُ، فَأَمَرَ لَهُ بِتَمْرَةٍ، قَالَ: فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، ثَمْرَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: «اذْهَبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَأَعْطِيهِ الْأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا الَّتِي عِنْدَهَا»⁽¹⁾.

المطلب الثامن: منهج ترك التعامل بالربا

الربا هو زيادة مشروطة في عقد القرض. وهو محرم في الإسلام بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع العلماء. وهو استغلال لحاجة المقرض، حيث يستغل المقرض حاجة المقرض للمال فيفرض عليه زيادة غير مستحقة. فالربا له آثار مدمرة على المجتمع فعندما يضطر الفقير إلى الاقتراض بفائدة ربوية، فإن دينه يتضاعف بمرور الوقت بسبب الفوائد المتراكمة. هذا يجعله في حلقة مفرغة من الديون التي لا يستطيع سدادها، مما يزيد من فقره وعوزة. وفي حالة عدم القدرة على سداد الديون الربوية، قد يضطر الفقير إلى بيع أصوله وممتلكاته لسداد الدين، مما يفقده مصدر رزقه ويجعله أكثر عرضة للفقر المدقع. وعندما يرى الفقير نفسه غارقاً في الديون الربوية ولا يستطيع الخروج منها، فإنه قد يشعر باليأس والإحباط، مما يؤثر على صحته النفسية وقدرته على العمل والكسب. ويصبح مهمشاً من قبل المجتمع، حيث يفقد احترامه وتقديره، وقد يتعرض للنزد والازدراء. إلا أن الإسلام يقدم حلولاً جذرية لمشكلة الربا وتأثيرها على الفقراء، عن طريق تحريم الربا وحماية الفقراء من الاستغلال التجاري. وفرض الزكاة والصدقة المالية التي تساعد على إعادة توزيع الثروة في المجتمع وتخفيف الفقر. وندب القروض الحسنة التي لا يرجو صاحبها فوائد مالية من خلالها، والعمل على ترشيد الناس إلى التكافل الاجتماعي الذي يقوم على التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع لمساعدة المحتاجين والضعفاء. وقد بين الله تعالى أن من مناهج زيادة الرزق وبركت الكسب ترك الربا قال تعالى: ﴿يَحْقُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276] وقال تعالى ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(1) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 36/20، رقم. 12574.

يَقُولُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمُ الرِّبَا، إِلَّا أُحْذُوا بِالسَّنَةِ»⁽¹⁾. إلا أن في إسناده عبد الله بن لهيعة سيئ الحفظ، ومحمد بن راشد المرادي مجهول غير معروف، ويبدو أنه سقط رجل بين محمد بن راشد وعمرو، فقد ذكر ابن يونس في المصريين محمد بن راشد المرادي، روى عن رجل عن عبد الله بن عمرو⁽²⁾.

المطلب التاسع: منهج الزكاة والصدقات

الصدقة هي الإنفاق من المال في وجوه الخير، سواء كان قليلاً أو كثيراً، ومنها ما هو المفروض مثل الزكاة، ومنها ما هو مندوب كسائر الصدقات، يبتغي بها المسلم رضا الله تعالى. وقد حث الإسلام على الصدقة لما لها من فوائد عظيمة على الفرد والمجتمع. قد يتبادر إلى الذهن أن الصدقة تنقص المال، ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، فالصدقة من أعظم مناهج زيادة المال ونموه، فالله تعالى يبارك في المال الذي تصدق منه صاحبه، إما في الدنيا بمال أكثر منه، إذ يفتح الله أبواب الرزق للمتصدق من حيث لا يحتسب. وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "استنزلوا الرزق بالصدقة". وقد وردت في ذلك نصوص شرعية كثيرة. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: 39). وقال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245]. وقال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 11]. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا عَقَا رَجُلٌ، عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا، فَاعْقُوا يُعْزِّكُمْ اللَّهُ، وَلَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»⁽³⁾. قال العيني: ووجه الدليل منه أن النقص محسوس بإخراج القدر الواجب، ولا يكون

(1) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 356/29.

(2) ابن حجر، أحمد بن علي، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، 180/2. رقم 17822.

(3) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، 374/2. رقم 2270.

غير ناقص إلا بزيادة تبلغه إلى ما كان عليه من المعنيين جميعا المعنوي والحسي في الزيادة⁽¹⁾. وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَقًّا»⁽²⁾ قال ابن حجر: وأما الخلف فإيهامه أولى ليتناول المال والثواب وغيرهما وكم من منفق مات قبل أن يقع له الخلف المالي فيكون خلفه الثواب المعد له في الآخرة أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك⁽³⁾.

المطلب العاشر: منهج الدعاء

الدعاء في الإسلام هو التوجه إلى الله تعالى بطلب العون في جميع الأمور الدينية أو الدنيوية. وهو من أعظم العبادات التي تُظهر تذلل العبد وخضوعه لربه، واعترافه بحاجته إلى الله في كل أموره. ويكون الدعاء باللسان أو بالقلب، ويشمل التضرع والابتهاال والطلب. وبهذا تقوى العلاقة بين العبد وربّه، ويُشعر العبد بالقرب من الله سبحانه وتعالى. يستجيب الله لدعاء إذا تحققت شروط الإجابة، وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تبين أن الدعاء من أبرز المناهج لتحصيل الرزق وزيادة الكسب المالي، وهذا أبونا إبراهيم خليل الله يدعو الله أن أن يرزقهم من ثمار مكة القاحلة، وقد استجاب الله له فجعل فيها من كل الثمار ومدّمهم بالبركة، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة إبراهيم: 37]. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126]. ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم، لأهل المدينة. فعن أبي سعيد الخدري، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا،

(1) الغيتابي، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 233/8.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، 115/2.

(3) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 305/3.

وَأَجْعَلْ مَعَ الْبَرْكََةِ بَرَكَتَيْنِ⁽¹⁾». وهذان نموذجان من النماذج التي لا زالت أثرها مشاهد وملموس في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فهما من الخير الكثير وأهلهما من أغنياء الشعوب، وقد وعد الله الداعي بالاستجابة وأمره بالدعاء قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]. وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ﴾ [النمل: 62]. وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، في طلب الرزق وزيادته. وكان يدعو للصحابة بالرزق. فهذا أنس بن مالك، يروي قصة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له، فقال أنس رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل علينا أهل البيت، فدخل يوما فدعا لنا فقلت أم سليم: خويدمك، ألا تدعو له؟ قال: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، واغفر له⁽²⁾». وفي الأدب المفرد، فدعا لي بثلاث فدفنت مائة وثلاثة، وإن ثمرتي لتطعم في السنة مرتين، وطالت حياتي حتى استحييت من الناس وأرجو المغفرة⁽³⁾.

الخاتمة:

تميز القرآن الكريم عن غيره من الأنظمة المالية بمناهجه المختلفة والمتعددة، التي تتسم بالعدالة والرحمة وتلتزم بالمصداقية والأمانة، ويعتبر المنهج القرآني منهج متكامل من الجانب الروحي والمعنوي، وسهل التطبيق.

نتائج البحث:

1. الكسب المالي مطلب إنساني وواجب شرعي، بما يتحقق منه منفعة دنيوية للإنسان ويدفع عنه مضرة تخل بحياته وتؤثر على أسرته.

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 1002/2. رقم. 1374. باب الترخيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها. كتاب الحج.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 81/9. رقم. 6334. باب قول الله تعالى: وصل عليهم. كتاب الدعوات.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد بالتعليقات، ص 342.

2. القرآن الكريم يهتم بحياة الإنسان ويحرص على مصالحه الدينية والدنيوية، ويرشده إلى المناهج السليمة لتحقيق الرفاهية والقضاء على الفاقة.
3. الرزق يزداد بطاعة الله سبحانه وتعالى وينقص بالمعاصي والفجور والآثام.
4. المعاملة المالية الإسلامية أثبتت أنها قادرة على حل جميع المشاكل المالية والقضاء على الفقر.
5. الحرف العملية والمهن اليدوية تعد من الركائز الأساسية في المنهج القرآني لبناء الاقتصاد الإسلامي وإنعاش السوق بالسلع الضرورية.
6. المنهج القرآني العملي لا يحتقر من المهن والحرف في شيء، ما دامت توفر للإنسان الرزق الحلال، وتغنيه عن التسول.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي شيبه، أبو بكر بن أبي شيبه، (1409هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، الطبعة: الأولى، المحقق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق، (1398هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ط1، تحقيق: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر.
- ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم، (1419هـ)، المعجم لابن المقرئ، ط1، تحقيق: عبد الرحمن عادل بن سعد، الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن بطل، علي بن خلف، (1423هـ)، شرح صحيح البخاري لابن بطل، ط2، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، السعودية: مكتبة الرشد- الرياض.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (1407هـ)، الزهد والورع والعبادة، ط1، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، الأردن: مكتبة المنار.
- ابن حجر، أحمد بن علي، (1379هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد

الله بن باز.

ابن حجر، أحمد بن علي، (1996)، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ط1، المحقق: إكرام الله إمداد الحق، بيروت: دار البشائر.

ابن حنبل، أحمد بن محمد، (1421)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (2001)، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، ط1، المملكة العربية السعودية: دار العاصمة.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، (1424هـ)، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر.

ابن رشد، محمد بن أحمد، (1988)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، ط2، حققه: د محمد حجي وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن عابدين، علاء الدين محمد، قرّة عين الأخيار لتكملة رد المحتار علي «الدر المختار شرح تنوير الأبصار»، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1420هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط2، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (2009)، مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، ط1، المحقق: إمام بن علي بن إمام، مصر: دار الفلاح - الفيوم.

ابن مفلح، محمد بن مفلح، (2003)، كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، ط1، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي

القادري (ت بعد 1138 هـ)، ط2، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية- صيدا.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (1419هـ)، الأدب المفرد بالتعليقات، ط1، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيداً من تخریجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422هـ)، صحيح البخاري، ط1، المحقق: محمد زهير بن ناصر، الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

البغوي، الحسين بن، (1997)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط4، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النم-عثمان جمعة ضميمية-سليمان مسلم الحرش، دار طيبة البهوتي، منصور بن يونس، (1414هـ)، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، ط1، عالم الكتب.

البیهقي، أحمد بن الحسين، (1424هـ)، السنن الكبرى، ط3، المحقق: محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الكتب العلمية- بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى، (1395هـ)، سنن الترمذي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر.

الحاكم، الحاكم محمد بن عبد الله، (1411هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الخازن، علي بن محمد، (1415هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، أحمد بن فارس، (1979)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون،

دار الفكر.

الزحشري، محمود بن عمرو، (1407هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.

الشافعي، محمد بن إدريس، (1427هـ)، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرّان (رسالة دكتوراه)، ط1، المملكة العربية السعودية: دار التدمرية.

شهاب، محمد بن سلامة، (1407هـ)، مسند شهاب، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشوكاني، محمد بن علي، (1984)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، ط1، لبنان: دار القلم - بيروت.

الشيبياني، محمد بن الحسن، (1400هـ)، الكسب، ط1، المحقق: سهيل زكار، دمشق: عبد الهادي حرصوني.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، (1419هـ)، تفسير عبد الرزاق، ط1، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، (1403هـ)، المصنف، ط2، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ط2، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير، (1420هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

الطحاوي، أحمد بن محمد، (1415هـ)، شرح مشكل الآثار، ط1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.
- الغيتابي، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، المحقق: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الماوردي، علي بن محمد، (1986)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة.
- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المغازلي، علي بن محمد، (1424هـ)، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ط1، المحقق أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، صنعاء: دار الآثار.
- مقاتل، مقاتل بن سليمان، (1423هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، ط1، المحقق: عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث —.
- المنائي، محمد عبد الرؤوف، (1356هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، دار الفكر.

منهج القرآن الكريم في علاج المشكلات الاقتصادية – البطالة أنموذجاً

د. عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم
أستاذ مشارك بقسم الدراسات القرآنية، بكلية التربية
– جامعة الملك سعود

المشرف على كرسي تعليم القرآن وإقراءه
Aabuhkeem@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: القاسم، عبد الحكيم بن عبد الله، منهج القرآن الكريم في علاج المشكلات الاقتصادية – البطالة أنموذجاً، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 196-251.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0197>

الملخص:

تفردت الشريعة الإسلامية باستيعابها كافة قضايا الحياة، فهي ممتدة لتشمل قضايا الزمن المتجدد، وما من مشكلة إلا ولها في الإسلام حل، يحتاجه الناس على اختلاف أنواعهم؛ ومن المشكلات المتنامية والمتجددة - التي تعترض حياة الناس، وتؤثر عليهم سلباً دينياً واقتصادياً، واجتماعياً، ونفسياً - (مشكلة البطالة).

وهذا البحث يسلط الضوء على منهج القرآن الكريم في علاج المشكلات الاقتصادية ومنها مشكلة (البطالة)، وبيان أثرها على المجتمعات، وأن القرآن الكريم وضع معالم مهمة لعلاجها، وقد اشتمل البحث على تعريف البطالة وأنواعها، وأسبابها، وآثارها، واستقراء لمنهج القرآن في علاج البطالة على مستوى الأفراد والمجتمعات، ليؤكد على أن القرآن الكريم شامل لكافة شؤون الحياة، ولم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وضع له منهجاً؛ إن أخذ به الناس سعدوا في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: المشكلات الاجتماعية، المنهج، البطالة، الاقتصاد، القرآن، تفسير موضوعي.

Holy Quran's approach to treating economic problems - unemployment as a model

Dr. Abdul Hakim bin Abdullah bin Abdul Rahman Al-Qasim

Associate Professor, Department of Qur'anic Studies,

College of Education, King Saud University

Supervisor of the Chair for Qur'anic Teaching and Recitation

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al-Qasim, Abdul Hakim bin Abdullah, Holy Quran's approach to treating economic problems - unemployment as a model, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:197-251.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0197>.

Abstract:

Islamic law is unique in its ability to accommodate all life issues, as it extends to include the issues of the renewed time, and

there is no problem that does not have a solution in Islam, which people of all kinds need; and one of the growing and renewed problems - that obstruct people's lives, and negatively affect them religiously, economically, socially, and psychologically - is (the problem of unemployment). This research sheds light on the approach of Holy Quran in treating economic problems, including the problem of (unemployment), and explaining its impact on societies, and that Holy Quran has set important features for treating it. The research included a definition of unemployment, its types, causes, and effects, and an induction of Quran's approach in treating unemployment at the level of individuals and societies, to confirm that Holy Quran is comprehensive of all aspects of life, and did not leave any aspect of life without setting a method for it; if people adopt it, they will be happy in this world and the hereafter.

Keywords: Social problems, method, unemployment, economy, Quran, objective interpretation.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد.

إنَّ من خصائص الشريعة الإسلامية أنَّها استوعبت كافة قضايا الحياة بمختلف جوانبها، شريعة ممتدة لتشمل قضايا الزمن المتجدد، ولم تقتصر على مدَّة زمنية أو رقعة مكانية، وما من مشكلة إلا ولها في الإسلام حلٌّ، يحتاجه الناس على اختلاف أنواعهم؛ وما فيه من دواء نافع، وعلاج ناجع إلا وفي القرآن هدايات عامة إليه، ومن المشكلات المتنامية والمتجددة - التي تعترض حياة الناس، وتؤثر عليهم سلبيًا دينيًا واقتصاديًا، واجتماعيًا، ونفسيًا - (مشكلة البطالة).

وهذا البحث فيه بيان لمنهج القرآن الكريم في علاج مشكلة (البطالة)، ويعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الاستدلالي، وذلك لبيان: أن البطالة إحدى المشكلات الكبرى التي يعاني منها الأفراد، ويظهر

أثرها على الأسرة والمجتمع، فلها آثارها السلبية، كما يؤكد على أن القرآن الكريم وضع معالم مهمة لعلاجها، وسيكون محور الحديث من خلال: تعريف البطالة وأنواعها، وأسبابها، وآثارها، واستقراء منهج القرآن في علاجها على مستوى الأفراد والمجتمعات، ول يؤكد على أن القرآن الكريم شامل لكافة شؤون الحياة، ولم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وضع له منهجاً؛ ليسعد الناس في الدنيا والآخرة.

هدف البحث: تهدف الدراسة إلى توضيح المنطلقات القرآنية لمعالجة مشكلة البطالة من خلال منهج مستخلص من كتاب الله تعالى، وما يوضحه من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، حيث قدمت الشريعة الإسلامية آليات متعددة لمواجهة مشكلة البطالة، وذلك بهدف وقاية المجتمع من أخطارها.

وذلك من خلال: نظرة القرآن الكريم إلى العمل، وهل هذه النظرة مادية فقط؟ أم نظرة روحية؟ وهل العمل فرض على كل قادر عليه؟ وكيف واجه القرآن الكريم مشكلة البطالة؟ وما الآليات التي رسمها القرآن الكريم لعلاج هذه المشكلة؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كونه محاولة جادة لبيان عناية القرآن الكريم في علاج مشكلة تعد من أعقد المشكلات المتعددة الأبعاد والمخاطر وهي (البطالة)، وبيان منهج القرآن الكريم في معالجة إشكالية البطالة على اختلاف أشكالها وأنواعها، وكيف واجهت الشريعة الإسلامية هذه الآفة؟، فالآليات الشرعية تعبر عن منهج متكامل صالح لكل زمان ومكان.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات المتعلقة بالبطالة، فمنها من تناولها من منظور الإسلام بصورة عامة، ومنها من تناولها من الناحية الاقتصادية، وتناولها بعضهم من منظور القرآن الكريم، ومن هذه الدراسات:

1) منطلقات الاقتصاد الإسلامي في مواجهة البطالة، محمود فاروق محمد غراب، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، مج 49/ العدد 4/2019م، تهدف الدراسة إلى توضيح

المنطلقات الإسلامية في مواجهة البطالة من خلال نهج اقتصادي مستخلص من كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، حيث قدمت الشريعة الإسلامية آليات متعددة لمواجهتها، وذلك بهدف وقاية المجتمع من أخطار البطالة.

(2) (البطالة - العمالة - العمارة)، زيد بن محمد الرماني، من إصدارات الألوكة، المجلد الأول، وخلصت الدراسة إلى أهمية دور المجتمع في إيجاد فرص العمل المناسبة للأفراد، بخلاف الأنظمة الأخرى، التي لا تتوفر لها أفكار منهجية، وتقدم فكرة الحرية الاقتصادية⁽¹⁾.

(3) الآليات الشرعية لعلاج مشكلة البطالة، محمد دمان ذبيح، وتناولت مسؤولية الدولة عن توفير العمل المناسب لكل قادر على العمل، كواجب أصيل للدولة حتى لا يلجأ الأفراد إلى الطرق غير المشروعة⁽²⁾.

(4) النظام الاقتصادي في الإسلام، عفيف أحمد، أشار فيها إلى أن مهمة مكافحة البطالة موكلة إلى الدولة باعتبارها ولي الأمر المسؤول عن الرعية، مشيراً إلى أهمية إحياء الأرض الموات في توفير فرص العمل، ومن ثم مواجهة البطالة⁽³⁾.

(5) دور التكافل الاجتماعي في علاج البطالة، رعد محمود عبد المنعم، وتناولت أهمية نظام التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية في مواجهة البطالة، وذلك تحقيقاً للصالح العام، وإقامته على أسس متينة وسليمة⁽⁴⁾.

(1) انظر: الرماني، زيد بن محمد، البطالة، العمالة، العمارة، من منظور الاقتصاد الإسلامي، الألوكة،

WWW.alukah.net

(2) ذبيح، محمد دمان، الآليات الشرعية لعلاج مشكلة البطالة، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة العقيد الحاج لخضر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم الشريعة، فرع اقتصاد إسلامي، 2008م.

(3) أحمد، عفيف، النظام الاقتصادي في الإسلام، دائرة الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة القدس 1432هـ.

(4) عبد المنعم، رعد محمود، دور التكافل الاجتماعي في علاج البطالة، قسم الدراسات العليا، كلية الإمام الأعظم، ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، 1437هـ.

(6) مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامي، أنوار عمر الجرف، وتناولت الآليات الشرعية للوقاية من البطالة، من خلال توجيه المجتمعات إلى إحياء الأرض الموات، وعمارة الأرض، وفرض الزكاة، والتكافل، وغيرها من الآليات الشرعية⁽¹⁾.
وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها تقوم على بيان منهج القرآن الكريم في معالجة ظاهرة البطالة بأنواعها المختلفة، والطرائق التي رسمها المنهج القرآني في الحد من هذه الظاهرة.

منهج البحث: يعد المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على النصوص القرآنية، وبعض ما ورد في السنة النبوية استدلالاً وبيناً بمفهوم التفاسير المختلفة وآرائهم منهجاً أنسب للنظر في علاج مشكلة البطالة، من خلال استقراء النصوص للوصول إلى منهجية القرآن الكريم في علاج البطالة.

حدود الدراسة: تعتبر هذه الدراسة دراسة تأصيلية تتناول منهج القرآن الكريم في معالجة مشكلة البطالة بشكل عام دون الارتباط بحدود مكانية أو زمنية، فآليات الشريعة الغراء صالحة لكل زمان ومكان، وذلك لاستخلاص الدلالات والآليات المنهجية المنبثقة من آيات القرآن الكريم.

خطة البحث:

مقدمة: تشمل أهمية الموضوع، وأهدافه، ومشكلته، ومنهج البحث، وأبرز الدراسات السابقة.
المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات والألفاظ ذات الصلة، وتعريف البطالة وأنواعها وأبرز تأثيراتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ماهية البطالة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: البطالة، أنواعها وأبرز تأثيراتها.

(1) الجرف، محمد دمان، مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة بيروت الإسلامية، دار المنظومة، بيروت، 1439هـ.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في علاج ظاهرة البطالة: وفيه مطلبان:
المطلب الأول: منهج الترغيب في العمل والإنتاج.
المطلب الثاني: تصحيح المفاهيم الخاطئة في أسباب البطالة ومظاهرها:
الخاتمة: وفيها: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بالمصطلحات والألفاظ ذات الصلة، وتعريف البطالة وأنواعها، وأبرز تأثيراتها إن من خصائص شريعة الإسلام أنها استوعبت كافة قضايا الحياة، وسائر جوانبها، وهي امتداد شمل قضايا الزمن المتجدد، فليست مقصورة على مدّة زمنية أو رقعة مكانية، يحتاجها الناس على اختلاف أنواعهم؛ لأنهم يجدون فيها الدواء النافع، والعلاج الناجع، فلا يوجد داء إلا وله في شريعة الإسلام دواء، ولا يوجد مشكلة عويصة إلا ولها في الوحي حلّ. ومن المشكلات التي تعترض حياة الناس، وتؤثر عليها سلباً من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والنفسية مشكلة البطالة، إذ تعد ظاهرة البطالة أحد الظواهر الخطيرة، لما لها من أثر بالغ على الأفراد والمجتمعات، وإن عدم استثمار الطاقات والإمكانات والكوادر البشرية أو ضعف ذلك، وتعطل بعض فئات المجتمع عن العمل، يشكل معول هدم للأمم، وفيه إنذار بتراجعها وانحيارها.

ولقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة بكل ما يهم الفرد والمجتمع معاً، بما فيها الضوابط التي تحكم العلاقات والظواهر الاقتصادية، التي تسهم في حل كافة المشكلات الاقتصادية وفق التوجيهات الربانية، واتخاذ أسلم السبل في القضاء عليها، فمنهج القرآن في العمران والاستخلاف يحد من تفشي البطالة في المجتمعات، بل يأذن بالقضاء عليها.

لقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم بالعمل، والحث عليه، ونهى عن البطالة والكسل والتواكل؛ لأن البطالة تؤدي إلى فساد المجتمع واضطرابه، فعندما يتعطل عدد كبير عن العمل سواء أكانوا مكرهين على ذلك أو كسلاً منهم، فإنه تضيع جهود كبيرة على الأمة كان يمكن أن تنتج وتكسب وتؤدي دورها في تقدم الأمة ورفعتها، كما تصبح حالة على المجتمع، وتنتشر فيهم الجريمة والمخدرات والطلاق وغير ذلك.

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات لغة واصطلاحاً.

أ) البطالة في اللغة: بطل الشيء يبطل بُطْلًا وبُطُولًا وبُطْلَانًا، ذهب ضياعاً وحُسْرًا، فهو باطل.

والتبطل: فعل البطالة، وهو اتباع اللهو والجهالة، وبطل الأجير - بالفتح - يَبْطُل بطلاً وبطالة أي: تعطل فهو بَطَّال، والبَطَّال: الذي لا يجد عملاً⁽¹⁾، فالبطالة مصدر بَطَّلَ وبَطْلٌ وتعني: عدم توافر العمل للراغبين فيه القادرين عليه، والبطالة: مأخوذة من بَطَّلَ الأجير؛ أي: تعطل، فهو باطل⁽²⁾، ويقال: بَطَّلَ العامل: تعطل فهو بَطَّال، وبَطَّلَ العامل: عطله، وبطل العمل قطعه محدثة⁽³⁾.

واصطلاحاً: كل من هو قادر على العمل وراغب فيه، ويبحث عنه، ويقبله عند مستوى الأجر السائد، ولكن دون جدوى⁽⁴⁾، أو هي: التوقف عن العمل أو عدم توافر العمل لشخص قادر عليه وراغب فيه⁽⁵⁾.

وفي اصطلاح الفقهاء: العجز عن الكسب في أي صورة من صور العجز كالصغر، والأنوثة، والعتة، والشيخوخة، والمرض، أو غير ذاتي: كالاشتغال بتحصيل العلم⁽⁶⁾. وعرفها الاقتصاديون بقولهم: عدم وجود فرص كافية لطالبي العمل⁽⁷⁾.

(ب) العمل:

العَمَلُ: المهْنَةُ والصَّنْعَةُ والحِرْفَةُ، وأَصْلُهُ: الفِعْلُ، وهو يَعْمُ أفعالَ القُلُوبِ والجَوَارِحِ، ويأتي بمعنى: إحدَاثِ الشَّيْءِ وإيجَادِهِ. ومن مَعَانِيهِ أيضاً: دَوَامُ الشَّيْءِ، والكَسْبُ والتَّصَرُّفُ، والْجَمْعُ:

- (1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، 56/11.
- (2) انظر: الرازي، مختار الصحاح، 43/1، (باب اللام فصل الباء).
- (3) انظر: المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية مادة (ب. ط. ل)، 63/1.
- (4) انظر: الجمل، أحمد محمد عبد العظيم، البطالة مشكلة لا يعرفها الإسلام، ص 23.
- (5) انظر: الطيب، أد. أحمد، وآخرون، موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، مجموعة، ص 84.
- (6) انظر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، 28/2.
- (7) انظر: عبد القادر، مدني، تنمية القوى البشرية، ص 88.

أَعْمَالٌ⁽¹⁾.

والعمل اصطلاحاً: يُراد به: الفعلُ سَوَاءٌ حَدَقَ بِهِ الْإِنْسَانُ وَمَهَرَ فِيهِ أَمْ لَا، وهو أَعْمٌ مِنَ الْحِرْفَةِ وَالصَّنْعَةِ. وَيُطْلَقُ أَيْضًا فِي عِلْمِ الْاِقْتِنَادِ وَيُرَادُ بِهِ: الْمَجْهُودُ الَّذِي يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ لِتَحْصِيلِ مَنَفْعَةٍ مَا⁽²⁾.

ج) الكسل: الكسل لغة: التثاقل عما لا ينبغي أن يتثاقل عنه. والفعل: كسل يكسل كَسَلًا، ورجل كسلان، وامرأة كسلى، وكسلانة: لغة رديئة. ويقال: فلان لا تكسله المكاسل، يقول: لا تثقله وجوه الكسل، وامرأة مكسال، وهي التي لا تكاد تبرح مجلسها⁽³⁾.

الكسل اصطلاحاً: التثاقل والتثبط، والفتور عن الشيء⁽⁴⁾، وقيل: التثاقل والتراخي عما ينبغي مع القدرة، أو هو عدم انبعاث النفس لفعل الخير⁽⁵⁾، وقيل: ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله⁽⁶⁾، وقيل: هو الفتور في الأفعال لسآمة أو كراهية⁽⁷⁾.

د) الفتور: الفتور لغة: مصدر فُتِرَ، يقال: فُتِرَ يَفُتِرُ فُتُورًا وَفُتَارًا: سَكَنَ بَعْدَ حِدَةٍ، وَلَانَ بَعْدَ شِدَّةٍ، وَالْفَتْرَةُ: الْانْكَسَارُ وَالضَّعْفُ، وَفُتِرَ الْمَاءُ: سَكَنَ حَرُّهُ، وَ: جَسَمَهُ فَتُورًا: لَانَتْ

(1) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 145/4، الراغب، المفردات، ص 587، ابن منظور، لسان العرب، 283/10، الزبيدي، تاج العروس، 521/15.

(2) انظر: الكفوي، الكليات، ص 616، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 300/3، قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص 322.

(3) انظر: الفراهيدي، العين، 310/5، الأزهرى، تهذيب اللغة، 37/10، ابن منظور، لسان العرب، 587/11.

(4) انظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 108/4.

(5) انظر: المناوي، فيض القدير، 154/2. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 489/1.

(6) انظر: ابن حجر، فتح الباري، 36/6.

(7) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 239 /5 بتصرف يسير.

مفاصله وضعف. وأصل هذه المادة يدل على ضعف في الشيء ⁽¹⁾.

الفتور اصطلاحاً: هو الكسل والتراخي والتباطؤ بعد الجد والنشاط والحيوية ⁽²⁾.

هـ) التوكل: التوكل لغة: هو مصدر من الفعل توكل يتوكل، وكلت أمري إليه؛ أي:

أجأته إليه واعتمدت عليه، وسلمته أمري، والوكل: هو الذي يكل أمره إلى غيره ⁽³⁾.

التوكل اصطلاحاً: صدق العبد في الاعتماد على الله - تعالى - في جلب المنافع أو دفع

السوء والضرر والمكره، والسعي للأخذ بالأسباب المشروعة، مع الإيمان الجازم بأن النفع

والضرر، والعطاء والمنع كل ذلك بيد الله تعالى وحده لا أحد سواه، وتكون الجوارح مشغلة

بالأسباب، أما القلب فلا يتعلق وينشغل إلا بالله تعالى، ثم الرضا بالمقضي والقبول به ⁽⁴⁾.

والتوكل على الله لا ينافي العمل بالأسباب إذا صدق اعتماد القلب على الله ⁽⁵⁾.

و) التواكل:

التواكل لغة: "تواكل القوم" اتكل بعضهم على بعض ⁽⁶⁾.

والتواكل تفويض الأمر لله تعالى دون الأخذ بالأسباب والعمل والاجتهاد، فالمؤمن

المتوكل يعمل ويأخذ بكافة الأسباب ويفوض أمره لله تعالى مطمئناً لقضاء الله تعالى

وحكمته، أما المتواكل فيجلس وينتظر الأحداث تجري من حوله ليقول في نهاية المطاف: هذا

قدر الله تعالى؛ فهذا تواكل وتفريط؛ فقد أمرنا الله - تعالى - بالعمل والاجتهاد والأخذ بكافة

(1) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/470، ابن منظور، لسان العرب، 5/43، الفيروزآبادي،

القاموس المحيط، ص 454، الزبيدي، تاج العروس، 13/293.

(2) انظر: العمر، ناصر، الفتور، المظاهر الأسباب العلاج، ص 22.

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 5/221، ابن منظور، لسان العرب،

11/734.

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/64، الحكمي، معارج القبول، 2/445، ابن رجب،

جامع العلوم والحكم، 1/493.

(5) انظر: مجموعة من المؤلفين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، 4/1377.

(6) انظر: الفراهيدي، العين، 2/266.

أسباب السعي لتحقيق مُرادنا⁽¹⁾.

التواكل اصطلاحًا: هو التخاذل وترك العمل بالأسباب، وانتظار الأمان⁽²⁾.

الصلة بين التواكل والتوكل: المفردتان متضادتان، فالتوكل هو عمل الجوارح مع توكل القلوب، أما الكسل عن الأخذ بالأسباب مع الادعاء بالتوكل فهو حقيقة التواكل، ويكمن الفرق من حيث الأخذ بالأسباب، التوكل عبادة يتكامل فيها أمران لا ينفكان عن بعضهما، وهما: الأخذ بالأسباب الممكنة لتحقيق ما يسعى إليه المؤمن، مع تفويض الأمر لله -تعالى- والتوكل عليه وحده لتيسير الأمور وتحقيق المراد، أما التواكل فيتخلّى مُتّبِعُه عن الأخذ بالأسباب والعمل وسبل الوصول إلى المراد ويفوض أمره لله -تعالى- فقط دون العمل والأخذ بالأسباب؛ وهذا منافٍ لما أمر الله -تعالى- به عباده المؤمنين من العمل والأخذ بالأسباب والتوكل عليه وحده بكل أمور الحياة سواء أكانت صغيرة أم كبيرة⁽³⁾.

أما الصلة بين التواكل والكسل: سلبيتان متلازمتان تدعوان إلى الراحة والدعة، ليعيش متواكلاً كسولاً ضعيفاً، معتمداً على غيره في البحث عن عمل، أو قضاء بعض المستلزمات، فالإنسان خلق على هذه الأرض ليعمل ويجتهد ويسير في مناكبها بالعلم والعمل والحكمة وتحقيق كل تقدم يمكن الوصول إليه، وقد امتدح الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي بأن الله تعالى يحبه؛ لأنه قوي في عبادته وقوي في معاملاته وفق شرع الله تعالى، ووفق أمره ونهيّه، فقال صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ حَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ حَيْرٍ"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: ماهية البطالة في القرآن الكريم.

(1) انظر: ابن جبار الله، عبد الله، التوكل على الله وأثره في حياة المسلم، ص 37-38. بتصرف.

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، 4/142.

(3) انظر: مجموعة من المؤلفين، فتاوى دار الإفتاء المصرية، ص 429، الجزء 7. بتصرف.

(4) انظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة ترك العجز، رقم 4816.

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يلحظ أن الآيات التي تحدثت عن العمل وردت في القرآن الكريم في أكثر من (360) آية تتحدث عن العمل، وأن الآيات التي تحدثت عن الفعل وردت في أكثر من (190) آية، وهي تتضمن أحكاماً شاملة للعمل، وتقدير العامل ومسؤوليته وعقوبته ومثوبته، كما يلحظ المتدبر أن الله تعالى أقسم في القرآن الكريم بالزمن سواءً بذاته أو بأجزائه، مثل: الفجر، والصبح، والضحى، والشفق، والنهار، والليل، والليالي العشر، ويوم القيامة، والعمر، وفي ذلك (تنبيه على أنه آية كبرى من آيات الله، وتنبيه على عظم نفعه ووجوب استثماره، والإفادة من كل أجزائه)⁽¹⁾، وفي القسم بهذه الوحدات الزمنية تنبيه على الاعتبار بها في الاستدلال على حكمة نظام الله في هذا الكون وبديع قدرته)⁽²⁾، لبيان قيمة الزمن، والتنبيه إلى مكانته، انطلاقاً من النصوص القرآنية الغنية بالتوجيهات التي تبين قيمة الزمن وتنوّه بشرفه وفضله، للخروج من حالة الركود والتثاقل إلى حالة الحركة والفاعلية، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الوعي التام بقيمة الزمن في الحياة الإنسانية واستثماره فيما ينفع الإنسان في دينه ودنياه⁽³⁾.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"⁽⁴⁾، وفيه إشارة إلى أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفياً، صحيح البدن؛ فقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، وقد يكون صحيحاً ولا يكون مستغنياً، فلا يكون متفرغاً للعلم والعمل؛ لشغله بالكسب، فمن حصل له الأمران: الصحة والفراغ، وكسل عن الطاعات؛ فهو المغبون الخاسر في تجارته!، وفيه: الترغيب في استغلال النعم من صحة وفراغ وغيرهما، والاستفادة منهما فيما يرضي الله

(1) انظر: عبد الستار، نوير، الوقت هو الحياة، ص 14-15.

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 387/30.

(3) انظر: البع، محمد رمضان، القسم بالزمان في آيات القرآن دراسة لغوية وحقيقة كونية، ص 2.

(4) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، 2357/5 برقم 6049.

سبحانه وتعالى⁽¹⁾.

وحث القرآن الكريم على القضاء على مظاهر البطالة والعوز والفقر، وذلك بالحث على السعي لطلب الرزق، ودعا إلى الانتشار في الأرض، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، وفيه: (أن تحقيق التَّوَكُّل لا يُبْناي السَّعْي في الأسباب التي قَدَّرَ اللهُ سُبحانَه المَقْدورات بها، وَجَرَتْ سُنَّتُهُ في خَلْقِهِ بذلك؛ فَإِنَّ الله تَعَالَى أَمَرَ بتعاطي الأسباب مع أمرِهِ بالتَّوَكُّل، فَالسَّعْي في الأسباب بِالْجَوَاحِر طاعةٌ لَهُ، وَالتَّوَكُّل بِالْقَلْبِ عَلَيْهِ إيمانٌ بِهِ)⁽²⁾.

وإنه لمن فضل الله تعالى على الإنسان أن سخر له كل ما في هذا الكون من: نجوم، وكواكب، وجبال، وبحار، وأنهار، ونباتات، وحيوانات، وغير ذلك من المخلوقات مما لا يحصيه إلا الله عز وجل، الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه جل وعلا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجمعة: 13]، أي: ودَّلَّ اللهُ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- ما في السَّمَاوَاتِ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ، وَنُجُومٍ وَسَحَابٍ، وَمَطَرٍ وَهَوَاءٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وما في الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ وَجِبَالٍ، وَمِيَاهٍ وَدَوَابٍّ وَمَعَادِنٍ.. وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِمَنَافِعِكُمْ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ⁽³⁾، وقال السعدي: (فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه)⁽⁴⁾.

وكرم الله تعالى الإنسان حين مهد له الأرض، وجعلها صالحة للحياة بما خصها الله تعالى بهم من هواء وماء وغير ذلك من أسباب الحياة. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، قال الشوكاني:

(1) انظر: قاسم، حمزة، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، 5/ 289.

(2) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 2/ 498.

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان، 21/ 78، الواحدي، الوسيط، 4/ 96، ابن عطية، الوجيز تفسير ابن عطية، 5/ 82.

(4) انظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص 936.

أي: سهلة لينة تستقرون عليها، ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها⁽¹⁾.

وقال السعدي: هو الذي سخر لكم الأرض وذلّلها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج 65]، قال الرازي: أي: ذلّل لكم ما فيها، فلا أصلب من الحجر، ولا أحد من الحديد، ولا أكثر هيبة من النار، وقد سخرها لكم، وسخر الحيوانات أيضاً، حتى ينتفع بها من حيث الأكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر إليها⁽³⁾.

وذكر الله تعالى الغاية من هذا التسخير، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء 12]، قال ابن كثير: يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل وينتشدوا في النهار للمعاش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجازات وغير ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك، ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسفاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك⁽⁴⁾.

وأخير سبجانه عن داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع في قوله جل شأنه:

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ص: 1771.

(2) انظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص 1054.

(3) انظر: الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، 55/12،

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص: 1106.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء 80]، قال القرطبي: هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب (1).

وآيات التسخير للكون وما فيه للإنسان تشير إلى أن الله تعالى زود الإنسان من أسباب تكليفه ومن عوامل قيامه بتبعاته ومسؤولياته، لتكون القوى التي يتمكن بها من أداء التكليف التي كلفها الله تعالى وحملها للإنسان، وبذلك يظهر رحمة الله تعالى بالإنسان حيث لم يحمله عسراً، بل جعل الأمانة والمسؤولية والتي حمله إياها وأناط به رعايتها والقيام بها وفق طبيعته ومطابقة لتكوينه وخلقه.

المطلب الثالث: البطالة، أنواعها وأبرز تأثيراتها:

إن ظاهرة مشكلة البطالة لا يتوقف خطرهما على الأفراد بل يمتد إلى المجتمعات، لأن هذه الظاهرة تجر وراءها أزمات اجتماعية وأمنية وصحية واقتصادية وغيرها، سواء أكانت بطالة حقيقية واقعية؛ لعدم توافر العمل لشخص قادرٍ عليه وراغب فيه وحريص عليه، أم كانت بطالة اختيارية؛ لعدم الجدية في طلبه ولا في الحرص عليه، أو بسبب شروط تفرضها جهة العمل أو الراغب في العمل، مما يقلل من استثمار فرص العمل الحقيقية ويحد من شيوع البطالة خاصة بين فئات الشباب.

أولاً: أنواع البطالة.

تتعدد أنواع البطالة لاعتبارات عديدة، وزوايا مختلفة، فمنها: البطالة الإجبارية، والبطالة المقنعة، والبطالة الموسمية، والبطالة الدورية، والبطالة الفنية، والبطالة المقنعة، أو بطالة مقنعة كاملة.

(1) البطالة الإجبارية: وتعني: بطالة المضطر الذي لا حيلة له في إيجاد العمل له، مع رغبته فيه، وقدرته عليه، ولا اختيار للإنسان فيها، وإنما تُفرض عليه أو يُبتلى بها، سواء أكان بسبب عدم تعلم مهنة في الصغر، أو الحاجة إلى آلات وأدوات لازمة لمهنته ولا يجد مალًا يشتري به ما يريد، وقد يفتقر إلى رأس المال مع معرفته بالتجارة، وقد يكون من أهل الزراعة

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 321/11.

ولكنه لا يجد أدوات الحرث⁽¹⁾.

(2) البطالة الاختيارية: هي بطالة مَنْ يقدر على العمل، ويجنح إلى القعود، ويستمرئ الراحة، ويؤثر العيش عالية على الآخرين. وهؤلاء لاحظ لهم في الزكاة، أخذًا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي"⁽²⁾. يقول الماوردي رحمه الله: وإذا تعرض للمسألة ذو جلد وقوة على العمل، زجره الوالي وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله⁽³⁾.

والبطالة التعبدية: هي بطالة دفع إليها تصوّر معين لمبادئ الدين الإسلامي، إذ قد فهم بعض الناس أن بعض المبادئ الدينية تستدعي ترك العمل، والركون إلى الرهينة أو التواكل⁽⁴⁾

(3) البطالة الموسمية: وتعني: خروج العمل من عملية الإنتاج لفترة أو فترات من السنة،

(4) البطالة الدورية: والتي تعني خروج العمل من عملية الإنتاج بشكل دوري، والبطالة

الفنية: والتي تكون بسبب تطوّر أدوات الإنتاج على وجهٍ يستغني فيه الإنتاج عن بعض قوة العمل، والتي لم تستطع اكتساب المهارة اللازمة لمواكبة التطور في الأسلوب.

(5) البطالة المقنّعة، والتي تعني: إمكانية خروج العمل دون أن يتأثر الإنتاج، سواء

أكانت بطالة مقنّعة ناقصة: وتعني: خروج العاملين الذين لا ينتجون إنتاجًا متكافئًا مع قدرتهم، أو بطالة مقنّعة كاملة، والتي تعني: وجود العاملين، ولكن لا يعملون أي: لا ينتجون⁽⁵⁾.

(1) انظر: الرماني، د. زيد بن محمد، مفهوم البطالة في الاقتصاد الإسلامي، الألوكة، 1416/12/1هـ.

(2) رواه الترمذي في صحيحه، كتاب أبواب الزكاة، باب مَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ، 33/3، وقال الألباني: صحيح.

(3) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص248.

(4) انظر: الرماني، د. زيد بن محمد، مفهوم البطالة في الاقتصاد الإسلامي، الألوكة، 1416/12/1هـ.

(5) انظر: قنديل، حلمي محمود سلامة، مشكلة البطالة في مصر ودور المنهج الإسلامي في معالجتها،

رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية التجارة، قسم الاقتصاد. ص20

إلا أن المحصلة لمجموع أنواع البطالة تدور حول التعطل عن العمل لسبب أو أكثر مما يسبب فراغاً لدى الأفراد، وضياع الفرص، وإهدار الطاقات وعدم استثمارها أو ضعفه فيما يفيد الأفراد والمجتمعات.

ثانياً: الآثار والنتائج المترتبة على البطالة:

تتنوع الآثار المترتبة على مشكلة البطالة وتعدد، منها: آثار اجتماعية، وآثار أسرية، وآثار حُلقية، ونفسية، واقتصادية، وسياسية، ولكل منها تأثيرها على مستوى الفرد والمجتمع:

1) آثار الاجتماعية للبطالة، ومنها:

(أ) ارتفاع معدل الجريمة: وتعد البطالة أحد أقوى عوامل مناخ الانحرافات السلوكية أو الفكرية، وقد ربطت كثير من الدراسات زمن الكساد ومعدلات زيادة البطالة والفقر وكثرة الجرائم، كان غالبها من جرائم العاطلين⁽¹⁾.

(ب) التفكك الأسري: فالفراغ يصيب العاطل نفسه بضرر نفسي، فيتجه نحو العنف تجاه الأبناء والزوجات، بسبب التكاليف المادية الملقاة على عاتقه، فتكثر الخلافات مما يؤدي إلى الطلاق، وتفكك الأسرة، فضلاً عن تأثيراتها على الأطفال والتعليم وارتفاع التسرب التعليمي.

(2) آثار الحُلقية والنفسية: إذ تمثل البطالة عاملاً مساعداً إلى الانحراف الخلقي، والاضطراب النفسي، للفراغ الذي يشعر به العاطل⁽²⁾، كانتشار السرقة، وتعاطي المخدرات، وانتشار الرشوة، والنصب والاحتيال، والغش والتزوير، فضلاً عن الانحراف الفكري والثقافي بسبب الفراغ.

3) آثار الاقتصادية: حرمان اقتصاد المجتمعات والدول من إسهام موارده وانخفاض

(1) انظر: قنديل، حلمي محمود سلامة، مشكلة البطالة في مصر ودور المنهج الإسلامي في معالجتها، ص24.

(2) انظر: عبد الباري، سيف الإسلام حسين، البطالة الأسباب والمخاطر المترتبة عليها ومنهج الإسلام في معالجتها (دراسة فقهية مقارنة) رسالة ماجستير، ص43، وما بعدها.

حجم الناتج القومي المحتمل، مع تضخم ظاهرة التكسب الوظيفي، وعمل الشباب بأنشطة هامشية، وانتشار ظاهرة الفقر وانخفاض القوة الشرائية للأفراد، وتفاقم ظواهر اقتصادية كالركود التضخمي.

(4) آثار السياسية: ضعف الانتماء للوطن بدعوى أن الدولة لا توفر له عملاً يناسبه، كما تؤدي البطالة إلى أنواع متعددة من التطرف الفكري والثقافي، وسلبية المشاركة المجتمعية في مختلف المجالات.

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في علاج ظاهرة البطالة:

إنَّ المتنبع للفظ بطل في القرآن الكريم، وما اشتق منه، يجد أنه ورد قرابة (٣٦) مرة^(١)، كما وردت أحاديث نبوية تحث على العمل، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "كلُّكم راعٍ وكلِّكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راعٍ في مال سيِّده ومسؤول عن رعيته - قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته - وكلِّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته"^(٢)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَخْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ لَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ"^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: "أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح"^(٤)، وَقَالَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لَا يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تَمُطِرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً"^(٥)، ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إني لأكره أن أجد الرجل فارغًا؛ لا في أمر دنياه، ولا في أمر آخرته"^(٦).

فالقرآن الكريم يقاوم البطالة ولا يرضى عن مسلك العاطلين، وهذه البطالة يأثم فيها

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، 56/11، الفيومي، المصباح المنير، 1/ 51 - 52.

(٢) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: الْجُمُعَةُ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ، 304/1 برقم 853.

(٣) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: الاسْتِعْقَافِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، 535/2 برقم 1401.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، 334، 357/2. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 479/1 برقم 776، حسن ورواته ثقات.

(٥) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 342/2.

(٦) أبي داود، الزهد، من خبر ابن مسعود، 171/ 174، الطبراني في الكبير، 151/9، رقم 8758، قال الهيثمي، 304/10، رجاله رجال الصحيح غير عدسة الطائي وهو ثقة.

الأفراد ويحاسبون عليها يوم القيامة، كما أن هؤلاء لا حظَّ لهم في الزكاة، حيث إن منح الزكاة لمثل هؤلاء يزيد من البطالة، ويعطل القدرات الإنتاجية لأفراد المجتمع، ويحد مما يمكن أن يحصل عليه مستحقو الزكاة الحقيقيون، يقول عليه الصلاة والسلام: "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي"⁽¹⁾. أي: القويِّ صحيح البدن الذي يَقْدِرُ على العمل وبذل الجهد لكسب ما يكفيه من المال والقوت⁽²⁾، فالإسلام ينظر إلى العمل أنه قيمة إيجابية، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده"⁽³⁾، فاعتبر البطالة ظاهرة سلبية.

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في الترويج في العمل والإنتاج.

أولاً: الحث على الكسب سفيراً وحضراً:

حث القرآن الكريم على العمل ودعا إليه، وقاوم الكسل ولم يرتضيه مسلماً للمسلم، وصحح مفهوم التوكل على الله وأنه لا يتعارض مع قانون الأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك 15]، فيه الأمر بالتسبب والكسب⁽⁴⁾، وتشير الآية إلى أنه: لما ضرب الله سبحانه لهم بخلق أنفسهم دليلاً على علمه الدال على وحدانيته؛ شفعه بديل خلق الأرض التي هم عليها، مع المنة بأنه خلقها هينة لهم، صالحة للسير فيها، مُخرجةً لأرزاقهم⁽⁵⁾، هو الذي جعل لكم الأرض موطأة بحيث تتمكنون من الانتفاع بها، بالوطء عليها، والمشى فوقها إلى غير

(1) رواه الترمذي في صحيحه، كتاب أبواب الزكاة، باب مَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ، 33/3، وقال الألباني: صحيح.

(2) انظر: السقاف، الدرر السنية، شرح الأحاديث النبوية، ص 1634.

(3) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ. 730/2 رقم 1966.

(4) انظر: السيوطي، الإكليل، ص 270.

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 31/29.

ذلك، ولم يجعلها مستصعبةً ومُمتنعةً على مَنْ أراد ذلك منها⁽¹⁾، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، أي: فامشوا في جوانبها ونواحيها، وسافروا حيث شئتم من أقطارها لطلب الرزق والمكاسب⁽²⁾، قال القرطبي: هو أمرٌ بإباحةٍ، وفيه إظهارُ الامتنانِ⁽³⁾، ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، أي: وكلوا من رزق الله الحلال الذي أودعه فيها، وأقدركم على إخراجِه منها⁽⁴⁾، قال ابن عثيمين: إن الإسلام يأمرُ بكلِّ تقدّمٍ نافعٍ؛ فقد أمرنا بالمشي في مناكِبِ الأرض -أي: جهاتها- ثمَّ أمرنا بالأكل من رزقه، ومعنى ذلك: أن نَسعى بطلبِ هذا الرزق؛ إذ لا يُمكنُ تحصيلُه إلَّا بأسبابه، والناسُ يَخْتَلِفُونَ في سلوكِ ما يُلائِمُهُم من أسبابِ الرزق؛ فمنهم مَنْ يُحصِّلُه بالتجارة، ومنهم مَنْ يُحصِّلُه بالصناعة، ومنهم مَنْ يُحصِّلُه بالزراعة، ومنهم مَنْ يُحصِّلُه بالعمل، إلى غير ذلك من أسبابِ الرزق⁽⁵⁾، وفي قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾⁽⁶⁾ و﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ حُجَّةٌ في السعي والحركة في طلبِ الرزق، والتماسِه بالمكاسب في الأسفارِ والحضرِ⁽⁷⁾.

ولقد أخبر الله سبحانه أنه جعل الأرض ذلولاً منقاداً للوطء عليها وحفرها وشققها والبناء عليها، ولم يجعلها مستصعبة ممتنعة على مَنْ أراد ذلك منها، والمقصود أنه سبحانه جعل لنا الأرض كالجمل الذلول، الذي كيفما يُقاد يُنقاد، ثم أمرهم أن يأكلوا من رزقه

- (1) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 127/23، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 214/18، 215، ابن القيم، الفوائد، ص 17، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 179/8.
- (2) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 129/23، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 179/8، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 877. قال القرطبي: هو أمرٌ بإباحةٍ، وفيه إظهارُ الامتنانِ. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 215/18.
- (3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 215/18.
- (4) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 129/23، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 215/18، ابن القيم، الفوائد، ص 18.
- (5) انظر: ابن عثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، 87/1.
- (6) مناكبها: جبالها، وقيل: طرقها، وقيل: جوانبها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، 772/1.
- (7) انظر: القصاب، النكت الدالة على البيان، 375/4.

الذي أودعه فيها، فذلّلها لهم ووطأها، وفتق فيها السبل والطرق التي يمشون فيها، وأودعها رزقهم، فذكر تهيئة المسكن للانتفاع والتقلب فيه بالذهب والحياء، والأكل مما أودع فيها للساكن؛ فتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته ووحدانيته وقدرته وحكمته ولطفه، والتذكير بنعمه (1).

كما حث القرآن الكريم على القضاء على مظاهر البطالة والعوز والفقر، وذلك بالحث على السعي لطلب الرزق، ودعا إلى الانتشار في الأرض، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة 10]، أي: فإذا فرغتم من صلاة الجمعة فتفرقوا في الأرض، واطلبوا من رزق الله إن شئتم؛ فلا حرج عليكم في ذلك (2). ولما كان السعي في طلب الرزق ملهياً عن الذكر؛ بين أن الذكر أعظم السعي في المعاش، وأن من غفل عنه لم ينجح له مقصد، وإن تحايل له بكل الحيل وغير ذلك (3).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، أي: والله خير من رزق وأعطى في الدنيا والآخرة؛ فليس الصبر على طاعة الله مفعولاً للرزق، ومن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب (4). وفيه: أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك؛ فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في

(1) انظر: ابن القيم، الفوائد، ص 17.

(2) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 643/22، 644، السمرقندي، بحر العلوم تفسير السمرقندي، 448/3، الرازي، مفاتيح الغيب، 542/30، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 108/18، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 122/8.

(3) انظر: البقاعي، نظم الدرر، 67/20.

(4) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 649/22، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 120/18، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 863، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 230/28.

الأسباب بالجوارح طاعة له، والتَّوَكُّلُ بالقلب عليه إيماناً به،⁽¹⁾ وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ إجازة الحركات في التجارة ولو كانت بعيدة، خلافاً لِمَنْ يَنْتَطِعُ⁽²⁾ ولا يَحْضُرُ السُّوقَ⁽³⁾.

وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: 11]، قال البيضاوي: (وقت معاش تتقلبون فيه لتحقيق ما تعيشون به). اهـ⁽⁴⁾.

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مرَّ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل، فرأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من جَلَدِهِ ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْقُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ"⁽⁵⁾.

وقد وردت في السنة النبوية عدَّةُ أحاديث تحضُّ على العمل والسعي في طلب الرزق؛ منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَخْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ

(1) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، 498/2.

(2) التنطع: التكلف، والتعمق في الشيء والابتداع، والمقصود المتواكل يحسن الكلام ولا يحسن الفعل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، 357/8.

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري، 298/4.

(4) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 278/5.

(5) رواه الطبراني في المعجم الكبير، 19 رقم 282، وفي الأوسط، 6835، وفي الصغير، 922، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، 325/4: رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، 1428.

أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ"⁽¹⁾، وعن المقدم رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"⁽²⁾، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (وفيه الحِصُّ على التعقُّفِ عن المسألة والتزهِ عنها، ولو امتنَّ المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبْح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل من دُلِّ السؤال، ومن دُلِّ الرد إذا لم يعط) اهـ.⁽³⁾

ثانيًا: السفر في طلب الرزق قرن مع الجهاد في سبيل الله.

يقول الله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل 20]، قال النسفي: ﴿يَضْرِبُونَ﴾، أي: يسافرون، و﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، رزقه بالتجارة.. فسوى بين المجاهد والمكتسب؛ لأنَّ كسب الحلال جهاد. اهـ⁽⁴⁾، و﴿يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يسيرون في الأرض، ويُسافرون للتجارة وغيرها، والضَّربُ في الأرض: الذَّهابُ فيها، وضَرْبُهَا بِالْأَرْجْلِ⁽⁵⁾، ولقد سَوَّى اللهُ تعالى في هذه الآية بينَ دَرَجَةِ المجاهدين، والمكتسبين المالَ الحلالَ لِلنَّفَقَةِ على نَفْسِهِ وِعِيَالِهِ، والإِحْسَانِ، فكان هذا دليلًا على أَنَّ كَسْبَ المالِ بمنزلة الجهاد؛ لأنَّ جَمْعَهُ مِنَ الجهادِ في سَبِيلِ اللَّهِ⁽⁶⁾.

(1) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: الإِسْتِعْفَافِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، 535/2

برقم ١٤٠١.

(2) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب البيوع، بابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، 57/3

برقم ٢٠٧٢.

(3) ابن حجر، فتح الباري، 336/3.

(4) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 560/3.

(5) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 398/3، الواحدي، البسيط، 387/22، الراغب، المفردات، ص

505، البغوي، معالم التنزيل، 258/8، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 286/29.

(6) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 55/19.

وقد كان بعض الصَّحابة يتأوَّل من هذه الآية فضيلة التجارة والسَّفر للتَّجَرُّ؛ حيث سَوَّى الله بين المجاهدين والمكتسبين المالَ الحلال، يعني: أنَّ الله ما ذَكَرَ هَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ لنسخ تحديد القيام إلاَّ تنوَّيَهما؛ لأنَّ في غَيْرِهما من الأعذار ما هو أشبه بالمرضى، ودقائق القرآن ولطائفه لا تنحصر (1).

كما أن فيه: استئنافاً يُبيِّنُ حكمةً أُخرى مُقتضيةً للتَّرخيص والتَّخفيف، وهي تَعُدُّ القيام على المرضى، والضَّاربين في الأرض للتجارة وللأشغال التي تدعو إليها ضرورةُ العيش، والمجاهدين في سبيل الله (2).

ثالثاً: قدوة الأنبياء في العمل والسعي في الرزق:

بيَّن القرآن الكريم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا عالة على غيرهم؛ بل كان لكل نبي حرفة يتكسب منها، يكف بها نفسه عن مال غيره، فكان آدم عليه السلام حرَّاثاً، ونوح عليه السلام نجَّاراً، ولقمان عليه السلام خياطاً، وطالوت دبَّاعاً، فالصُّنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس (3)، فنوح عليه السلام عمل في صناعة الفُلِّك، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود 38]، قال المفسرون: أي: وطَفِقَ نوحٌ يصنع السفينة، وكلَّما مرَّ عليه جماعةٌ من كُبراء قومه المشركين ورأوا ما يصنع هَزَنُوا منه (4)، وقال الطبري وابن كثير: أي: واصنع السفينة بمِزَايَ منَّا، وتحت حِفْظنا، وتعليمنا لك

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 285/29، 286.

(2) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 257/5، 258، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 53/9.

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 321/11.

(4) انظر: ابن جرير، جامع البيان، 393/12، القرطبي، تفسير القرطبي، 31/9، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 382.

كيفية صناعيتها⁽¹⁾.

وقد كان نبي الله داود عليه السلام يُجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية، وكان أيضا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ 10-11]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ الأنبياء 80، وقد أشاد به النبي صلى الله عليه وسلم، قال القرطبي رحمه الله: هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقط طعن في الكتاب والسنة⁽²⁾.

وكان زكريا عليه السلام نجارا⁽³⁾، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَانَ زَكْرِيَاءُ نَجَّارًا"⁽⁴⁾، وموسى عليه السلام عمل بأجرة في رعي الغنم عشر سنين وكانت مهر زواجه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص 27]، قال السعدي: فيه جواز الإجارة على كل عمل معلوم في نفع معلوم أو زمن مسمى، وأن مرَدَّ ذلك إلى العُرف⁽⁵⁾.

وعمل يوسف عليه السلام واليًا على خزان مصر، فقال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان، 392/12، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 319/4.

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 266/11.

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 321/11.

(4) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكرياء، عليه

السلام، 3/ ١٨٤٧ برقم ٢٣٧٩

(5) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان، 229/1.

خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ» [يوسف 55]، قال ابن عاشور: هذه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا يصلح له غيره⁽¹⁾.

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد كان له نصيب وافر، فقد عمل في رعي الغنم، كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه فقال صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم"، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: "نعم، كنت أُرعاها على قراريط لأهل مكة"⁽²⁾، كما عمل بالتجارة فسافر إلى الشام في تجارة خديجة رضي الله عنها⁽³⁾، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: "وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي"⁽⁴⁾.

فالعَمَل والكسب وإصلاح المعيشة سنة الأنبياء، وهو مطلب شرعي لما فيه من تحصيل المصالح ودرء المفاسد عن النفس، وليس فيه عيب أو غضاضة، فالأنبياء صفوة البشر، وأفضل الناس، ولذا اختارهم الله رسلاً مبلغين دينه، وجعلهم قدوة للناس، وقد كانوا أصحاب كسب وعمل مع تمام التوكل على الله تعالى، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ - وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ، وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ، وَالتَّعَقُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ - "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُتَنَفِّعَةُ، وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ"⁽⁵⁾.

رابعاً: تحري وسائل طلب الرزق المباحة والبعد عن المحرمة:

لقد دعا القرآن الكريم إلى تحري طرائق الكسب والعمل ووسائله، وحذر من المسالك غير المشروعة لكسب المال، فقليل مبارك خيرٌ من كثير سُحت يجر وراءه النكبات والمصائب،

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/9.

(2) ابن فارس، صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رَعِيَ الْغَنَمَ عَلَى قَرَارِيطَ، 83/3 برقم 2262.

(3) المغامسي، صالح، كتاب التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي، 6/4. المقرئزي، إمتاع الأسماع، 186/8.

(4) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، 2087/4 برقم 2720.

(5) ابن فارس، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: لَا صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى، 518/2 برقم 1361.

وأن يعلم بأن العبد لن يترك هملاً، وسوف يُسأل عن ماله من أين أكتسبه؟ وفيم أنفقه؟؛ فقال تعالى عن البيع والشراء يقول جل شأنه ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة 275]، وفي معرض النهي عن أكل أموال الناس بالباطل نهي الله تعالى عن الكسب غير المشروع، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء 29]، أي: لا يأخذ بعضكم أموال بعضٍ بغير حقٍّ، من وسائل الكسب المحرمة؛ كالربا والقمار، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم الله عز وجل عنها⁽¹⁾، كما أشار القرآن الكريم إلى أن السرقة فساد في الأرض توجب العقاب، فقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة 38]، أي: جاء هذا الحكم بالقطع مجازةً للسرارِق والسَّارِقَةِ على ما اكتسباه من المال الحرام⁽²⁾، وكما ورد في الحديث الشريف عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟، وعن جسده فيم أبلاه؟، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم وضعه؟، وعن علمه ماذا عمل فيه؟"⁽³⁾.

خامساً: توجيه الطاقات المعطلة واستثمارها:

يحث القرآن الكريم على استثمار الطاقات البشرية والموارد المادية بشكل حكيم وموجه، واستثمار الثروة البشرية، شجع القرآن على استخدام العقل وتوظيف الطاقة الفكرية في الابتكار والتطوير، قال الله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس 101]، أمر تعالى بالفكر فيما أودعته تعالى في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ إذ السَّبِيلُ إلى معرفته تعالى هو

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان، 6/626، 628، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/268.

(2) انظر: ابن جرير، جامع البيان، 8/410، ابن كثير، تفسير، القرآن العظيم، 3/110، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 231.

(3) رواه الترمذي، سنن الترمذي، باب في القيامة، حديث 145/1 برقم 2417، وصححه الألباني في تعليقه.

بالتفكير في آياته ومخلوقاته⁽¹⁾، وقال ابن عاشور: (عمم ما في السموات والأرض؛ لتوجه كل نفس إلى ما هو أقرب إليها، وأيسر استدلالاً عليه لديها)⁽²⁾، كما يدعو القرآن إلى توجيه الجهود نحو تحقيق التوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة، ويقول تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص 77]، أي: لا تترك حظك من الدنيا أن تعمل فيها لآخرتك⁽³⁾، ولا تترك حظك من التمتع بما أحل الله لك في الدنيا؛ من الماكيل والمشارب، والملابس والمسكن، والمناكح وغيرها⁽⁴⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾⁽⁵⁾ [الكهف 96]، أي: قال ذو القرنين للقوم الذين سألوه بناء السد: أعطوني قطع الحديد الضخمة وناولونها، ... وهو استدعاء للمناولة، لأنه قد ارتبط من قوله: أنه لا يأخذ منهم الخرج، فلم يبق إلا استدعاء للمناولة، وأعمال الأبدان⁽⁶⁾.

وشجع القرآن الكريم على العمل الجاد والسعي الدؤوب لتحقيق الرزق والعيش الكريم فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، وقال تعالى مبشراً للمحسن ومحذراً للمسيء: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم 39-41]، أي: ثم يجزيه

(1) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 109/6.

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 295/11.

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 322/18.

(4) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن، 513/3، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، 119/2، ابن كثير،

تفسير القرآن العظيم، 253/6، الشوكاني، فتح القدير، 215/4.

(5) قِطْرًا: أي: نحاساً ذائباً، وأصله من القَطْر. انظر: الراغب، المفردات، ص 677.

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، 61-60/11.

الله على سَعْيِهِ الجزاءَ الأَوْفَرَ النَّامَ⁽¹⁾، كما: جاءَ الفِعْلُ بصيغة الماضي دونَ المستقبل؛ لزيادةِ الحَثِّ على السَّعْيِ في العَمَلِ الصَّالِحِ، فقال: ليس له إلَّا ما قد سعى وحَصَّلَ وفَرَّغَ منه، وأمَّا تسويلاثُ الشَّيْطَانِ وَعِدَّائِهِ فلا اعْتِمَادَ عليها⁽²⁾، يؤكدُ أن الإنسانَ لن ينالَ إلَّا ما يسعى له، وأن سعيه سيظهر ويكافأ عليه.

سادساً: تشريع الزكاة أو الحث على بذل المال في وجوه الخير زكاة وصدقة ووقفًا ووصية
: يكمن دور الزكاة والصدقة والوقف والوصية في إعطاء القادر العاقل ما يمكنه من العمل في حرفته من أدوات أو رأس مال، أو يدرب على عمل مهني يحترفه ويعيش منه، أو تقام مشروعات جماعية، مصانع أو متاجر أو مزارع ونحوها؛ ليشغل فيها العاطلون، وتكون ملكًا لهم بالاشتراك كلها أو بعضها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة 60]، وذلك يدلُّ على أنَّه لا بدَّ في أداء هذه الزَّكَاةِ مِن عَامِلٍ، والعاملُ هو الذي نَصَبَهُ الإمامُ لأخذِ الزَّكَاةِ⁽³⁾.

كما أن مصارف الزكاة تشجع على العمل، فسهم العاملين عليها، أول دعوة لإطلاق الحوافز المادية⁽⁴⁾، فكلما اجتهد العامل في جمع الزكاة وأحسن الأداء، زاد الدخل من الزكاة وارتفع سهم العاملين عليها ليفي بأجورهم كاملة⁽⁵⁾، وسهم في الرقاب من شأنه أن يحثَّ قوة

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 80/22، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 465/7، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 822، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 139/27.

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 276/29.

(3) انظر: المرجع السابق، 88/16.

(4) انظر: سليمان، محمدي عبد الفتاح، علاج التضخم والركود الاقتصادي في الإسلام، 2002م، ص 206.

(5) انظر: الرماني، د. زيد بن محمد، مفهوم البطالة في الاقتصاد الإسلامي، الألوكة، 12 / 2016م، ص 4.

عاملة تسهم في الأعمال الاقتصادية، بما يعود عليهم بمزيد من الإنتاج ومزيد من فرص الاستثمار، وسهم الغارمين، من حسناته تعويض المدينين عما يلحق بهم من خسائر، وإيجاد نوع من الاطمئنان لدى المتعاملين، ويدعم هذا الائتمان والاستقرار الاقتصادي.

أما ما يظنه بعض الناس أن الزكاة صدقة تعطى لكل سائل، وتوزع على كل متسول، ويظن أنها تعين على كثرة السائلين والمتسولين، ومن ثم فهي تشجع على البطالة! فالحقيقة، أنَّ الزكاة إذا فهمت كما شرعها الله وجمعت من حيث أمر الله، ووزعت حيث فرض الله، تكون أنجح وسيلة في مواجهة ظاهرة التسول، والقضاء على البطالة الاختيارية، فالزكاة لا تعطي للقوي القادر على العمل، قال صلى الله عليه وسلم: "لا حظَّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب" (1).

سابعاً: التكافل الاجتماعي:

لقد دعا القرآن الكريم إلى التكافل والتراحم بين الناس، ليوفر الحماية والرعاية والأمن والأمان النفسي للفرد في المجتمع، والتكافل يعد مظلة طمأنينة تشمل المجتمع كله؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2]، قال القرطبي: هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البرِّ والتقوى؛ أي: ليعين بعضكم بعضاً، وقد ندب الله سبحانه إلى التعاون على البرِّ وقرنه بالتقوى له؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّ رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته (2).

وقال ابن القيم: فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علماً وعملاً، فإن العبد وحده لا يستقل بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه؛ فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنساني

(1) البيهقي، السنن الكبرى، ط/ التركي، 297/13، وأعازه إلى الشافعي في الأم، 4/155. وصححه الألباني في الإرواء تحت حديث: 1245.

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 33/6/3.

قائمًا بعضه ببعضه معينًا بعضه لبعضه (1).

والتكافل يسهم في الحد الفقر وتنمية قدرات الأفراد الأكثر ضعفًا، وزيادة المشاركة الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق تكافؤ الفرص، ويحتاج التكافل الاجتماعي إلى تحقيق التوازن بين عدة أهداف، مثل: منع الصدمات التي سيكون لها تأثير سلبي على الفقراء، والحد من تأثير تلك الصدمات عند حدوثها، ومساعدة الفئات الضعيفة على التعامل مع تلك الصدمات.

كذلك من وجوه التكافل الاجتماعي: القرض الحسن، حيث يقوم الأغنياء بإقراض الفقراء بعض المال لعمل مشروع يدر لهم دخلًا، ومن خلاله يقوم المقرض بسداد ما عليه، والإنفاق على نفسه ومن يعول، فينجو من البطالة، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة 245]، وصف القرض بالحسن يفيد الصدقة المراد بها وجه الله تعالى، والسَّالِمَةُ مِنَ الْمَرِّ وَالْأَذَى، والحسن مُتَّفَاوِتٌ (2)، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلمٍ يُقرضُ مسلمًا قرضًا مرّتينِ إلَّا كان كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً" (3).

ثامنًا: النهي عن الإسراف: الإسراف أحد أسباب الغفلة عن الفقراء والعاطلين عن العمل، وقد حذرنا الله تعالى من الإسراف، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف 31]، (وَلَا تُسْرِفُوا)، أي: لا تُفْرِطُوا، والسَّرْف: تجاوز الحد في كلِّ فعلٍ يفعلُه الإنسان، وأصله: تعدي الحد، والإغفال

(1) انظر: ابن القيم، زاد المهاجر، 13/1.

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 288/29.

(3) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق الأرئوط، كتاب أبواب الصدقات، باب القرض، 500/3 برقم 2431، وقال المحقق: حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لضعف سليمان بن يسير، وجهالة قيس ابن رومي، وأخرجه الإمام أحمد، برقم 3911، وأبو يعلى برقم 3566، من طريق عطاء، عن ابن أذنان، عن علقمة، عن ابن مسعود. وهذا إسناد حسن.

للشَّيء أَيْضًا⁽¹⁾. قال ابن القيم رحمه الله: (إن مجاوزة الحد في كل أمر يضر بمصالح الدنيا والآخرة، بل يفسد البدن أيضًا، إذ إن هي زادت أخلاطه عن حد العدل والوسط ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذا مطرد أيضًا في الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك)⁽²⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان 67]، أي: وكان إنفاقهم معتدلًا ووسطًا بَيْنَ الإسرافِ والتَّقْتِيرِ⁽³⁾.

تاسعًا: الحث على الاستفادة مما سخره الله لنا في الأرض وإحياء الأرض الموات: لم يترك القرآن شيئًا ينفع البشر ويرتقي بهم إلا حثهم عليه، ورغبهم فيه، ومن العوامل التي تساعد على المضى قدمًا في القضاء على البطالة وزيادة الإنتاج وتوفيره، تحفيزه على إحياء الأرض الموات، واستخرج ما فيها من رزق.

وإحياء الأرض الموات: نعي به: التسبُّب باستصلاح الأراضي الموات وجعلها صالحة للزراعة، وقد أتاحت الشريعة الإسلامية مشروعية إحياء الموات، والإحياء يكون بالبناء، والغرس، والزراعة، والحرق، وإجراء المياه، وغيرها، قال تعالى: ﴿...هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود 61]، أي: جعلكم عُمَّارَهَا، وأصل (عمر): يدُلُّ على بقاء، وامتداد زَمَانٍ⁽⁴⁾، وقال البرهان: دَلَّ على أَنَّ الله يُريدُ عِمَارَةَ الْأَرْضِ، لا التَخْلِيَّ والتَّبْتُلَ⁽⁵⁾. ودلَّت الأحاديث على الترغيب في الإحياء؛ لحاجة الناس إلى موارد الزراعة، وتعمير

(1) انظر: السجستاني، غريب القرآن، ص 102، ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/153، الراغب، المفردات، ص 407.

(2) انظر: ابن القيم، الفوائد، ص: 141

(3) انظر: ابن جرير، تفسير ابن جرير، 17/502 - 504، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/124.

(4) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 12/453، ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/140، الراغب، المفردات، ص 586.

(5) انظر: الغزنوي، بيان الحق، باهر البرهان، 2/667.

الكون، مما يحقق لهم رفاهًا اقتصاديًا، ويوفر ثروة عامة، منه قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَهِيَ لَهُ" (1)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَمَّرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا" (2).

وأنفق الفقهاء على أن الأرض التي لم يملكها أحد ولم يوجد فيها أثر عمارة وانتفاع تُملك بالإحياء، قال أبو حنيفة: لا بد وأن يكون الإحياء بإذن الإمام (3).

المطلب الثاني: القرآن الكريم يصحح المفاهيم الخاطئة،

إن القرآن الكريم كتاب استوعب كافة قضايا الحياة، وسائر جوانبها، وحوى قضايا الزمن المتجدد، فليست مقصورة على فترة زمنية أو رقعة مكانية، ومنها جملة المفاهيم التي تتغير فتخرج عن مضامينها، ونشير إلى جملة من المفاهيم التي تتعلق بالعمل والرزق والبطالة، من خلال ثمان نقاط:

أولاً: الرزق في القرآن الكريم وعلاقته بالسعي والبطالة:

الرزق: ما يُنتَفَعُ به (4)، فهو كل ما أنعم الله على عباده من نِعَمٍ سواء مادية أو معنوية كالمال والزوج والولد والأهل والصحة والحب والقبول وغير ذلك؛ ولذلك فإن كل ما مَنَّ به الله على عباده هو رزقٌ يجب على الإنسان شكره والحفاظ عليه (5).

ولقد ذكر لفظ (الرزق) ورد في القرآن الكريم 123 مرة، وكما جاء بمعنى الرزق المادي

(1) الإمام مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب الأفضية، القَضَاءُ فِي عِمَارَةِ الْمَوَاتِ، 1076/4 برقم 2750. والإمام أحمد في مسنده، 136/23 برقم 14840، وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): حديث صحيح، وهذا إسناد على شرط مسلم، وأبو الزبير لم يصرح بالسماع، لكنه قد توبع. يونس: هو ابن محمد المؤدب.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضاً موات، 109/3 برقم 2335.

(3) انظر: الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، 76/3.

(4) انظر: الزبيدي، تاج العروس، 335/25.

(5) انظر: السيد سحلول، الرِّزْقُ، فِي ضَوْءِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، دِرَاسَةٌ مُؤَصَّوْعِيَّةٌ، ص 4.

من مال وطعام ومطر، فقد جاء بمعنى معنوي في أكثر من موضع، كمعنى الثواب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران 169]، أي: يثابون على ما قدموا من أعمال وتضحيات.

ويمكن الفهم الخاطئ في قصر مفهوم الرزق على المعنى المادي المتمثل بالمال أو غيره، بينما الحقيقة التي تشير إليه النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تؤكد شمول معنى الرزق في الإسلام الأمور المادية والمعنوية.

ويوضح ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى 27]؛ أي: ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك، فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر⁽¹⁾؛ كما جاء في بعض الآثار: "إن من عبادي مَنْ لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه"⁽²⁾.

ثانياً: الإيمان الجازم بأن الرزاق هو الله تعالى وحده:

اختص الله سبحانه وتعالى بأمر الرزق وتسييره، فالأرزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق الأرزاق، وموصلها إلى خلقه، وخالق أسباب التمتع بها؛ فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها فهو مولها وواهبها. قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر 3]، وقال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت 60]، وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [النحل

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 116/4.

(2) رواه الطبراني في "الأوسط" كما في "المجمع"، 270/10، و"الحاوي للفتاوي"، 93/2 للسيوطي، وفيه عمر بن سعيد الدمشقي، وهو ضعيف، ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في "الأولياء"، وأبو نعيم في "الحلية" 318/8 - 319، وقال: غريب من حديث أنس. وقال الحافظ ابن حجر: وعنه بقية بخبر عجيب منكر. انظر: لسان الميزان، ابن حجر، 417/1.

[114]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم 40]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك 21]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد 26]، يَبْسُطُ، أي: يُوسِّعُ، وأصلُ (بسَطَ): يَدُلُّ على امتِدَادِ الشَّيْءِ، وَيَقْدِرُ: أي: يُضَيِّقُ، وأصلُ (قدر): يَدُلُّ على مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَخَاتِمَتِهِ⁽¹⁾، أي: اللهُ وَحْدَهُ هو الذي يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُ الرِّزْقَ على مَنْ يَشَاءُ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ⁽²⁾، وفيه الاستِدْلَالُ على انفرادِهِ تعالى بِالرِّزْقِ التَّذْكِيرُ بِأَنَّهُ تعالى يَرْزُقُ عِبَادَهُ على حَسَبِ مَشِيئَتِهِ؛ دَلِيلًا على أَنَّهُ الْمُخْتَارُ فِي تَصَرُّفِهِ، وليس ذلك على مَقَادِيرِ حَاجَاتِهِمْ، ولا على ما يَبْدُو مِنَ الِاتِّفَاعِ بِمَا يُرَزَّقُونَهُ⁽³⁾.

أما قول المستشرقين: بأن سبب تأخر المسلمين هو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212، النور 38]، وأن هذه الآية قد علّمت المسلمين التواكل والكسل وحرضتهم على عدم العمل، وإلّا لم يجلسوا في بيوتهم ينتظرون مشيئة الله في رزقه! ⁽⁴⁾.

فهذا الادعاء غير صحيح؛ لأنه ليس من تعاليم الإسلام في شيء! فقد أمر الله تعالى وحثنا نبينا صلى الله عليه وسلم على السعي في الأرض والاجتهاد في العمل، وأن على الإنسان أن يسعى في الأرض ويجتهد في عمله لكي يحصد رزقه، لا أن يقعد في بيته دون عمل وينتظر الرزق، فالسعي في الأرض من أسباب سعة الرزق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك 15]، ففي الحركات البركات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا

(1) انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن، ص 254، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 516/13، ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/1، 62/5.

(2) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 516/13، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 453/4، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 417.

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 27/21.

(4) انظر: السيد سحلول، الرِّزْقُ، فِي ضَوْءِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، دِرَاسَةٌ مُؤَصَّوْعِيَّةٌ، ص 15.

وَسَعَةً ﴿[النساء 100]﴾، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والربيع والضحاك في قوله: (وَسَعَةً) أي: في الرزق، وفي قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات 22]، قال البقاعي: من معناه: أنك لا تشتغل برزق؛ فإنه في السماء، ولا سبيل لك إلى العروج إليها، واشتغل بما كلفتك من الخدمة لمن عنده الرزق؛ ففي السماء الرزق، وإليها يرفع العمل، فإن أردت أن ينزل إليك رزقك فأصعد إليها الصالح من عملك⁽¹⁾.

ثالثاً: نقض ثقافة التواكل: حيث يشيع عند فريق من الناس فهم خاطئ لمفهوم الرزق وللموقف من السعي لاكتسابه؛ فطالما أن الله تكفل بالأرزاق، وقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود 6]؛ فلم العمل والنصب؟!، وهذا فهم سوغه بعض الناس لأنفسهم باستدلالات في غير موضعها، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"⁽²⁾.

هذه الشبهة قد وقعت قديماً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقعت للصحابة رضي الله عنهم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما حدثهم، وقال: "مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُوقَسَةٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ". فَقَالَ رَجُلٌ: أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: "لَا؛ وَلَكِنْ اْعْمَلُوا، كُلُّ مُيَسَّرٍ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ). ثُمَّ تَلَا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل 5-10]"⁽³⁾، فالرد على هذا الفهم في الحديث نفسه

(1) انظر: البقاعي، نظم الدرر، 459/18.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، من مسند عمر بن الخطاب، 438/1 برقم 370، وقال حديث صحيح، وابن ماجه، باب التوكل واليقين، 1394/2 برقم 4164، وقال الألباني صحيح.

(3) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: مَوْعِظَةُ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَقُعُودُ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ، 458/1 برقم 1296.

فالتوكل شيء، والسعي لاكتساب الرزق شيء آخر؛ وكلاهما أمر بهما الإنسان؛ فالطير أحسنت التوكل، وأخذت أمرها فغدت إلى أرزاقها مبكرة، وهو ظاهر في أن التوكل يكون مع السعي؛ لأنه ذكر للطير عملاً، وهو الذهاب صباحاً في طلب الرزق، وهي فارغة البطون، والرجوع وهي ممتلئة البطون، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، أي: وما من دابة تدب على الأرض من آدمي، أو حيوان، بري أو بحري، أو طائر أو زاحف، أو كبير أو صغير إلا وقد تكفل الله بقوتها وغذائها⁽¹⁾، فالذي ضمن الرزق وكفله لجميع خلقه؛ هو سبحانه الذي أمر بالعمل والجد والاجتهاد وبذل الطاقات والسعي لطلب الرزق، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾ [الملك 15].

رابعاً: الخلل المفاهيمي المؤدي إلى ثقافة الخمول والكسل: عالج القرآن الكريم الخلل الناتج عن الفهم الخاطئ الذي يستقر في أذهان البعض حول أفضلية الخمول والتنزه عن العمل المعاشي بذرائع دينية؛ أي: لأجل التفرغ للعبادة التي جعلها الشارع مقصداً للخلق، احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات 56]، ونسي هؤلاء أن العمل من العبادة، وهو شرط لها، لقوله تعالى: ﴿.. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود 61]، أي: الله هو الذي ابتداءً خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم تسكنونها وتعمرونها وتستغلون خيراتها⁽²⁾. وقال ابن عاشور: في موضع التعليل

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 324/12، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 151/3، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 6/9، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 305/4.

(2) انظر: ابن جرير، جامع البيان، 453/12، القرطبي، جامع العلوم، 56/9، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 331/4، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 108/12.

للاثر بعبادة الله⁽¹⁾. ونسي هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم "كُهِىَ عَنِ التَّبَتُّلِ"⁽²⁾. ونسوا سنته القولية والفعلية والتقريرية التي تحث على العمل وترغب فيه.

أما الكسل: سبق الإشارة إلى معنى الكسل، بأنه الثقل والتثبط، إلا أن المناوي رحمه الله يضيف إلى أنه كذلك يعنى: التغافل عما لا ينبغي التغافل عنه، ولذلك عدّ مذموماً وضده النشاط⁽³⁾، وهو الميل مع استطابة متعة الفراغ، مما يدفع إلى التحلل من أعباء العمل ومعاناته، وهو ما يتنافى مع منظومة القيم في الإسلام، فضلاً عما يسببه الكسل من الافتقار والحاجة إلى المسألة والتسول، والشرعية تمنع بذل المال للقادر الكسول كما في الحديث: "لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي"⁽⁴⁾.

وقد جاء ذكر الكسل في كتاب الله تعالى في سياق الذم، كما في الحديث عن المنافقين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ النساء: 142، ولهذا حث الله تعالى عبادة إذا فرغوا من العبادة أن ينتشروا في الأرض طلباً للرزق، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 10]. وفي صحيح مسلم: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل"⁽⁵⁾، وقال الراغب: من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانيّة، بل من الحيوانيّة، وصار من جنس الموتى، وحق الإنسان أن يتأمل قوته ويسعى بحسب ذلك إلى ما يفيد السعادة، ويتحقق أنّ اضطرابه (أي:

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 107/12.

(2) رواه الطبراني في الكبير، باب الميم، 234/8، وفي مسند الدارمي، باب التبتل، 704/2، رقم 2190، وقال المحقق: رجاله ثقات، وأخرجه النسائي حديث (3213) وقال الألباني: صحيح لغيره.

(3) انظر: المناوي، التوقيف على المهمات، ص 281.

(4) رواه الترمذي في صحيحه، كتاب أبواب الزكاة، باب مَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ، 33/3، وقال الألباني: صحيح.

(5) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: مَا يُتَعَوَّذُ مِنَ الْجُبْنِ، 1039/3، رقم 2668.

نشاطه) سبب وصوله من الدّل إلى العزّ، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الضّعة إلى الرّفعة، ومن الخمول إلى التّباهة، وعليه أن يعلم أنّ من تعودّ الكسل ومال إلى الرّاحة فقد الرّاحة⁽¹⁾

كما أن الكسل والفتور والخمول يؤديان إلى اصطناع الحيل والعاهات لاصطناع التسول لتتناسب مع كسله، لقد أوضحت السّنة منهجها عملياً في معالجة هذا السلوك، ونددت بالمسألة لغير من يضطر إليها: "من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة خموش أو خدوش أو كدوح في وجهه"⁽²⁾، بل هو "يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ"⁽³⁾، والمسألة ذهاب لماء الوجه وهي مفتاح للفقر، وهي كما يراها ابن القيم: ظلم في حق الربوبية؛ لأن السائل يسأل غير الله فيظلم توحيده وإخلاصه، وهي ظلم في حق المسؤول؛ لأنه يعرضه لمشقة البذل (العطاء على كراهة) أو ملامة المنع (يمنعه على استحياء وإغماض)، وهي ظلم لنفسه؛ لأنه يريق ماء وجهه ويذل لغير خالقه⁽⁴⁾. ولقد كان الدرس النبوي بسيطاً واضحاً مع السائل الذي جاء يسأل فباع متاعه، وجهزه بفأس وأمره بالاحتطاب ليحرز كفايته بعمله⁽⁵⁾.

وإن من أهم أسباب الكسل كثرة المعاصي، فإن المعاصي تميمت القلوب، وإذا مرض القلب كسلت الجوارح عن فعل الطاعات وما فيه صالح للإنسان في حياته، ومن وهبه الله فقه النشاط سارع إلى الخيرات، فلا يكسل في أدائها، ولا يقصر في حقها، بل من همته أن يزيد منها، إذ للمعاصي تأثير ظاهر على جسد الإنسان، ذلك أن النشاط والقوة يتعلقان بالروح

(1) انظر: الرّغب، الذّريعة، ص 383.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الزّكاة، باب مَنْ يُعْطَى مِنَ الصَّدَقَةِ، وَحَدِّ الْغِنَى، 33/2 برقم 1626، والمستدرک، 565/1. قال المحقق (الأرنؤوط): صحيح.

(3) ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، ط الرسالة، 166/29، وقال: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيه فقد روى له أبو داود والنسائي، وابن حبان، 2/304.

(4) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، 232/2.

(5) <https://al-sabhany.com/> انظر: السبهياني، عبد الجبار، الثقافات السلبية والبطالة من منظور إسلامي،

أكثر من تعلقهما بالجسد، فحين يكثر الإنسان المعصية لا يجد في نفسه القوة والنشاط للطاعة، وكلما كثرت طاعات الإنسان سهل عليه فعل الأمور، ولا يجد الكسل إلى نفسه طريقاً، ومنه قوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: 176]، أي: ولكنه سَكَنَ إلى الحياة الدنيا، ومال إلى زينتها، وأثر لذاتها وشهواتها على الآخرة، واتبَعَ ما تميلُ إليه نفسه من الباطل، وخالفَ أمرَ الله⁽¹⁾.

خامساً: النهي عن (الترفع أو التكبر) والحد من ثقافة (العيب):

وتعد أحد مظاهر البطالة التي تترك توجيهاً سلبياً على سلوك الأفراد فيترفعون أو يعزفون عن العمل المهني ترفعاً أو اتقاءً للنقد الاجتماعي؛ ولقد حارب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هذه القناعات الخاطئة، ومعالجة هذا الخلل في التصور والسلوك، الذي كرسه قيم الجاهلية ونظرتها الدونية إلى العمل المهني.

كما أن الإسلام حصّن الأمة من تلك الثقافات السلبية؛ فیدعوا إلى العمل، وينهى عن التعطل والبطالة، ويوجه الأمة إلى العمل والاكتساب وإتقان العمل وإحسانه، سواء أكان العمل عبادة أو عادة، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 95]، وقوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا}، يشمل جميع أنواع الإحسان؛ لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فیدخل فيه الإحسان بالمال، وبالجاه، وبالشفاعات، وغير ذلك⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: 15]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: 100]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، وقد أشرنا إلى دلالات الآيات في أكثر من موضع من هذا البحث.

كما أكدت السنة القولية ذات التوجه، منه قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 576/10، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 509/3، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 309.

(2) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 90.

طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" (1)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أمسى كالألأ من عمل يده أمسى مغفورًا له" (2)، والنبي صلى الله عليه وسلم: يوصي المسلم بالعمل ولو عاجلته الساعة!!؛ فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها" (3).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز من الكسل، كما سبق الإشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل" (4)، بل كان يعلم المسلم المصابرة في الاجتهاد فلا يتشاءب فيضحك منه الشيطان، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العطاس، ويكره التثأوب، فإذا عطس فحمد الله، فحق على كل مسلم سماعه أن يشمته، وأما التثأوب: فإما هو من الشيطان، فليزده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان" (5)، وفي الأثر: أن عمر رضي الله عنه سأل أحدهم في المسجد وقد انقطع للعبادة عمن يعيله فأخبره أن له أخًا يأتيه بكفائته فقال له: "أخوك أعبد منك" (6)، وقال عمر رضي الله عنه: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول: اللهم ارزقني،

(1) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، 57/3 برقم 2072.

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط، 175/2، وقال الهيثمي في الجمع، 63/4، وفيه جماعة لم أعرفهم. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، 791 برقم 5485.

(3) ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، (ط/ الرسالة) 251/20 برقم 12902، وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط) إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم. هشام: هو ابن زيد بن أنس بن مالك

(4) سبق تخريجه.

(5) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما يستحب من العطاس وما يكره من التثأوب، 2297/5 برقم 5869.

(6) انظر: ابن الحاج، المدخل، 299/2.

فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة⁽¹⁾.

ومما تقرر شرعًا أن قدرًا من الكسب يؤمّن كفاية الإنسان هو من الواجبات الشرعية لأن حفظ النفس وكفايتها وكفاية من يكلف المسلم بالنفقة عليه، متعلق به وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومما تقرر شرعًا أن أمهات الحرف وأصول الصنائع من فروض الكفاية التي يتعين على الأمة النهوض بها قال الغزالي: أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات، كالزراعة والحياكة والسياسة، بل الحجابة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك⁽²⁾، وقد رغبت السُّنة رغبت في الإحسان ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..." الحديث⁽³⁾، والمتدبر لمنهج الإسلام يلحظ في الجملة أنه يثني ويفضّل الصناعات الكسّاب على المنقطعين العبّاد، لأن نفع العبادة مقصور على صاحبها، أما نفع الكسب والاحتراف فيعم الناس.

سادسًا: غياب الأهداف والمقاصد مع ضعف المهمة: لقد ذم الله تعالى ضعف المهمة، إذ أن مما يصيب الإنسان بالكسل والفتور أن لا يكون مدرّكًا لغايات حياته ومقاصدها، بل يعيش حياة أشبه بالحيوانية، فلا هم له إلا ملذات الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 342/2.

(2) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، 16/1.

(3) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، 72/6 برقم 1955.

وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ﴿١٢﴾ [محمد 12]، أي: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ يَزْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا بِشَهَوَاتِهَا وَمِلْدَاتِهَا، وَيَأْكُلُونَ فِيهَا كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ الَّتِي لَا هَمَّ لَهَا سِوَى ذَلِكَ⁽¹⁾، فغير المسلم قد يكسب ويستغني، إلا أنها تبقى همته مقصورة على دنياه، أما المسلم إذا قَرَنَ الأعمال بالنيات، فإن الكسب والعمل إذا كان بنية صالحة صار عبادة، وصارت الأعمال العادية عبادة، إذا باع واشترى وجعل يخطط أو ينسج أو كذا أو كذا ينوي بذلك أن يستغني عن الحاجة إلى الناس، وينوي بذلك أكل الحلال طلب الحلال صار هذا عبادة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو قال كالصائم لا يفطر، والقائم لا يفتر"⁽²⁾، يعني العامل، فطلب الرزق والعمل بنية صالحة عبادة.

فالمسلم يؤمن أن وجوده في الحياة له غايات عظمى، وأهداف نبيلة، فيسعى إلى تحقيقها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات 56]، والعمل جزء من العبادة، وإن كان هذا ينطبق على الغايات العظمى كمقصد وجوده وخلقه، فإنه أيضا ينطبق على كل سلوك يفعله الإنسان، وكل أمر يأتيه، فينظر قبل فعله ما المقصود منه؟، فإن حضور مقصد الفعل في العقل، واستقراره في القلب هو من أشد طرق طرد الكسل واستدعاء النشاط، وأن الكبر يدفع صاحبه إلى التواكل والركود؛ فالذين استولى عليهم الغرور يفرحون، ويطرون بكل عمل يعملونه، ويرون أنه منتهى الكمال، فلا تنشط همهم إلى طلب المزيد، والمسارة في الخيرات، ولا يقبلون الانتقاد على التقصير⁽³⁾.

سابعاً: النهي عن الإحباط واليأس: فلقد نهى القرآن الكريم عن اليأس والإحباط والقنوط، الذي يجعل الإنسان يكسل عن أداء الواجبات وفعل المحبوبات في أمري الدنيا والآخرة أن

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 197/21، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،

311/7، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 786.

(2) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب: فَضِّلِ النَّفَقَةَ عَلَى الْأَهْلِ، 5/

2047 برقم 5038.

(3) انظر: رضا، رشيد، تفسير المنار، 240/4.

يكون محبباً يائساً، لا يرجو خيراً، ولهذا كان خطاب القرآن حاسماً في طرد اليأس والإحباط من حياة المسلم، كما قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام مخاطباً أبناءه: ﴿وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف 87]، فسبقها بقول: {فَتَحَسَّسُوا}، والتَّحَسُّسُ: شِدَّةُ التَّطَلُّبِ والتَّعَرُّفِ⁽¹⁾، وأنه لا يَقْنَطُ مِنْ فَرَجِ اللَّهِ، ويقطع رجاءه من رحمته إلا القوم الذين يَجْحَدُونَ قُدْرَتَهُ، وَيَسْتَبْعِدُونَ رَحْمَتَهُ⁽²⁾.

ومن عجيب أسلوب القرآن أنه قرن بين اليأس والكفر، وجعل اليأس من صفات الكافرين، وهو أسلوب يحمل في طياته التنفير الشديد الذي يجعل المسلم يحرم اليأس على نفسه لا يتسلل إليه ولا يعرف إليه طريقاً، وأن الأمل من الصفات المحمودة في حياة المسلم، وإن إحسان الظن بالله تعالى من أجل عبادات القلوب، كما جاء في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي... "الحديث⁽³⁾.

ثامناً: النهي عن ثقافة الإخلاق إلى الموطن وعدم الإقدام:

فقد أمر الله تعالى أن يسعى الإنسان، وأن يضرب في الأرض ويتحرى الرزق ويسعى إليه، وأن لا يقصر جهده في البحث عن عمل في محيطه فإن وجده فيها وإلا أعذر نفسه، وهو ميل لا مسوغ له؛ فالنقلة في طلب الرزق إن تعذرت أسبابه في موطن سعى في غيره، قال تعالى: ﴿وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل 20]؛ فقد: سَوَّى اللَّهُ تعالى في هذه الآية بَيْنَ دَرَجَةِ الْمُجَاهِدِينَ، والمُكْتَسِبِينَ الْمَالَ

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 45/13.

(2) انظر: ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 314/13، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 406/4، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 404، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 46/13.

(3) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ / آل عمران: 28- 2694/6 برقم 6970. وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، 4/ 2061 برقم 2675.

الحلالَ لِلتَّفَقَّةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَالْإِحْسَانِ، فَكَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّ كَسْبَ الْمَالِ بِمَنْزِلَةِ الْجِهَادِ؛ لِأَنَّ جَمْعَهُ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ⁽¹⁾، وَقَالَ ابْنُ عَاشُورَ: وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَتَأَوَّلُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَضِيلَةَ التِّجَارَةِ وَالسَّفَرِ لِلتَّجَرُّ؛ حَيْثُ سَوَّى اللَّهُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُكْتَسِبِينَ الْمَالَ الْحَلَالَ⁽²⁾، وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْدِّمُ دَرَجَةَ الْكَسْبِ عَلَى دَرَجَةِ الْجِهَادِ فَيَقُولُ: "لَأَنْ أَمُوتَ بَيْنَ شَعْبَتِي رَحْلِي أَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ أَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ الَّذِينَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَخْرُؤْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المزمل 20]⁽³⁾.

وقد بين الله تعالى أن في الهجرة حلًّا للمضايقة في العقيدة وحلًّا للضييق في العيش: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء 100]؛ قَالَ قَتَادَةُ فِي تَفْسِيرِهَا: "مَتَحَوَّلًا مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنْ الْعِيْلَةِ إِلَى الْغِنَى"⁽⁴⁾، وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ التَّوْجِيهَاتِ مَا يَسْتَوْعِبُ الْمَيُولَ النَّفْسِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ وَرَاءَ وَاقِعٍ مَا يَعْرِفُ بِالْعَامِلِ الْمُحْبَطِ⁽⁵⁾.

الخاتمة:

لقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم بالعمل، والحث عليه، ونهى عن البطالة والكسل والتواكل؛ لأن البطالة تؤدي إلى فساد المجتمع واضطرابه، فعندما يتعطل عدد كبير عن العمل سواء أكانوا مكرهين على ذلك أو كسلًا منهم، ضاعت جهود كبيرة على الأمة كان يمكن أن تنتج وتكسب وتؤدي دورها في تقدم الأمة ورفعته.

النتائج والتوصيات:

- (1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 55/19.
- (2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 285/29-286.
- (3) انظر: السيوطي، الدر المنثور، 8/328، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور ط/ هجر 60/15 إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد، وابن المنذر. وانظر: الألوسي، روح المعاني، 114/29.
- (4) السيوطي، الدر المنثور، 2/650.
- (5) انظر: السبهي، عبد الجبار، مدخل إسلامي إلى النظرية الاقتصادية الكلية، ص 43.

1. إن ظاهرة مشكلة البطالة لا يتوقف خطرها على الأفراد بل يمتد إلى المجتمعات، لأن هذه الظاهرة تجر وراءها أزمات اجتماعية وأمنية وصحية واقتصادية وغيرها.
2. تتنوع وتتعدد الآثار المترتبة على مشكلة البطالة، منها: آثار خلقية ونفسية، واقتصادية، واجتماعية وسياسية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.
3. حث القرآن الكريم على العمل ودعا إليه، وقاوم الكسل ولم يرتضيه مسلماً للمسلم، وصحح مفهوم التوكل على الله وأنه لا يتعارض مع قانون الأخذ بالأسباب.
4. ربط القرآن الكريم الضرب في الأرض اكتساباً بالجهاد في سبيل الله؛ مما يجعل مكانته في الدين عظيمة، بل جعل بعض المفسرين منزلته مثل منزلة من خرج مجاهداً.
5. لقد جعل الله تعالى العمل عبادة يتقرب به العبد إليه، ورتب عليه الأجر والثواب، وأمر عباده المؤمنين بالمواظبة على العمل، والسعي لطلب الرزق وكسبه، وعدم التكاسل؛ أو التواكل، والاستغناء عن الناس، وأن هذا كان منهج جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام.
6. دعا القرآن الكريم إلى تحري طرائق الكسب والعمل ووسائلهما، وحذر من المسالك غير المشروعة لكسب المال.
7. حث القرآن الكريم على استثمار الطاقات البشرية والموارد المادية بشكل حكيم وموجه، واستثمار الثروة البشرية، كما شجع القرآن على استخدام العقل وتوظيف الطاقة الفكرية في الابتكار والتطوير.
8. دعا القرآن الكريم إلى التكافل والتراحم بين الناس، ليوثر الحماية والرعاية والأمن والأمان النفسي للفرد والأسرة في المجتمع، والتكافل يعد مظلة طمأنينة تشمل المجتمع كله.
9. عدّ القرآن الكريم الإسراف أحد أسباب الغفلة عن الفقراء والعاطلين عن العمل، وحذر الله تعالى منه.
10. بين القرآن الكريم أن مما يساعد في القضاء على البطالة وزيادة الإنتاج وتوفيره، تخفيفه على إحياء الأرض الموات، واستخرج ما فيها من رزق الله.
11. صحح القرآن الكريم المفاهيم الخاطئة لأسباب البطالة ومظاهرها، كمفهوم الرزق

المقسوم، والكسل والتواكل، والفتور، والترفع أو (التكبر) والحدّ من ثقافة (العيب) وغيرها.

12. بين القرآن الكريم أن غياب الأهداف والمقاصد مع ضعف المهمة أحد أسباب البطالة، فنهى عن الإحباط واليأس، وحذر من ثقافة الإخلاق إلى الوطن وعدم الإقدام.

من التوصيات:

1. ضرورة أن تضطلع مؤسسات المجتمع بمسؤولياتها المجتمعية للإسهام في حل مشكلة البطالة؛ حتى لا تنعكس سلباً على استقرار البلاد وأمنها.
 2. العناية بتعليم الطلاب حرفة خلال العطلات الدراسية حتى يتم تواصلهم مع الحياة بعد تخرجهم حال عدم تمكنهم من الالتحاق بوظائف حكومية أو في القطاع الخاص، أو الأعمال الحرة.
 3. أن تولي مؤسسات الوقف مفهوم استثمارات وتدوير المال الخيري من خلال العناية بالمشاريع المتنوعة في مختلف الميادين لاستيعاب الشباب الراغبين في العمل واستثمار طاقاتهم وقدراتهم.
 4. ضرورة التوسع في مراكز التدريب المهني المؤهلة للعمل وتهيئة المناخات المناسبة لاستثمار الطاقات المهدرة.
- هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

المراجع:

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، (1399هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.
- أحمد، عفيف، (1432هـ)، النظام الاقتصادي في الإسلام، دائرة الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة القدس.
- الأزهري، محمد بن أحمد، (2001)، تهذيب اللغة، ط1، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الأصفهاني، الحسين بن محمد، (د.ت)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، سوريا: دار القلم.
- الألوسي، محمود بن عبد الله، (1415هـ)، روح المعاني، ط1، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت: دار إحياء التراث.
- البع، محمد رمضان، (2005)، القسم بالزمان في آيات القرآن دراسة لغوية وحقيقة كونية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية العدد الأول.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، (د.ت)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، (1418هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني، الزبيدي، تحقيق: إبراهيم التريزي، ط1، التراث العربي، الكويت، 1421هـ، 2000م.
- تفسير البغوي، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت510هـ)، تحقيق وتخرّيج، محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة: 417 هـ/1997م.
- تقي الدين المقرئ، أحمد بن علي، (1999)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ط1، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن جبار الله، عبد الله، (د.ت)، التوكل على الله وأثره في حياة المسلم، دار النصيحة.
- الجرف، أنوار عمر، (1439هـ)، مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة بيروت الإسلامية، بيروت: دار المنظومة.
- ابن جرير الطبري، محمد، (1405هـ)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ط1، بيروت: دار الفكر.

ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ط1، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (د.ت)، الدر المنثور، بيروت: دار الفكر.
الجمال، أحمد محمد عبد العظيم، (2008)، البطالة مشكلة لا يعرفها الإسلام، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

الجميل، خالد، (1406هـ)، الجعالة وأحكامها في الشريعة الإسلامية والقانون، بيروت: عالم الكتب.

ابن الجوزي، (2013)، مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (1404هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي.

أبو جيب، سعدي، (1988)، القاموس الفقهي، ط2، سورية: دار الفكر - دمشق.

ابن الحاج، محمد بن محمد، (د.ت)، المدخل، دار التراث.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (1379هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

الحكمي، حافظ أحمد، (1426هـ)، معارج القبول بشرح سُلّم الوصول إلى علم الأصول؛ المحقق: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي.

أبو حيان الغرناطي، (1420هـ)، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.

دنيا، د. شوقي، (1979)، الإسلام والتنمية الاقتصادية، دار الفكر العربي.

ذبيح، محمد دمان، (2008)، الآليات الشرعية لعلاج مشكلة البطالة، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة العقيد الحاج لخضر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم الشريعة، فرع اقتصاد إسلامي.

الرازي، محمد بن أبي بكر، (1415هـ)، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت: مكتبة

لبنان ناشرون.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1428هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د.

أبو اليزيد أبو زيد العجمي، القاهرة: دار السلام.

ابن رجب، (1408هـ)، جامع العلوم والحكم، ط1، بيروت: دار المعرفة.

رضا، محمد رشيد، (1367هـ)، تفسير المنار، ط3، دار المنار بالقاهرة.

الرماني، زيد بن محمد، (2016)، مفهوم البطالة في الاقتصاد الإسلامي، الألوكة.

الرماني، زيد محمد، البطالة، العمالة، العمارة من منظور الاقتصاد الإسلامي، الألوكة،

WWW.alukah.net

أبو السعود أفندي، محمد بن محمد بن مصطفى، (د.ت)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل

السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السبهاني، عبد الجبار، (2012)، مدخل إسلامي إلى النظرية الاقتصادية الكلية، الأردن:

دار العلوم الهندسية - أريد.

السبهاني، عبد الجبار، الثقافات السلبية والبطالة من منظور إسلامي، -al-https://

sabhany.com/

السجستاني، محمد بن عزيير، (1416هـ)، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، ط1،

المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، سوريا: دار قتيبة.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (1399هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث

المشهورة على الألسنة، المحقق: محمد عثمان الخشت، بيروت: دار الكتب العلمية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2002)، تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير

كلام المنان، دار السلام، الرياض: مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع.

سليمان، محمدي عبد الفتاح، (2002)، علاج التضخم والركود الاقتصادي في الإسلام،

دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع.

السمرقندي، نصر بن محمد، (2010)، تفسير السمرقندي بحر العلوم، تحقيق/ علي معوض

وعادل عبد الموجود وزكريا النوتي، لبنان: دار الكتب العلمية.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (2009)، الإكليل، تحقيق: عبد الله محمد الصديق الغماري أبو الفضل، دار الكتاب العربي، المكتبة الوقفية.
- الشوكاني، محمد بن علي، (1414هـ)، فتح القدير، ط1، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب.
- الشيبياني، محمد بن الحسن، (1426هـ)، الاكتساب في الرزق المستطاب، مركز الدراسات الفقهية، تحقيق أحمد جابر.
- عبد الباقي، محمد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تركيا، دار الدعوة.
- عبد الستار، نوير، (1408هـ)، الوقت هو الحياة، قطر: دار الثقافة.
- عبد القادر، مدني، (1433هـ)، تنمية القوى البشرية، ط4، جدة: مكتبة خوارزم.
- عبد المنعم، رعد محمود، (1437هـ)، دور التكافل الاجتماعي في علاج البطالة، قسم الدراسات العليا، كلية الإمام الأعظم، العراق: ديوان الوقف السني.
- عبد الباري، سيف الإسلام حسين، (2012)، البطالة الأسباب والمخاطر المترتبة عليها ومنهج الإسلام في معالجتها (دراسة فقهية مقارنة)، مجلة إدارة المخاطر، دار الفكر الجامعي.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، (1404هـ)، العقد الفريد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- العثيمين، محمد بن صالح، (1408هـ)، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ط1، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد، (1351هـ)، كشف الخفاء ومنزل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، القاهرة: مكتبة القدسي.
- عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، (2010)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط4، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله، (2003)، أحكام القرآن، ط3، راجع أصوله وخرج أحاديثه

- وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الكتب العلمية- بيروت.
- ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية.
- العمر، ناصر، (2013)، الفتور، المظاهر الأسباب العلاج، دار الحضارة للنشر والتوزيع.
- الغزالي، أبو حامد محمد الطوسي، (1412هـ)، إحياء علوم الدين، ط1، بيروت: إحياء التراث، ودار قتيبة.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، (1399هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- فخر الدين الرازي، محمد عمر، (1411هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط1، الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفرايدي، خليل بن أحمد، (2002)، العين، ط1، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، دار الكتب العلمية.
- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، (1987)، القاموس المحيط، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الفيومي، أحمد بن محمد، (1425هـ)، المصباح المنير، بيروت: المكتبة العصرية.
- قاسم، حمزة محمد، (1990)، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، دمشق: مكتبة دار البيان، والطائف: مكتبة المؤيد.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1398هـ)، غريب القرآن، دار الكتب العلمية.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (2007)، الجامع لأحكام القرآن، ضبطه محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه محمود حامد عثمان، القاهرة: دار الحديث.
- القصاب، محمد بن علي، (1424هـ)، نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، ط1، تحقيق: علي بن غازي التويجري، رسائل علمية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الدمام: دار ابن القيم، القاهرة: دار ابن

عفان.

قلعجي، محمد. رواس وقنبي، حامد. صادق، (1988)، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

قنديل، حلمي محمود سلامة، (2000)، مشكلة البطالة في مصر ودور المنهج الإسلامي في معالجتها، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية التجارة، قسم الاقتصاد.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد، (1393هـ)، الفوائد، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (د.ت)، الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، المحقق: د. محمد جميل غازي، جدة: مكتبة المدني.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (1996)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط3، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي.
الكفوي، الكليات، (د.ت)، أيوب بن موسى، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الموردي، علي بن محمد، (د.ت)، الأحكام السلطانية، القاهرة: دار الحديث.
مجموعة مستشرقين، (1936هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مكتبة بريل ليدن.
مجموعة من المؤلفين، فتاوى دار الإفتاء المصرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر، مرقم آلياً.

محمد الطاهر بن عاشور، (1984)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس: الدار التونسية للنشر.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (1985)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة.

المغامسي، صالح، (1432هـ)، التعليق على الدرّة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، منشور بالمكتبة الشاملة.

المناعي، محمد عبد الرؤوف، (1356)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، مصر:

المكتبة التجارية الكبرى.

المناعي، محمد عبد الرؤوف، (1990)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.
ابن مودود، (1937)، عبد الله بن محمود، الاختيار لتعليل المختار، عليه تعليقات: محمود أبو دققة، القاهرة: مطبعة الحلبي، وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها).
ابن نجيم، (1400هـ)، الأشباه والنظائر، بيروت: نشر الكتب العلمية.
ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، (1999)، الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ، ط1، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت.

النسفي، عبد الله بن أحمد، (1998)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ط1، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب.
النسفي، عبد الله بن أحمد، (1998)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط1، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي دار الكلم الطيب.

النيسابوري، بيان الحق محمود بن أبي الحسن، (1419هـ)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، المحقق (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد باقبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة حرسها الله تعالى.

الواحدي، علي بن أحمد، (1430هـ)، التفسير البسيط، ط1، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، (1427هـ)، الموسوعة الفقهية الكويتية.
وهبة الزحيلي، (1991)، التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج، ط1، سورية: دار الفكر - دمشق، لبنان: دار الفكر المعاصر - بيروت.

**منهج القرآن الكريم في معالجة مشكلات
التربية المعاصرة عند الناشئة
من خلال التأمل في وصية لقمان الحكيم لابنه
د. محمد الصالح ستي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
بقسنطينة – الجزائر
Taleb.se@gmail.com**

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: ستي، محمد الصالح، منهج القرآن الكريم في معالجة مشكلات التربية المعاصرة عند الناشئة من خلال التأمل في وصية لقمان الحكيم لابنه، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 252-297.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0198>

الملخص:

تربية الأبناء والناشئة من أصعب المهمات وأعقد التكاليف، وهي تحتاج إلى تكاتف جهود وتفاعل أدوار من جهات متعددة، وما زاد هذه المهمة تعقيداً في عصرنا الحالي؛ هذه الطفرة الالكترونية والثورة الرقمية، التي ألقت بظلالها على كل الفئات، وبخاصة فئة الأبناء والناشئة نظراً لسرعة تأثيرها، فظهرت على مستواها جملة من المشكلات التربوية، مست كل مناحي حياتهم، وعمت كل تصرفاتهم، وجب التفكير ملياً في كيفية حلّلتها، وتدارك هذه الفئة التي تعد خزان الأمة ومستقبلها.

في هذا الإطار تحاول هذه الدراسة البحثية الإسهام في إيجاد بعض الحلول لهذه المشكلات التربوية، من خلال استنطاق بعض آيات القرآن المتعلقة بتربية الأبناء والناشئة، وبخاصة وصية لقمان الحكيم لابنه، التي تعد بلسماً شافياً وعلاجاً وافياً لكل المشكلات التربوية.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ التربية؛ مشكلات؛ الناشئة.

The approach of Holy Qur'an in addressing the problems of contemporary education among young people By contemplating the advice of Luqman the Wise to his son

Dr. Mohammed Salah Setti

Professor of Interpretation and Qur'anic Sciences

Emir Abdelkader University of Islamic Sciences in Constantine, Algeria

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Setti, Mohammed Salah, The approach of Holy Qur'an in addressing the problems of contemporary education among young people By contemplating the advice of Luqman the Wise to his son, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:252-297.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0198>.

Abstract:

Raising children and adolescents is one of the most difficult and costly tasks, and it requires intensified efforts and the

interaction of roles from multiple parties. What has made this task more complex in our current era is; This electronic boom and digital revolution, which has cast its shadow on all groups, Especially the group of children and young people, due to their rapid influence, and a number of educational problems appeared at their level, affecting all aspects of their lives, and pervading all their actions. It is necessary to think carefully about how to solve them, and remedy this group, which is the nation's reservoir and its future.

In this context, this research study attempts to contribute to finding some solutions to these educational problems, by interrogating some verses of Qur'an related to raising children and adolescents, especially Luqman Al-Hakim's will to his son, which is considered a healing balm and an adequate treatment for all educational problems.

Keywords: Holy Qur'an; Education; Problems; Young people.

المقدمة:

بسم الله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبي، وعلى آله وصحبه مصايح الدجى وأنوار الهدى، ومن اتبع آثارهم واقتفى، وبعد:

يتميز المنهج القرآني في تربية الناشئة بميزات خاصة في مصدرته وطبيعته وغايته، فأما مصدره فهو رباني؛ والله أعلم بخلقه وما يصلح لهم، وأما عن طبيعته فهو منهج تربوي متكامل متوازن، يعالج النفس البشرية ظاهراً وباطناً، جسداً وروحاً، وأما عن غايته فيتميز بالشمولية لكل مناحي الحياة، فيشمل التربية العقدية والأخلاقية والاجتماعية، وعليه فقد كان من أهم آثاره بعث أمة كانت جاهلة غارقة في غياهب الحروب والنزاعات ومساوئ الأخلاق، إلى أمة قوية متينة سادت الأرض وبلغ ذكورها الآفاق.

والتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم يدرك ما آلت إليه من فسادٍ أخلاقي وتردٍ تربوي، خاصة على مستوى فئة الأبناء والناشئة، التي تعد اللبنة الأساس لمستقبل الأمة وعزها، وبخاصة في ظل هذه الثورة الرقمية والطفرة الالكترونية، التي أفرزت تغيرات سريعة

وتحديات كبيرة، ألقت بظلالها على كل الميادين والفئات، وبخاصة فئة الأبناء والناشئة، نظراً لسرعة تأثرها وسهولة تغييرها، فظهرت على مستواها جملة من المشكلات والمعضلات التربوية، مست كل مناحي حياتها الدينية والدنيوية، العقدية والأخلاقية، العلمية والعملية، النفسية والاجتماعية، فما أحوجنا اليوم إلى الرجوع إلى المنهج القرآني في معالجة هذه المشكلات التربوية، وبخاصة وصية لقمان الحكيم لابنه، لما اكتنفته من مواعظ بليغة ودرر نفيسة، في تربية الأبناء وإصلاح حالهم.

إشكالية الدراسة:

بناء على ما سبق ذكره يمكن طرح الإشكالية الآتية:

ما أهم مشكلات التربية المعاصرة عند الناشئة؟ وكيف يمكن معالجتها بالرجوع إلى آيات القرآن وبخاصة وصية لقمان لابنه؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية:

1. ما ميزات وخصائص المنهج القرآني في التربية؟
2. من هو لقمان الحكيم؟ وما أهم الأصول التربوية التي تضمنتها وصيته لابنه؟
3. كيف يمكن استثمار هذه الوصية في معالجة بعض المشكلات التربوية المعاصرة؟

أسباب اختيار الموضوع:

كان من وراء اختيار البحث في هذا الموضوع أسباب عديدة أهمها:

1. التطور التكنولوجي والرقمي الكبير وما أفرزه من مشكلات وتحديات على مستوى الناشئة، أثرت على كل مناحي حياتهم.
 2. عجز كثير من النظريات الاجتماعية والمقاربات التربوية الغربية في إيجاد حلول نافعة لهذه المشكلات.
 3. تضمن القرآن الكريم وبخاصة وصية لقمان لابنه جملة من المبادئ والتوجيهات التربوية المفيدة في معالجة مشكلات الناشئة في هذا العصر.
- أهمية الدراسة: تظهر أهمية الدراسة فيما يأتي:

1. تعلقها بالقرآن الكريم؛ خير ما تصرف فيه الأوقات، وأفضل علاج لمختلف الأمراض والمشكلات.
2. تعلقها بفئة الأبناء والناشئة، التي عليها التعويل في النهوض بهذه الأمة، واسترجاع عزها وسؤدها ومكانتها اللائقة بها.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم صورة شاملة عن منهج القرآن في تربية الناشئة، من خلال تأملات ووقفات مع وصية لقمان لابنه، كونها أكثر آيات القرآن تنأولاً لتربية الأبناء، وكيفية الاستفادة من ذلك في معالجة مشاكل التربية المعاصرة، وبذلك التأكيد على صلاحية القرآن الكريم لمعالجة مشكلات العصر المختلفة.

الدراسات السابقة:

من خلال رحلة البحث في هذه الدراسة المتواضعة، وقفت على مجموعة من الدراسات السابقة، التي تناولت وصية لقمان الحكيم لابنه، وإن كانت من وجهات تختلف عن محور هذه الدراسة، إلا أنني استفدت منها في بعض جزئياتها وعناصرها، ومن أهم هذه الدراسات:

1. معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة 28، 1417هـ / 1418هـ.

2. المقاصد التربوية للقصص القرآني - قصة لقمان الحكيم أنموذجاً، أحمد نصري، ضمن بحوث مقاصد القرآن الكريم (2)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2016 م.

3. وصايا لقمان والتنمية البشرية الحقيقية التي يحتاج إليها اليوم كل إنسان، نور عالم خليل الأميني، مجلة الداعي الشهري، الصادرة عن دار العلوم ديوبند، الهند، العدد 5، السنة 42، جمادى الأولى 1439 هـ.

خطة الدراسة: للإجابة عن الإشكالية الأساسية للدراسة، والتساؤلات الفرعية المندرجة

تحتها، تم اعتماد الخطة الآتية:

مقدمة

مدخل تمهيدي: تعريف بعض المصطلحات المتعلقة بموضوع الدراسة.

المبحث الأول: خصائص المنهج القرآني في التربية ووسائله فيها.

المبحث الثاني: وصية لقمان الحكيم لابنه وما تضمنته من أصول تربوية.

المبحث الثالث: بعض مشكلات التربية المعاصرة عند الناشئة.

المبحث الرابع: العلاج القرآني لمشكلات التربية المعاصرة.

الخاتمة

مدخل تمهيدي: تعريف بعض المصطلحات المتعلقة بموضوع الدراسة.

سنحاول في هذا المدخل التمهيدي تقديم بعض التعريفات المتعلقة بمصطلحات عنوان الدراسة، والتي نرى من الأهمية بمكان الإشارة إلى بيانها، قبلولوج في محاور وجزئيات الدراسة، وهي مصطلحات ثلاثة: المنهج، المشكلات، والتربية.

أولاً: تعريف المنهج

لغة: المنهج والنهج والمنهاج لغة هو: " الطريق الواضح البين " (1).

اصطلاحاً: لا يختلف تعريف المنهج في الاصطلاح عن تعريفه اللغوي، ومن أورد تعريفاً

للمنهج ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة 48)

قال: " فإن الشريعة وهي الشريعة أيضاً، هي ما يُبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: شرع في كذا، أي: ابتدأ فيه، وكذا الشريعة وهي ما يشروع منها إلى الماء، أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل " (2).

(1): ينظر: الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1/346. الفيروز آبادي

محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، 1/208.

(2): ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 3/117.

وعادة ما يستعمل لفظ المنهج في الاصطلاح كمركب إضافي، وذلك للإشارة إلى مناهج علماء في معين في تناولهم له، كقولنا مثلاً: مناهج المفسرين، مناهج المحدثين، مناهج اللغويين.

وفي دراستنا هذه استعملنا لفظ المنهج مضافاً إلى القرآن الكريم، والمقصود بذلك: طريق القرآن الكريم أو سبيله في تناول أو معالجة قضية ما.

ثانياً: تعريف المشكلات

المشكلات جمع مشكل، وجاء في معجم مقاييس اللغة: " (شكل) الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، تقول: هذا شكل هذا، أي مثله، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبّه، أي: هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا، ثم يحمل على ذلك، فيقال: شكلت الدابة بشكاليه، وذلك أنه يجمع بين إحدى قوائمه وشكل لها، وكذلك دابة بها شكال إذا كان إحدى يديه وإحدى رجليه محجلاً "(1).

من هذا التعريف يتبين أن المشكل يدل على أمر مشتبّه متداخل يصعب حله إلا ببذل جهد وطول نظر وتمعن.

ثالثاً: تعريف التربية

لغة: إذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدنا لكلمة التربية أصول لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما.

الأصل الثاني: ربي يرى على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع.

الأصل الثالث: (رَبَّى) بالتضعيف، فيقال: ربّاه تربية؛ أي: أحسن القيام عليه، وولّيه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن.(2)

أما في الاصطلاح:

(1): ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، 204/3.

(2): ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة رب، 408-401/1.

عرفها الراغب الأصفهاني بقوله: " التربية إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام "(1). وعرفها البيضاوي عند تعريفه لكلمة الرب فقال: " الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به تعالى للمبالغة "(2). وعُرفت في علوم التربية الحديثة بأنها: " عملية هادفة وفن مرن متطور تحكمه قواعد وقوانين، وهي ترمي إلى تكوين العادات الحسنة بالاستفادة من الغرائز والميول في تحقيق هذا الهدف عن طريق الإرشاد والتدريب "(3).

وعند إضافة مصطلح التربية إلى القرآن بقولنا: التربية القرآنية أو المنهج القرآني في التربية، إنما نقصد به أن ينشأ المرء ويتطور من حال إلى حال على مبادئ القرآن الكريم وتعاليمه، فيسمو ويرتقي إلى أن يبلغ درجات عالية من الأدب وحسن الخلق ومحامد الصفات.

(1): الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، المفردات، ص 336.

(2): البيضاوي عبد الله بن عمر، أنوار التأويل وأسرار التنزيل، 28/1.

(3): السيد عاطف، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها، ص 13.

المبحث الأول

خصائص المنهج القرآني في التربية ووسائله فيها

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله هدى ورحمة للعالمين، وهو النهج القويم والصراط المستقيم، فلا ريب أن ما أصّله من قواعد ورتبه من مبادئ لا يضاهيه شيء في كماله ونفعه، والنظر في القرآن الكريم، والتأمل في آياته وأسراره، واستنباط هداياته وإرشاداته، أنفع السبل وأحسن الطرق لمعالجة قضايا العباد وشؤونهم في دينهم ودنياهم، وحاضرهم ومستقبلهم، ولقد حث القرآن الكريم على العناية بتربية الأبناء والناشئة في غير ما آية، ومن ميزات وخصائص المنهج القرآني في التربية نذكر:

أولاً: ربوبية المصدر

القرآن الكريم كلام الله تعالى خير وأصدق كلام، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء 87)، وقال كذلك: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت 42)، والله تعالى خلق عباده وهو أعلم بهم وبما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك 14)، قال السعدي في تفسير هذه الآية: "فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! {وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا والغيوب، وهو الذي {يعلم السر وأخفى}، ومن معاني اللطيف أنه الذي يلطف بعبدته ووليّه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا تكون من العبد على بال، حتى إنه يذيقه المكارة، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة" (1).

والله تعالى لم يخلق عباده وتركهم هملاً؛ بل رباهم بنعمه ومنّ عليهم بآلائه، قال تعالى في مستهل سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة 02)، قال السعدي في

(1): السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 876.

تفسيره للآية: " الرب هو المربي جميع العالمين - وهم من سوى الله - بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى، وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة، فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا، والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر، ولعل هذا هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلية تحت ربوبيته الخاصة "(1).

وعليه كل ما يصدر من الرب عز وجل هو في مصلحة العباد ونفعهم، إما بتحصيل خير وتيسير طريقه، أو دفع شر والنهي عن سبيله، وقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة مشتملة لقواعد ومبادئ تربية الأهل والأبناء، إما بصيغة مباشرة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم 06)، وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه 132)، أو في صيغة قصص قرآني؛ كقصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل لما أمره الله تعالى بذبحه، وقصة الابن إبراهيم مع أبيه آزر في كيفية دعوته إلى الحق، وقصة لقمان مع ابنه التي ستكون محل دراسة وتفصيل في ثنايا هذا البحث، إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة لموضوع التربية، والتي كانت محل دراسات موضوعية قرآنية عند جملة من الباحثين.

ثانياً: قوة التأثير

ليس كل طريقة أو وسيلة للتربية تحدث تأثيراً، وتثمر تحولا وتغييراً، والقرآن الكريم له تأثير عجيبي على الأنفس والقلوب، أذهل وحير الكافر المكذب، فضلاً عن المؤمن المصدق، قال تعالى في وصفه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّصَدَّعًا مِّنْ خَشْيَةٍ﴾ (الحشر 21)، ومن خصائص القرآن وإعجازه إحداث التغيير والتحويل قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا

(1): المصدر السابق، ص 39.

سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتُ^١ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴿٣١﴾ (الرعد 31)، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسيّر به الجبال عن أماكنها، أو تقطّع به الأرض وتنشق، أو تُكَلِّم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك"⁽¹⁾.

فالمنهج القرآني في التربية أكثر المناهج تأثيراً وإثماراً، وهذا ما تجلّى في صدر الرسالة الإسلامية، فقد أنزل الله تعالى هذا القرآن في أمة جاهلة تعبد الأصنام، وتأكل الميتة، وتأتي الفواحش، وتقطع الأرحام، وتسيء الجوار، ويأكل القوي منها الضعيف، فما لبث أن حولها إلى أمة مؤمنة كريمة الأخلاق، طيبة الأعراق، بلغ ذكرها الآفاق، وساد ملكها مغارب الأرض ومشارقها.

ثالثاً: الشمولية والعموم

طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة، لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، شؤونه في صغره وعند كبره، وكل ما يحتاجه ويقوم به في أوله وآخره.

فالإسلام " يأخذ الكائن البشري كله، ويأخذه على ما هو عليه، بفطرته التي خلقه الله عليها، لا يغفل شيئاً من هذه الفطرة، ولا يفرض عليها شيئاً ليس في تركيبها الأصل، ويتناول هذه الفطرة في دقة بالغة، فيعالج كل وتر منها، وكل نعمة تصدر عن هذا الوتر، فيضبطها بضبطها الصحيح، وفي الوقت ذاته يعالج الأوتار مجتمعة، لا يعالج كلاً منها على حدة، فتصبح النعمات نشاراً لا تناسق فيها، ولا يعالج بعضها ويهمل البعض الآخر، فتصبح النعمة ناقصة غير معبرة عن اللحن الجميل المتكامل، الذي يصل في جماله الأخاذ إلى درجة الإبداع.

وحين يستعرض الإنسان وسائل الإسلام في التربية، يعجب للدقة العجيبة التي يتناول بها الكائن البشري، الدقة التي تتناول كل جزئية على حدة كأنها متفرغة لها، ليس في حسابها

(1): ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 4/460.

سواها، ثم الشمول على هذا المستوى من الدقة، الشمول الذي يتناول الجزئيات جميعاً، وفي وقت واحد "(1).

فما تضمنته آيات القرآن الكريم من مبادئ وقواعد تربوية، وما شرحته وبيّنته السنة النبوية، يعتبر منهجاً تربوياً شاملاً شافياً كافياً، لصالح الفرد والمجتمع، ولا يحتاج معه إلى نظريات غريبة، ولا إلى فلسفات يونانية، ولا إلى تحليلات كلامية أو غيرها، فما على المؤمن إلا أن يرجع إلى القرآن فهما وتدبرا واستنباطاً، وسيجد فيه ما يشفي الغليل، ويعالج العليل، وينفعه في الدنيا ويوم الرحيل.

رابعاً: الوسطية والموازنة

من أهم خصائص المنهج القرآني في التربية أنه منهج معتدل متوازن بين الروح والجسد، بين الباطن والظاهر، وبين القلب والعقل، فلم يأخذ القرآن بجانب ويهمل آخر، أو يغلب جانباً عن جانب، بل أعطى لكل جانب ما يحتاجه ويقوم به، دون إفراط ولا تفريط، فأعطى للجسد والظاهر ما يحتاجه من ملابس ومأكول ومشرب ومأوى ومتاع...، وأعطى للروح والباطن ما يحتاجه من تزكية وطهارة وخشوع وصفاء...، وهذا بخلاف بعض النظريات الباطلة والنظم المنحرفة التي غلبت جانباً على آخر، فمنها من اهتمت بالظاهر والمحسوس وأهملت الباطن والروح، فأوغلت في تقديس الحواس والعقل، حيث ما استوعبه العقل وأدركه الحس فهو الصواب والحق، وما خرج عن نطاق ذلك مطروح مردود، فوقع في الكفر والضلال وإنكار الغيب، ومنها من بالغت في تقديس الروح والباطن، وأهملت العقل والظاهر، فوقع في البدع والخرافات والدروشة، وكلا الطرفين مذموم باطل، والإسلام والقرآن الكريم وسط بينهما، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة 143)، قال الطبري في تفسيره للآية: "وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم،

(1): محمد بن قطب بن إبراهيم، منهج التربية الإسلامية، 18/1.

وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوُسَطُها" (1).

أما عن وسائل التربية التي تضمنها القرآن الكريم فهي:

أولاً: التربية بالموعظة

ويكون هذا الأسلوب في التربية عن طريق الأمر والنهي والوعظ والإرشاد، " والعظة نوعان: عظة بالمسموع، وعظة بالمشهود، فالعظة بالمسموع: الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد، والنصائح التي جاءت على لسان الرسل وما أوحى إليهم، وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا.

والعظة بالمشهود: الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر، وأحكام القدر ومجاريه، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله" (2).

والتربية بالموعظة أكثر طرق التربية استعمالاً في القرآن الكريم؛ لأن جلّه مواعظ تنفع العبد في دينه وآخرته، قال جل وعلى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (النور 34).

ثانياً: التربية بالقُدوة

وهذا الأسلوب في التربية يعتمد على الدعوة إلى الاقتداء والتأسي بشخصية معينة، يتلمس المقتدي خطاها ويتبع أثرها، حذو القذة بالقذة، وخير من يقتدى به النبي المصطفى والرسول المجتبي، الذي قال فيه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الممتحنة 06).

ثالثاً: التربية بالعقوبة

الناس ليسوا سواء في التربية والأخلاق والطباع، فمنهم من يجدي معه الأسلوبان

(1): الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 142/3.

(2): ابن القيم محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، 443/1.

السابقان فينتهي وينزجر، ومنهم من لا ينفع معه ذلك، فيأتي دور العقوبة والتأديب جزاءً على ارتكاب المعاصي والمحرمات، والقرآن الكريم فيه كثير من الآيات المتضمنة لذلك، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ (المائدة 38)، وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور 2).

رابعاً: التربية بالقصة

ولهذا الأسلوب من التربية أثر كبير ونفع عظيم، لما فيه من تشويق وإثارة، ولأن القصة القرآنية عادة ما تحكي أحداثاً حقيقية واقعة، تحمل في ثناياها عبراً وفوائد متعددة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف 111)، والقرآن الكريم حافل بقصص الأنبياء والمرسلين، وأخبار الأمم السابقة.

المبحث الثاني

وصية لقمان الحكيم لابنه وما تضمنته من أصول تربوية

تعد قصة لقمان الحكيم مع ابنه من أهم المواضع القرآنية تناولاً لموضوع تربية الأبناء، ولقد شغلت هذه القصة بالمرين، وعناية المفسرين، واهتمام الدارسين، فلا يكاد يخلو مؤلف أو دراسة حول التربية إلا وأشار إلى هذه الوصية بالدراسة والتحليل والاستنباط، وهذا لما تميزت به من خصائص، واكتنفته من درر وفوائد، وسوف نشير إلى أهم ميزات وخصائص هذه الوصية.

أولاً: صدورها من رجل حكيم

لقمان اسم أعجمي لا عربي⁽¹⁾، واختلف في نسبه: ف قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح وهو آزر أبو إبراهيم الخليل عليه السلام هكذا ذكره ابن إسحاق، وقيل هو لقمان بن عنقاء بن سرون وكان نوبيا⁽²⁾ ذكره السهيلي، قال وهب: كان ابن أخت أيوب عليه الصلاة والسلام، وقال مقاتل ابن خالته، وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعثه، فلما بعث قطع الفتوى⁽³⁾، وقيل أنه كان قاضياً في زمن داود عليه السلام⁽⁴⁾.

أوصافه: وردت عدة روايات في أوصافه منها:

قال ابن عباس: كان عبداً حبشياً⁽⁵⁾.

(1): القسطلاني، أحمد بن محمد، إرشاد الساري في شرح أحاديث البخاري، 288/7.

(2): النوبة: تطلق على الجزء الجنوبي من بلاد مصر، وساكنوها نوبة، واحداها نوبي. (مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 961/2).

(3): ينظر: الزمخشري محمود بن عمر، الكشف، 211/3. القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 59/14.

(4): ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، 123/2.

(5): المصدر نفسه، 123/2.

وروى قتادة عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم في شأن لقمان؟ قال: كان قصيراً أفتس⁽¹⁾.

وقال مجاهد: كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين، مشقق القدمين، وفي رواية مصفح القدمين⁽²⁾.

أما عن كونه نبياً أو عبداً صالحاً: فاختلف السلف في لقمان: هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين:

فقال جمهور أهل التأويل: أنه كان ولياً ولم يكن نبياً، وقال عكرمة والشعبي بنبوته، والصواب قول الجمهور، وهذا ما رجحه أغلب المفسرين:

قال القرطبي: "والصواب أنه كان رجلاً حكيماً بحكمة الله تعالى، قاضياً في بني إسرائيل قاله ابن عباس وغيره"⁽³⁾.

وقال ابن كثير معلقاً على الآثار الواردة في المسألة: "فهذه الآثار منها ما هو مُصرّح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك؛ لأن كونه عبداً قد مَسَّه الرق ينافي كونه نبياً؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها؛ ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة - إن صح السند إليه - فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وَكِيع عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة فقال: كان لقمان نبياً، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم"⁽⁴⁾.

ونقل ابن عطية أثراً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه، فمن الله عليه بالحكمة، وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق، فقال: رب إن

(1): المصدر نفسه، 124/2.

(2): ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم، 334/6.

(3): القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 59/14، بتصرف.

(4): ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 334/6.

خيرتني قبلت العافية وتركت البلاد، وإن عزمت عليّ فسمعا وطاعة فإنك ستعصمني"(1).
 فقول الجمهور أنه عبد صالح آتاه الله الحكمة، وقد قيل في تعريف الحكمة أقوال عديدة، فقيل: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوة، وقيل: الصواب في غير النبوة(2)، وقيل: هي الصواب في المعتقدات والفقه والدين والقول(3)، وقيل: هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام(4)، وقيل: هي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي(5).

أما مبلغ حكيمته: فقد وردت فيها روايات عديدة، نذكر منها روايتين:

ما رواه الطبري قال: "حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي الأشهب، عن خالد الربيعي، قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما، فقال له لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا"(6).

ورى ابن كثير: "قال عبد الله بن وهب: أخبرني عبد الله بن عياش القتباني، عن عُمَر مولى عُفْرَةَ قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان، أنت عبد بني الحسحاس؟ قال: نعم، قال: أنت راعي الغنم؟ قال: نعم، قال: أنت الأسود؟ قال: أما سوادى فظاهر،

(1): ابن عطية عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 266/5.

(2): الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 134/20-135.

(3): القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 59/14.

(4): السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 957.

(5): ابن القيم محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، 479/2.

(6): الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 134/20.

فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وَطَّءُ النَّاسِ بِسَاطِكَ، وَعَشْيُهُمْ بَابِكَ، ورضاهم بقولك، قال: يا ابن أخي إن صَعَيْتَ إلى ما أقول لك كنت كذلك، قال لقمان: غضي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، وقولي بصدق، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركبي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني إلى ما ترى⁽¹⁾.

ثانيًا: أسلوبها المباشر في الوعظ والإرشاد

وصية لقمان لابنه ثماني آيات متواليات، أخذت حيزًا كبيرًا من سورة لقمان، وسميت السورة عليها، وما ميز هذه الوصية ورودها بأسلوب حوار مباشر بين والد ناصح وابن مصغ، وعبارات سهلة المعاني كثيرة الفوائد والمرامي، وهي الموضوع الوحيد في القرآن الذي تضمن هذا القدر من الأوامر والنواهي المتعلقة بتربية الأبناء، ما جعل هذه القصة محل اهتمام كل من تطرق إلى موضوع التربية.

ثالثًا: تنوع أساليب الموعظة فيها

سبق الإشارة أنه من أهم أساليب التربية القرآنية هي التربية بالموعظة، وهذا ما ميز جل وصايا لقمان، وظاهر من مستهلها قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِّهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ (لقمان 13)، فقد تنوعت موعظة لقمان لابنه بين الأمر والنهي، وكذا ذكر بعض تعليقات الأحكام أو جزائها، فاشتمل على ثمانية أوامر وأربعة نواه وسبع علل⁽²⁾، وهذا على التفصيل الآتي:

أما الأوامر فهي:

- 1- الإحسان إلى الوالدين.
- 2- مصاحبة الوالدين في الدنيا بالمعروف.
- 3- اتباع سبيل المنيبين والصالحين.
- 4- إقامة الصلاة.
- 5- الأمر بالمعروف.

(1): ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 334/6.

(2): ينظر: نصيري أحمد، المقاصد التربوية لقصة لقمان، ص 3.

6- الصبر على المصائب.

7- الاعتدال في المشي.

8- خفض الصوت.

وأما النواهي فهي:

1- النهي عن الشرك.

2- النهي عن المنكر.

3- النهي عن تصغير الحد.

4- النهي عن المشي مرحا.

وأما التعليقات فهي:

1. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان 12).

2. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان 13).

3. قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (لقمان 14)، وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان 15).

4. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان 16).

5. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان 17).

6. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان 18).

7. قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان 19).

وقد تضمنت موعظة لقمان الحكيم أربعة أصول تربوية، تعتبر الركيزة الأساسية

والأساس المتين لتربية الناشئة تربية صالحة، تنفعهم في دينهم ودنياهم، وهذه الأصول هي:

الأصل الأول: العقيدة السليمة

لا ريب أن سلامة العقيدة بتوحيد الله تعالى ونفي الشريك عنه هي الركن الركين

والأساس المتين الذي تُبنى

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1) سبتمبر 2025م

عليه شخصية المؤمن، وهو سبيل السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، والله تعالى ما خلق هذا الكون بسمائه وأرضه، بإنسه وجنه، إلا لهذه الغاية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات 56)، أي: ليوحدون، قال ابن عباس: "كل عبادة في القرآن فهي توحيد" (1)، والتوحيد هو أصل فطرة البشر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ (الأعراف 172).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»، ثم يقول أبو هريرة: "واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم 30) " (2).

ولما كان التوحيد هو أصل الفطرة، فإن الشرك بالله انحراف عن الفطرة، وزيف عن العقل والفطنة، وسبب في حبوط العمل وعظيم المهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر 65).

وعلى هذا فإن أول ما ابتدأ به لقمان موعظته لابنه هو تحذيره من الشرك، وتشنيعه له بوصفه أعظم الظلم؛ لأن الشرك تسوية بين من لا نعمة إلا وهي منه؛ ومن لا نعمة له أصلاً، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعُظُهُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان 13).

الأصل الثاني: النفس التقية

الأصل الثاني للتربية المستنبط من موعظة لقمان هي النفس التقية؛ التي تخاف الله تعالى وتراقبه في كل مكان زمان، وتعلم أن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء،

(1): النسفي، عبد الله بن محمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 380/3.

(2): مسلم، بن الحجاج، صحيح مسلم، 2027/4، حديث رقم: 2658، كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة.

يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فقال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مَقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان 16).

فدوام مراقبة الله عز وجل هو الحصن المنيع الذي يقي الإنسان من الوقوع في المعاصي والمنكرات، ويدفعه إلى الاجتهاد في فعل الخيرات والطاعات، وهذا هو أصل التقوى كما عرفها علي بن طالب بقوله: " العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل "(1).

وإذا ما دوام العبد على مراقبة الله تعالى امتلأ قلبه باليقين والتوكل، ومخافة الله وحده دون غيره، " مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صبية يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهرّبوا منه إلا عبد الله، فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك؟ لم لا تحرب مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أكن على رية فأخافك، ولم يكن الطريق ضيقاً فأوسّع لك "(2).

الأصل الثالث: العبادة الصحيحة

معنى العبادة مؤسّس على خضوع العبد التام لخالقه والتذلل والانقياد له، وهي لا تقتصر على أعمال الجوارح فحسب كما يفهمه الكثير؛ بل تشمل كل الأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا ما ورد في تعريف ابن تيمية لها إذ قال: " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة "(3).

وعليه فإن العبودية في معناها العام تكون شاملة لكل ما افترضه الله سبحانه على عباده من الفرائض والطاعات والواجبات: كالصلاة والصيام، والزكاة، والحج، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والدعاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا كل عمل مشروع قصد به رضا الله تعالى مهما عظم شأنه أو قل، ويترتب على ذلك أن للعبادات تأثيراً في سلوك المسلم

(1): الجكني، محمد الخضر بن سيد، كوثر المعاني الدزاري في كشف حبايا صحيح البخاري، 452/2.

(2): الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، ص 9.

(3): ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ص 23.

وفي كل حركاته وسكناته، وقوله وعمله، وسره وعلنه، كل ذلك يعد عبادة لله عز وجل مادام فاعله يقصد الخير، وليس السمعة والثناء، وإنما ابتغي بذلك وجه الله تعالى. (1)

وقد تضمنت وصية لقمان لابنه مجموعة من العبادات وهي:

أولاً: بر الوالدين

بر الوالدين من أعظم الواجبات وأكبر القربات، وقد قرن الله تعالى الدعوة إلى عبادته بالدعوة إلى بر الوالدين في غير ما آية، وأمر بطاعتهما والإحسان إليهما، والدعاء لهما، وخفض الجناح ولين الجانب في حقهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝﴾ (الإسراء: 24).

وحدث لقمان ابنه على بر الوالدين، وذكره بفضلهما، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ۖ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ (لقمان 14-15).

ثانياً: إقام الصلاة

الصلاة عماد الدين وأعظم شعيرة بعد توحيد الله تعالى، والصلاة صلة بين العبد وخالقه، فيها يناجي العبد ربه فتسمو روحه وتتطهر جوارحه ويطمئن قلبه، وهي العبادة الوحيدة التي فرضت في السماء، ولا يعذر فيها أحد مهما كان حاله ووضعه، فيؤديها على قدره واستطاعته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۝﴾ (النساء: 103).

(1): ينظر: معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، ص 473.

وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وهو يُعلِّمه أمرًا يدخله الجنة ويبياعده عن النار: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟ فقال: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»⁽¹⁾.

ثالثًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، وهو أساس الدعوة إلى الله، ومحاربة الفواحش والمنكرات التي تفسد البلاد والعباد، وقد أمر الله تعالى أن يكون في الأمة الإسلامية من يقوم بهذا الواجب فقال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران 103)، والتفريط في هذا الواجب يوقع الأمة في الإثم، بل يوصلها إلى درجة الوقوع في اللعنة عيادًا بالله، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة 79-78).

رابعًا: الصبر

الصبر من أعظم العبادات وأجل القربات، قال علي بن أبي طالب " الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بار الجسد، ألا لا إيمان لمن لا صبر له " (2). والصبر درجات: صبر على الطاعة؛ بتحمل مشاقها والمحافظة عليها، وصبر على المعصية؛ بكف النفس ومسكها عن مواقععتها، وصبر على أقدار الله؛ بكف اللسان عن الشكوى، والنفس عن الجزع، والتسليم بقضائه تعالى، ومن رزق الصبر فقد رزق الخير كله، فهو خير عطاء وأفضل نعمة، في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «وما أعطي أحد من عطاء

(1): الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 308/4، حديث رقم: 2616، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حُرْمَةِ الصَّلَاةِ.

(2): التميمي، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص 362.

خيرا وأوسع من الصبر»⁽¹⁾، ولعظم درجة الصبر ومقامه لم يجعل الله له جزاء مكافئا، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر 10).

الأصل الرابع: الخلق الحسن

الخلق الحسن أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، وخيار الناس وأقربهم منزلة من النبي ﷺ يوم القيامة أحاسنهم أخلاقاً، قال النبي ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»⁽²⁾، وحسن الخلق سبب الفوز بأعلى الجنان، قال ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراءَ وإن كان مُحِقًّا، وأنا زعيمٌ ببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وأنا زعيمٌ ببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه»⁽³⁾، ولخص النبي ﷺ رسالته في الدعوة إلى مكارم الأخلاق فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽⁴⁾.

وقد تضمنت وصية لقمان لابنه النهي عن جملة من مساوئ الأخلاق، والنهي عن خلق سيئ دعوة إلى التحلي بضده، ومن هذه الأخلاق التي نهى عنها: احتقار الغير، والتبختر والخيلاء في المشي، ورفع الصوت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

(1): متفق عليه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 122/2، حديث رقم: 1469، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 729/2، حديث رقم: 1053، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر.

(2): الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 438/3، حديث رقم: 2018، باب ما جاء في معني الأخلاق، وقال حسن غريب.

(3): الألباني، ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، 9/3، حديث رقم: 2648، كتاب الأدب وغيره.

(4): الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، 670/2، حديث رقم: 4221، وقال: صحيح على شرط مسلم.

الْحَمِيرُ ﴿ لقمان 18-19 ﴾.

ومعنى تصعّر: " صاعر وصعّر، إذا أمال عنقه إلى جانب ليعرض عن جانب آخر، وهو مشتق من الصعر بالتحريك لداء يصيب البعير فيلوي منه عنقه، فكأنه صيغ له صيغة تكلف بمعنى تكلف إظهار الصعر، وهو تمثيل للاحتقار؛ لأن مصاعرة الحد هيئة المحتقر المستخف في غالب الأحوال" (1).

وهذه الصفات تدور حول خلق ذميم وهو الكبر، وقد تعددت الأحاديث النبوية في التحذير من هذا الخلق منها:

ما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: « العزُّ إزارِي والكبرياء ردائي، فَمَنْ يَنَازِعَنِي عَذَّبْتُهُ » (2)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر » (3).

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سَجَنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُؤْسٌ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَاءِ يُسْقَوْنَ مِنْ غُصَّارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ » (4).

المحور الثالث: بعض مشكلات التربية المعاصرة عند الناشئة

تربية الأبناء والناشئة لم تكن يوماً أمراً يسيراً ومهمة سهلة، بل تعتبر من أصعب المهمات وأعقد التكاليف، وهي تحتاج إلى تكاثف جهود ومتابعة مستمرة، ومن جهات

(1): ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 166/21.

(2): الألباني، ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، 102/3، حديث رقم: 2898، كتاب الأدب وغيره.

(3): مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 786/2، حديث رقم: 91، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

(4): الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 236/4، حديث رقم: 2492، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، وقال: حديث حسن.

متعددة: الأسرة، المدرسة، والبيئة المحيطة ككل، وازدادت هذه المهمة تعقيداً واستشكالاً في عصرنا الحالي؛ بسبب هذه الطفرة الالكترونية والثورة الرقمية، التي أفرزت تغيرات سريعة وتحديات كبيرة، ألقت بظلالها على كل الميادين ومختلف الفئات، وبخاصة فئة الأبناء والناشئة، نظراً لسرعة تأثيرها وسهولة تغيرها وتحولها.

ومما يزيد الطين بلة والأمر تعقيداً؛ أن الفساد الذي استشرى في الأبناء والناشئة في هذا العصر لا يمسّ ناحية واحدة، أو يخص خلقاً معيناً دون آخر، بل يشمل كل مناحي حياتهم، ويعم كل تصرفاتهم، من سب للدين، وعقوق للوالدين؛ واستباحة للمحرمات؛ واقتراف للفواحش والمنكرات؛ وتضييع للأوقات؛ وتقاعس عن أداء الواجبات؛ وتشبه للبنات بالبنين وبنين بالبنات، وتقليد للكفار والعصاة ... إلى غير ذلك من الأمراض والآفات، التي تتجاوز العد والحصر.

ونظراً لمحدودية هذه الدراسة من حيث الحجم والورقات، فلن نستطيع الإحاطة بكل هذه المشكلات والمعضلات، لكن سنركز على أهمها، ولعل الله ييسر بسط الموضوع في مناسبة أخرى.

أولاً: الإدمان الالكتروني

إنه مما عظمت به البلية واشتدت به الرزية، ومما لا يختلف فيه اثنان ولا يتناطح فيه عنزان، ما يشهده العصر الحالي من إدمان للأبناء على الهواتف الذكية، واللوحات الالكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي، حتى صار الأولاد يعيشون في عالم افتراضي، لا حدود له ولا ضوابط، تتقاذفهم الأفكار، وتعبث بهم الآراء والأهواء، دون حسيب ولا رقيب، ورغم ما في هذه الوسائل من فوائد وإيجابيات محدودة، إلا أن أضرارها وسلباتها ومخاطرها غير معدودة، وأهمها:

1. إفساد عقيدة الأبناء:

ترفع الكثير من المواقع الالكترونية لواء محاربة العقيدة الإسلامية، من خلال نشر الإلحاد وتزيينه في نظر الناشئة، والتشكيك في الأصول والمقدسات؛ كالقرآن الكريم والسنة

النبوية، ونشر البدع والخرافات، أو استعمال الجن والخطرات، مما جعل كثيراً من الناشئة يقعون فريسة سهلة في مصيدة هذه المواقع، فيتركون دينهم عياداً بالله، أو يصدقون بعض الخرافات والخزعبلات: كالحوت الأزرق، أو لعبة مريم...، والتي أوصلت ببعض الأبناء إلى الانتحار ووضع حد لحياتهم.

2. تعدد مصادر التربية:

سابقاً كانت الأسرة والمدرسة هما المصدران الأساسيان لتربية الأبناء، أما في عصرنا الحالي ومع هذه الثورة الرقمية والانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي، أصبح لدى الأبناء والناشئة مصادر متعددة للتربية، يستقون منها المبادئ والقيم، وقد تتعارض مع كثير مما يتلقونه في الأسرة والمدرسة، وهذا التعدد في المصادر والتناقض في المبادئ والآراء، يوقع الأبناء في كثير من المشكلات والمعضلات على أصعدة مختلفة، سيأتي الإشارة إلى بعضها.

3. تضييع الواجبات وإهدار الأوقات:

من مساوئ الإدمان الإلكتروني ما يهدره الأبناء من نفيس أوقاتهم وأعمارهم فيما لا يجدي ولا ينفع، فتجد الطفل يقضي الساعات الطوال في استخدام هذه الوسائل، لما يجد فيها من متعة وإشباعٍ لرغباته، فيضيع واجباته، ويهمل دراساته، بل قد ينسى حتى متطلبات جسمه من مأكّل ومشرب.

4. المشاكل الصحية والبدنية:

أبرز الإدمان الإلكتروني جملة من المشاكل الصحية والتأثيرات البدنية على مستوى الأبناء والناشئة، منها الإرهاق البدني بسبب طول السهر وقلة النوم، تشتت الذهن وقلة التركيز، التأثير على سلامة البصر وإضعاف النظر، بسبب ما تصدره هذه الوسائل من أشعة خارقة، التأثير على سلامة السمع بسبب الاستعمال المفرط للسماعات...

5. المشاكل النفسية:

أما عن المشاكل والآثار النفسية لهذه الوسائل فحدّث ولا حرج، فهي كثيرة ومتعددة

منها:

أ. **العزلة وضعف التواصل الأسري:** وهذا بسبب طول الوقت الذي يقضيه الابن بمفرده مع الوسائل الالكترونية، خاصة مع انشغال الآباء والأمهات بقضاياهم وشؤون حياتهم، فيقل عند الطفل الرغبة في التواصل مع الغير، ويصبح لديه ميل كبير إلى العزلة والانفراد، مما قد يصل ببعض الأبناء إلى الإصابة بمرض التوحد، الذي يصعب علاجه وتداركه.

ب. **الاضطراب في الشخصية:** وهذا بسبب التغير السريع والمذهل الذي تفرضه المواقع الالكترونية، فيصبح الابن على فكرة ويمسي على أخرى، ويمسي على فكرة ويمسي على أخرى، مما يسبب له ارتباكاً في تحديد الصواب من الخطأ، وحيرة في بيان النفع من الضرر، فيتشكل عنده اضطراب وانفصام في الشخصية، وهتزاز في الثقة بالنفس.

ج. **الضغوط النفسية والاجتماعية:** الإدمان على متابعة مواقع التواصل الاجتماعي أصبح يشكل ضغوطاً نفسية متزايدة على الناشئة، بسبب سعيهم الحثيث إلى الاندماج في مجتمعاتهم الرقمية، سواء من خلال متابعة آخر الخرجات والصيحات، أو مقارنة أنفسهم بغيرهم من الحالات والشخصيات، أو وقوعهم ضحية للأكاذيب والافتراءات، مما يسبب لهم شعوراً متواصلاً بالقلق والهم والاكنتاب.

د. **إنكار الذات وفقدان الثقة بالنفس:** من معضلات هذه المواقع الالكترونية ما أصبح يعانيه بعض الشباب خاصة عند فئة الإناث، من إنكارهم لذواتهم، لما يشاهدون على هذه المواقع من شخصيات تمثيلية أو افتراضية، يفوق وصفه الخيال، فيختلط لديهم الواقع بالافتراض، وينشأ عندهم شعور بالنقص من خلال المقارنة والمماثلة، مما قد يتطور ببعضهم إلى مرض إنكار الذات.

ثانياً: القدوة السيئة

وهذا المشكل متصل بسابقه، وهو نتيجة من نتائجه، إذ إن إدمان الأبناء على متابعة المواقع الالكترونية وما ينتشر فيها من ملهيات وتفاهات، غير في أذهانهم معنى القدوة والأسوة، فبعد ما كان شباب المسلمين يقتدون بالأئمة والصالحين، والعلماء والمجتهدين، أصبح أبناء وبنات المسلمين اليوم يقتدون، بالفنانات واللاعبين، والممثلات والمؤثرين،

يقلدونهم في كل صغيرة وكبيرة، في كلامهم، في لباسهم، في عاداتهم، وينشرون ويتداولون كل ما يتعلق بحياتهم وحركاتهم وسكناتهم.

ثالثًا: عقوق الوالدين

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر والموبقات، والعقوق مشتق من العق، وهو القطع والشق، والذي يعق والديه يقطع رحمهما ويشق عصا طاعتهما، قال ابن منظور في اللسان: "وعق والديه يعقهما عقا وعقوقا، قطعهما ولم يصل رحمه منهما وقد يُعمُّ بلفظ العقوق جميع الرحم" (1).

وظاهرة العقوق وإن كانت ظاهرة قديمة، وواقعة من الكبار والصغار، إلا أن الملاحظ في هذا العصر أنها أخذت أبعادًا أخرى، وسلوكيات متعددة عند الأبناء والناشئة، تنبئ بوجود انحرافٍ خلقي وفراغٍ عقدي وفكري عند هؤلاء، وتأثير واضحٍ بالثورة الرقمية التي سبق الإشارة إليها، ومن أهم هذه المظاهر:

1. رفع الصوت ورد الكلام: كثير من أبناء اليوم ترتفع أصواتهم وتشتد عقيرتهم عند نقاشهم مع والديهم، وقد يقابلونهم الكلمة بالكلمة، والعبارة بالعبارة، عند توجيه أي ملاحظة أو انتقاد لهم.
2. معصية الأوامر: كثير من الأبناء كذلك لا يطيعون أوامر آبائهم، عند أمرهم أو نهيهم عن فعل، أو طلب قضاء حاجة، أو القيام بمهمة ...، وهذا بسبب العناد وعدم احترام الوالدين، أو انشغالهم بالملهيات ووقوعهم في قبضة المواقع الالكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي.
3. احتقار الوالدين والاستهزاء بهم: مما انتشر في هذا العصر عند بعض الأبناء احتقار والديهم والانتقاص من قدرهم، خاصة مع تحكم الأبناء في هذه الوسائل الالكترونية، وجهل كثير من الآباء بدسائسها وكيفية استعمالها، فيستغل هؤلاء الأبناء ذلك في استغلال آبائهم والسخرية منهم، ووصفهم بالجهل والضعف.

(1): ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، 10/256.

4. الاعتداء على الوالدين بالقول أو الفعل: وإن كانت هذه الظاهرة قليلة ومحدودة عند فئة الناشئة، إلا أن هناك من يصل به العقوق إلى هذه الدرجة، وذلك بالاعتداء على والديه قولاً بالسب والشتم وفحش الكلام، أو فعلاً بالضرب والإيذاء عياداً بالله.

رابعاً: العناد وعدم الاصغاء

العناد مشكلة تربوية وعادة سيئة عند الأبناء، تتمثل في التشبث بالرأي وعدم الإنصات لكلام الوالدين أو المعلمين، ورفض أي طلب يُطلب منهم دون أي مبرر، ويتميز الطفل العنيد ببعض السمات مثل: رفض سماع الأوامر من الكبار، والإصرار على الحصول على شيء معين، والتمرد على الوالدين، واستخدام أي طريقة ممكنة في سبيل التوصل لأهدافه الخاصة.

ويرتبط العناد بالقسوة والعدوانية، فتجد أن بعض الأبناء الذين يتصفون بالعناد تبدو عليهم قسوة وميولات عدوانية، ويتجلى ذلك من خلال بعض تصرفاتهم، فتراه يمزقون الملابس، أو يحطمون التحف الغالية، أو يعتدون على الحيوانات، أو يستخدمون الأدوات المدرسية استخداماً سيئاً، فيشوهون بها جدران المنزل أو المدرسة، وكل هذه التصرفات تعبير من الابن العنيد عن شعوره بالقوة وافتخاره بنفسه، وسعيًا منه إلى فرض ذاته وسيطرته.

خامساً: سوء الأخلاق:

كما سبق الإشارة فإن مساوئ الأخلاق المنتشرة عند الأبناء في هذا العصر لا حصر لها، حتى أصبح اتصاف بعض الأبناء بمحاسن الأخلاق شذوذاً، بل أصبح سبباً للتنمر عليهم والاستهزاء بهم من أقرانهم، فانقلبت الموازين وتغيرت الأحكام، وسوف نشير إلى بعض هذه الأخلاق السيئة:

1. التدخين وشرب والمسكرات، وتعاطي الحبوب المهلوسة والمخدرات:

وهذا مما عظمت به البلية كذلك، حيث انتشر في هذا العصر بين الناشئة تعاطي هذه الخبائث والمهلكات، في المدارس والساحات العامة والنوادي والأسواق، بل أصبح تعاطيها دلالة على القوة والرجولة والشجاعة، والترويج لها وبيعها تجارة رابحة عند الكثير من الناشئة،

ووقع كثير من الأبناء - بعد إدمانهم عليها - ضحية ابتزاز واستغلال هؤلاء الأشرار، ما يدفعهم إلى الوقوع في السرقة والاعتداء على أموال وممتلكات الغير، وقد يصل الحال ببعضهم إلى القتل وإزهاق الأرواح.

2. سب الدين وفحش الكلام:

مما انتشر بين ناشئة اليوم التفوه بالكلام الفاحش، والألفاظ البذيئة، والعبارات النابية، خاصة عند الخصومة والنزاع، ومنهم من أصبح هذا الفعل خصلة فيه وسمة له في كل كلامه ومختلف أحواله، ومنهم من وصل به الأمر إلى سب الرب عز وجل، وسب الدين، عيادًا بالله.

3. التبرج والسفور عند الإناث:

لا يخفى كذلك انتشار مظاهر التبرج في المجتمعات الإسلامية، من كشف للأجساد، وإظهار للمحاسن والمفاتن، وألبسة ضيقة مفضوحة، وعطور وروائح جالبة، ومشيات متبخرة متمائلة، ومما زاد الطين بلة تشجيع بعض الآباء - هداهم الله - لبناتهم على ذلك، أو اعتذار بعضهم بصغر السن، رغم ظهور مفاتنهن وعلامات البلوغ عليهن، وهذا غلط، فالبنات متى بدأت تظهر مفاتنهن وجب عليها أن تحتجب وإن لم تبلغ سن البلوغ.

4. الحلاقات المحرمة والسراويل الهابطة والمقطعة عند الذكور:

ومما انتشر في هذا العصر عند البنين والبنات المحرمة، والتي لم يعد يُكتفى فيها بالقرع المنهي عنه، بل تجاوز ذلك إلى حلاقات بها أشكال ورسومات، وعلامات تجارية لبعض المؤسسات، بل هناك من تحمل رموزًا لبعض الجماعات المنحرفة، أو فيها إساءة للدين، إضافة إلى لبس السراويل الهابطة والمقطعة، والتي غالبًا ما تكشف العورة، وتثير الاشتزاز.

5. التشبه بين الجنسين:

ومما يؤسف له تشبه البنات بالبنين والبنين بالبنات، في تغيير صاخر للخلقة وانتكاس للفطرة، فتشبه البنات بالبنين بلبس السراويل، وحلق الشعور، ومخالطة الذكور، وتشبه البنين بالبنات بوضع المساحيق على الوجوه، وصبغ الشعور، ولبس القلائد والأقراط، والتعنج والتنعم

في الكلام، فأصبح الحليم يحار أحياناً في التفريق بين الجنسين، والله المستعان.

المحور الرابع: العلاج القرآني لمشكلات التربية المعاصرة

بعد هذا العرض الموجز لأهم المشكلات والمعضلات التي تواجه تربية الأبناء والناشئة في هذا العصر، يدرك الناظر أن الوضع خطير والخطب كبير، والأمر يحتاج إلى تكاثف جهود، وبذل طاقات، وتقديم تضحيات، من أجل إنقاذ الناشئة من هذا الواقع المرير، والخروج بهم إلى بر السلامة والعافية.

ولا ريب أن أفضل حل وخير علاج لهذه المعضلات، هو القرآن الكريم، الذي قال فيه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوشِفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء 82)، وبخاصة وصية لقمان لابنه؛ التي تعد بلسماً شافئاً وعلاجاً وافئاً، وفيها من المواعظ والعبر ما يجيب عن كثير من مشكلات التربية عند الناشئة.

وأمر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به الأولون، الذين تربوا في مدرسة القرآن والنبوة، قال الإمام مالك: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " (1)، فيجب إذا ما أردنا الإصلاح والصالح أن ننظر ونتأمل في نهج الأولين، وكيف تربوا في مدرسة القرآن والنبوة، فصلحت قلوبهم، واستقامت أعمالهم، وحسنت أخلاقهم، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس.

وإسهاماً في إيجاد حلول وتوجيهات لما تم عرضه من مشكلات، سوف نذكر جملة مما فتح الله به ويسر جمعه، وسنقسمها إلى قسمين: حلول وتوجيهات عامة تصلح لكل المشكلات، ثم نردف ببعض الحلول التي تخص كل مشكلة على حدة.

أولاً: الحلول والتوجيهات العامة

1. الدعاء:

أول ما نستهل به عبادة الدعاء، الذي يعد سلاح المؤمن وسهمه الذي لا يخيب، فتربية الناشئة وبخاصة في هذا العصر بحاجة إلى توفيق رباني وعون إلهي، ولا حول ولا قوة

(1): نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص 303.

للعبد إلا بعون ربه، فأول واجب على الوالدين اللجوء إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء أن يصلح ذرياتهم، وأن يعينهم على تربية أبنائهم، وقد علمنا القرآن هذا العلاج، قال تعالى فيما ذكره من صفاته عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا مِمَّا كَرِهْنَا لَنَا إِيمَانًا﴾ (الفرقان 74)، وقوله على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم 35)، وقال كذلك: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ (إبراهيم 40).

ومن روائع ما ثبت عن السلف من دعاء الله تعالى، وتفويض أمر صلاح الأبناء إليه عز وجل بعد الاجتهاد في اتخاذ الأسباب، ما ثبت عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول: " اللهم إني عجزت عن إصلاح ولدي فأصلحه لي "، فما زال يدعو الله به حتى أصلح الله ولده.

وإن لم يرد في وصية لقمان الحكيم ما يشير إلى دعاء لقمان لربه بصلاح ابنه، فهذا راجع إلى طبيعة أسلوب الموعدة في الوصية، والذي يستند على الأمر والنهي والترغيب والترهيب عادة، وإلا فلا يتصور غفلة لقمان الحكيم عن أهمية الدعاء في صلاح الأولاد والتوفيق إلى حسن تربيتهم، وهو الذي وصفه ربه بالحكمة وتمام العقل.

2. القدوة الحسنة:

سبق الإشارة أن التربية بالقدوة من أنجع وسائل التربية، فأثر القيام بفعل واحد أمام المتلقي خير من عديد الخطب والمواعظ، والأبناء مجبولون على التقليد والمتابعة، وصلاح الأبناء بصلاح الآباء، وإنه من أسوأ الأمور أن ينهى الوالد ابنه عن فعل أو قول ثم يأتي مثله، وصدق الشاعر إذ قال:

لا تنه عن خلق وتأتي بمثله عار عليك إذا فعلت عظيم
وخير من علمنا القدوة الحسنة النبي الكريم ﷺ، فقد كان قدوة في كل ما يدعو إليه، فانتشرت دعوته وسادت رسالته، ومن أدلة فائدة الدعوة بالقدوة، وبيان أفضلية تأثيرها عن الموعدة باللسان، ما وقع يوم الحديبية " لما انتهى الأمر، أمر ﷺ أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم

وينحروا الهدي ليتحللوا من عمرتهم، فكان ذلك صدمة عنيفة للمسلمين في جملتهم، إذ كانوا مدفوعين بحماس بالغ ضد قريش، وكانوا يرون أن شروط الصلح لا تحقق العدل والإنصاف لرسول الله والمسلمين، ولذلك لم يبادروا بالامتنال لأمر الرسول ﷺ، فدخل ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها - وقال لها: «هلك المسلمون، أمرتهم فلم يمتثلوا»، فقالت: يا رسول الله: اعذرهم، فقد حملت نفسك أمرًا عظيمًا في الصلح، ورجع المسلمون من غير فتح، فهم لذلك مكروبون، ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد، فإذا رأوك فعلت تبعوك، فتقدم ﷺ إلى هديه فنحره، ودعا بالخلافة فخلق رأسه، فلما رآه المسلمون توثبوا على الهدي فنحروه وحلقوا⁽¹⁾، فتأمل أثر القدوة في الاستجابة للدعوة.

وإذا ما رجعنا إلى قصة لقمان الحكيم وجدنا أن لقمان كان قدوة فيما يدعو إليه، فقد آتاه الله الحكمة وكان عبدًا تقيًا صالحًا، فكان لموعظته لابنه أثر بليغ، وكل ما أمر به ابنه كان فاعلاً له، وكل ما نهى ابنه عنه كان تاركاً له، وهذا من تمام العقل والحكمة. وعليه فلا يعقل أن يأمر الوالد ابنه بإقامة الصلاة وهو مضيع أو تارك لها، أو ينهيه عن التدخين وهو مستهلك له، أو تأمر الوالدة ابنتها بالحجاب وهي متبرجة، أو تنهاها عن مشاهدة المحرمات وهي فاعلة لذلك، كل هذه الأوامر والنواهي لا أثر لها ولا فائدة ترجى منها، بل قد يكون لها أثر سلبي، حيث يفقد الأبناء الثقة في الآباء، ويصبحون محل استهزاء وازدراء في أعينهم.

3. تحمل مسؤولية رعاية الأبناء:

من أهم أسباب ضياع الأبناء والمشاكل التي يتخبطون فيها؛ تضييع الوالدين لواجب المسؤولية عما استرعاهم الله تعالى، والنبي ﷺ يقول: «كلكم راع، وكل مسؤول عن رعيته

(1): النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ص 318.

«⁽¹⁾، فالله تعالى لم يرزق الأبناء للآباء حتى يضيعوهم ويتركوهم هملاً، بل ليكفلوهم مادياً بالنفقة عليهم، ومعنوياً بتربيتهم وتوجيههم لما ينفعهم ويصلح حالهم، وإلا فهو تضييع للأمانة وتفريط في المسؤولية، وسيسأل ويحاسب عنه الآباء حساباً عسيراً، فعلى الوالدين أن يكونوا قريبين من أبنائهم، متابعين لأحوالهم وشؤونهم، عارفين بأصحابهم ورفقائهم، مطلعين على أفكارهم واهتماماتهم، وهذا من تمام حفظ الأمانة والقيام على الرعاية.

وضرب لنا لقمان الحكيم خير مثال في هذا، فبالأمل في وصيته نلمس شدة اهتمامه وحرصه على تربية ابنه، بتوجيهه في كل كبيرة وصغيرة، والتلطف معه في الدعوة، والعطف عليه في النصح، حتى تجد الموعظة طريقاً إلى قلبه، وتأثر في سلوكه وأفعاله.

4. تنشئة الأبناء على التوحيد ونبد الشرك:

من أصول تربية الأبناء وأساسياتها غرس عقيدة التوحيد ونبد الشرك في قلوبهم منذ نعومة أظفارهم، وتنشئة الأبناء على الاعتقاد السليم، حماية لهم من الزيغ والضلال، ووقاية لهم من الفتن والانحرافات في حاضرهم ومستقبلهم، وهذا ما علمنا إياه لقمان الحكيم في وصيته، فكان أول ما وعظ به ابنه تحذيره من الشرك، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَمْنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الْشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان 13).

ولا يقصد بتنشئة الأبناء على عقيدة التوحيد تلقينهم قواعد هذا العلم ومسائله، بل يكون ذلك بشكل عملي تدريجي، فأول ما يبتدأ به غرس البذرة الأولى في قلوبهم؛ وهي وجود الله تعالى وتسييره لهذا الكون الفسيح، وربط كل الموجودات حولهم في الكون بقدرة الله وعظمته، ويكون ذلك بطريقة عملية بسيطة، بحيث نجعلهم ينظرون إلى السماء والأرض مثلاً، ثم نخبرهم بقدرة الله تعالى على خلقهما وتدبير أمرهما، ونجعلهم يتأملون في تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر، في نظام محكم دقيق، لا خطأ فيه ولا تبديل، فلا شك أن من وراء

(1): متفق عليه: البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 26/7، حديث رقم: 5188، كتاب النكاح، باب {قوا أنفسكم وأهليكم نازراً}. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 1459/3، حديث رقم: 1829، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية.

ذلك رب حكيم خبير، ثم نعلمهم صفات الله تعالى وأسمائه، ابتداء بما يستطيعون استيعابه وفهمه؛ مثل الرزاق الذي يرزقنا طعامنا وشرابنا وكل حاجتنا، ثم الرحمن الرحيم الذي يرحمنا ويشفق علينا ولا يرضى لنا الأذى والسوء، والعليم الحكيم الذي يعلم سرنا وجهرنا ويثبينا على الخير ويعاقبنا على الشر، والسميع البصير المطلع على أعمالنا ونوايانا، يجازينا ويؤجرنا على أعمالنا الطيبة من السمع والطاعة لله ورسوله ﷺ، ويحاسبنا ويعاقبنا عن معصية الله ورسوله ﷺ.

وهكذا شيئاً فشيئاً ينشأ الابن على معرفة الله وحبّه وتعظيمه، ويمتلأ قلبه بخوفه وخشيته، فيتهدأ لقبول أوامره ونواهيه، وترسخ وتقوى عقيدته، فلا تزعزعها الدعاوى الباطلة، ولا الأهواء المنحرفة، ولا الإغراءات المادية الزائلة، ولا المواقع الالكترونية المضللة.

5. تذكير الأبناء بمراقبة الله لهم وسعة علمه:

مما يزيد في تقوية عقيدة الأبناء، وقيهم من الوقوع في الفواحش والمنكرات، أن نذكرهم دائماً باستحضار مراقبة الله لهم، وعلمه بكل صغيرة وكبيرة في حياتهم، وهذا ما حرص لقمان الحكيم على تلقينه لابنه، فقال: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان 16).

والآباء مهما اجتهدوا في مراقبة ومتابعة أبنائهم في كل زمان ومكان، ومهما استعانوا بغيرهم في ذلك، ومهما استعملوا من وسائل حديثة وطرق عصرية للمراقبة، فلن يستطيعوا أن يعرفوا كل شيئاً عن أبنائهم، ولفاتهم الشيء الكثير، لكن إذا ما ربوا أبنائهم على المراقبة الذاتية لله تعالى، فسيجدون راحة وطمأنينة، ويذخرون هذه الجهود في مسائل أخرى.

وكم أحسن ذلك المعلم النبيه الذي غرس في تلاميذه هذه المراقبة الذاتية بطريقة عملية — وكان فيهم متفوقاً يغارون منه — فأمرهم يوماً بأن يحضر كل واحد فيهم طيراً مذبوحاً في مكان لا يراه فيه أحد، ووعدهم بجائزة لمن أحسن الاختباء واجتهد في التخفي، فأتى التلاميذ صباحاً جميعهم وطيورهم مذبوحة في أيديهم، يتفاخرون على بعضهم بعضاً في مكان وكيفية الاختباء، إلا ذلك المتفوق أتى بطيره حيّاً في يده، فلما سأله المعلم عن ذلك أجابه: أنه لم

يجد مكاناً يختبئ فيه من الله، فحجل التلاميذ من أنفسهم، وعرفوا سبب تفوقه عليهم، وتعلموا درساً عملياً في استحضار مراقبة الله تعالى.

ثانياً: الحلول والتوجيهات الخاصة

إضافة إلى ما تم ذكره من حلول وتوجيهات عامة، سوف نذكر في هذا الباب بعض الحلول والتوجيهات الخاصة بكل مشكلة أو معضلة ذكرت سابقاً، ولا يمكن الإحاطة بكل الآفات والمشاكل فذلك يطول، ويحتاج إلى بسط وتفصيل، ولكن سنركز على مهمات الأمور.

1. بالنسبة لمشكل الإدمان الالكتروني: ما يوجه إليه وينصح به:

- **التقليل من استعمال الأبناء للوسائل الالكترونية:** الإدمان على أي أمر هو نتيجة حتمية لكثرة استعماله، وعليه فإن أو خطوة في معالجة الإدمان هو التقليل من ممارسة هذا الفعل، وبهذا وجب على الآباء ألا يفتحوا الباب على مصراعيه أمام الأبناء في استعمال الوسائل الالكترونية، بل يكون استعمالها وفق تنظيم وقي معين، ولفترات قصيرة ومتباعدة، حتى لا يألف الابن هذه الوسائل ويعتاد عليها.
- ومن باب التربية بالقدوة التي أشرنا إليها سابقاً، فلا يعقل أو يتصور أن ينهى الآباء الأبناء عن كثرة استعمال الوسائل الالكترونية، وهم غارقون في استعمالها، فلن يجدي هذا النهي نفعا، ولن يحقق فائدة.

- **المراقبة المستمرة والدائمة:** ومع أخذنا بضبط أوقات الأبناء في استعمال الوسائل الالكترونية، يجب على الوالدين دوام مراقبة أبنائهم عند استعمالها، والنظر في البرامج والمواقع التي يزورونها، وكذا الأصدقاء الافتراضيين الذين يتواصلون معهم، وذلك بالمراقبة الفعلية من خلال مفاحاتهم بين الفينة والأخرى أثناء استعمالهم لهذه الوسائل، أو المراقبة التقنية عن طريق بعض البرامج الحديثة التي تمكن من ذلك.
- أما ترك الأبناء في خلوة مع هذه الوسائل، والتعويل عليهم في حماية أنفسهم من مخاطرها، والنجاة من آثارها ومساوئها، فيصدق فيه قول الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبطل بالـ

- **تذكير الأبناء بأهمية الوقت في حياة المؤمن:** الوقت أغلى ما يملكه العبد، وأسهل ما يضيع منه، فعلى الوالدين تذكير أبنائهم بأهمية الوقت، وأنهم مسؤولون عنه يوم القيامة، وتحذيرهم من إضاعة الأوقات والأعمار في هذه الأجهزة فيما لا ينفع، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»⁽¹⁾.

- **تحذير الأبناء الدائم من مخاطر الاستعمال المفرط لهذه الوسائل:** تحذير الأبناء الدائم من المخاطر الصحية والنفسية والاجتماعية من الاستعمال المفرط للوسائل الالكترونية، يزرع في أنفسهم الخوف والرغبة من الوقوع في هذه المخاطر، ويربي فيهم الشعور بتحمل المسؤولية وتأنيب الضمير، إذا ما وقع لهم أمر قد حُذِّروا منه مسبقاً.

- **تحكم الآباء في استعمال هذه الوسائل:** مما يستغله كثير من الأبناء جهل آبائهم بتقنيات وأسرار الوسائل الالكترونية، فيتخذون ذلك وسيلة إلى الاستهزاء والتلاعب بهم، والكذب عليهم بطرق ووسائل شتى، وعليه وجب على الآباء اقتحام هذا المجال والاطلاع على خباياه وأسراره، حتى لا يقعون ضحية لاستغلال أبنائهم.

- **توجيه الأبناء إلى الاستعمال النافع لهذه الوسائل:** على الرغم من سلبيات ومخاطر استعمال الوسائل الالكترونية، إلا أنها تكتنف منافع وفوائد متعددة إذا ما أحسن استعمالها، فقد سهلت الحصول على المعلومات، واختصرت كثيراً من الجهود والأوقات، وفتحت آفاقاً للبحث والإبداع في شتى المجالات، وسخرت جملة من البرامج التكوينية والدورات، بل يمكن للأبناء أن يصبحوا مؤثرين وفاعلين في هذا المجال، بمزاحمة أهل الباطل، واستغلال هذه الوسائل والبرامج في الدعوة إلى الله، ونشر المحتويات النافعة.

(1): الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 4/190، حديث رقم: 2416، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، وقال: حديث غريب.

● بالنسبة لمشكل القدوة السيئة:

في حقيقة الأمر أن الأبناء قد يعذرون إلى حد ما فيما يتخذونه من قدوات سيئة ومتابعة لشخصيات تافهة، لأن الأصل في المرء أن يقتدي بمن يديم مجالسته أو مشاهدته أو سماع أخباره، ولا يجد الأبناء في هذا العصر من المشاهير والمؤثرين إلا هؤلاء التافهين، من اللاعبين واللاعبات والفنانين والفنانات والمغنين والمغنيات، فوسائل التواصل الاجتماعي حافلة بأخبارهم وتفاصيل حياتهم، وكل ما يتعلق بهم.

وعليه وجب على الآباء أن يربطوا أبناءهم بالسلف الصالح والرعيل الأول من الصحابة والتابعين، وكيف ضحوا بالنفس والنفيس من أجل نشر هذا الدين، وذكر بطولاتهم ومآثر حياتهم، وكذا بالعلماء والصالحين، والفقهاء والمجاهدين، إلى غير ذلك من القدوات الحسنة والشخصيات النافعة، وفي الوقت نفسه تسفيه واحتقار هذه القدوات السيئة والشخصيات التافهة، التي لا تنفع نفسها فضلا على أن تنفع غيرها.

2. بالنسبة لمشكل عقوق الوالدين:

● تحذير الأبناء من عواقب وآثام العقوق، فالعقوق من أكبر الكبائر، في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً: قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»⁽¹⁾، فالعقوق عاقبته وخيمة وإثمه عظيم، وصاحبه في خطر كبير، وهو سبب لخسران الدنيا والآخرة، فرضا الله من رضا الوالدين، وغضب الله من غضبهما.

● تذكير الأبناء بفضل الوالدين على الأبناء وحقهما عليهم، وهذا ما ورد في وصية لقمان لابنه كما أشرنا سابقاً، وأن الابن مهما اجتهد في برهما وسعى في خدمتهما فلن يوفيتهما حقهما، بل جزءا يسير منه، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولدٌ

(1): متفق عليه: البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 4/8، حديث رقم: 5976، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 91/1، حديث رقم: 87، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها.

والدأ إلا أن يجده مملوكاً فيشتره فيعتقه»⁽¹⁾.

وعن سعيد ابن أبي بردة عن أبيه قال كان ابن عمر يطوف بالبيت فرأى رجلاً يطوف حاملاً أمه وهو يقول:

إني لها بغيرها المذل إن أذعرت ركابها لم أذعر
أتراني يا ابن عمر جزيتها قال: لا، ولا زفرة واحدة⁽²⁾.

ومن باب التربية بالقدوة في هذا الباب، فمن أنفع الطرق في زرع بر الوالدين في الأبناء، أن يكون الوالدان بارين بأبائهم، والجزء من جنس العمل، فمن أراد أن يبره أبنؤه بر والديه، ومن عق والديه عقه أبنؤه.

3. بالنسبة لمشكل العناد:

من الواجب عدم التعامل مع العناد على أنه مشكل فهو أمر طبيعي عند الأبناء، يكون في مرحلة عمرية معينة ثم يزول شيئاً فشيئاً، لكن إذا تجاوز حدًا معيناً قد يتحول إلى حالة مرضية، وفي هذه الحالة ينصح ب:

- التفرق ولين الجانب من الوالدين، وعدم المواجهة المباشرة للأبناء بالرفض والصد، فهذا لا يزيد الطفل العنيد إلا عناداً، وكلما وجد الرفق واللين فإنه ينقص عناده شيئاً فشيئاً.
- عرض خيارات على الأبناء وإشراكهم في اتخاذ بعض القرارات، وعدم التعامل معهم بصيغة افعل لا تفعل، والأمر والنهي، فأحياناً إشراك الأبناء في اتخاذ القرارات وإن كان شكلياً، نافع في إكسابهم الثقة في أنفسهم وشعورهم بأن لهم قيمة ومكانة في الأسرة والمجتمع.
- عدم الانفعال والتسرع في العقاب والتعنيف، إذ يجب الصبر في التعامل مع الطفل العنيد، فالأمر يتطلب الكثير من الحكمة والليونة في التعامل معه، واتباع مبدأ الحوار

(1): مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 1148/2، حديث رقم: 1510، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد.

(2): المروزي، الحسين بن الحسن، البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره)، ص 19.

والمناقشة، وعدم اتباع أسلوب الضرب.

- تشجيع الطفل ومدحه باستمرار، فالمديح والثناء على أي عمل إيجابي يدفع الطفل إلى الشعور بالأمان والاتزان، إضافة إلى عدم مقارنته بالأبناء الآخرين.

4. بالنسبة لمشكل سوء الأخلاق: مما ينصح به:

- ربط الأبناء بالقرآن الكريم، وإلحاقهم بالكتاتيب والمدارس القرآنية، حتى يتربوا على أخلاق القرآن، وينهلوا من سمات المشايخ والمعلمين، وتغشاهم رحمة مجالس الذكر والقرآن، وحفظ القرآن الكريم وحسن تلاوته ومداومة النظر فيه، تركيةً للنفس، وتهذيباً للخلق، ورفعاً للدرجات، وتكفيراً للسيئات، وفوزاً بأعلى الجنات، وآيات القرآن عامرة بالدعوة إلى محاسن الأخلاق والنهي عن سيئها، ومن ذلك وصية لقمان الحكيم كما سبق الإشارة.

- الحرص على إقامة الأبناء للصلاة والمحافظة على مواقيتها، فالصلاة من أفضل أسباب الوقاية من المعاصي والمنكرات، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت 45).

والله تعالى قسم الصلوات الخمس على مدار اليوم حتى تكون محطات يناجي فيها العبد ربه، ويتطهر فيها من ذنبه، ويجدد فيها إيمانه وعزمه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أنّ ثمرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء»، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا»⁽¹⁾.

- الإكثار من سماع المواعظ وحضور الدروس الخاصة بالتحذير من الآفات ومساوئ الأخلاق، كالتدخين وتعاطي الممنوعات، والتبرج وتشبه الجنسين بعضهم ببعض، والذكرى تنفع المؤمنين، ورب عاصٍ مذنب تاب إلى الله فتاب عليه، فتحولت حياته من

(1): مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 1/468، حديث رقم: 676، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات.

الظلمة إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله قال تعالى:

﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر 53).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وعونه تقضى الحاجات، فقد أتيت على خاتمة هذه الدراسة، والتي سأخصصها لأهم النتائج المتوصل إليها، إضافة إلى بعض الاقتراحات بين يدي الموضوع، فأهم نتائج الدراسة هي:

1. يتميز المنهج القرآني بالربوبية في مصدره، وقوة التأثير في أسلوبه، والتكامل والالتزان في طبيعته، والشمولية في غايته، ما يجعل منه أفضل سبيل وأحسن طريق لتنشئة الأبناء تنشئةً سليمةً متزنةً، تحول بينهم وبين الوقوع في العديد من المشكلات والمخاطر التي يفرضها العصر الراهن.
2. تضمّن القرآن الكريم أربع وسائل للتربية وهي: التربية بالقُدوة، التربية بالموعظة، التربية بالعقوبة، والتربية بالقصة، وهذه الوسائل هي مدار ورحى علوم التربية الحديثة في هذا العصر.
3. تعد قصة لقمان الحكيم مع ابنه من أهم المواضع القرآنية عناية واهتماماً من طرف المنشغلين بموضوع تربية الأبناء، وهذا لما تميزت به من أسلوب مباشر في الوعظ والإرشاد، إضافة إلى تنوع أساليب الموعظة فيها بين الأمر والنهي والتعليل، فاشتمل على ثمانية أوامر وأربعة نواه وسبع علل.
4. جمهور أهل العلم على أن لقمان كان ولياً وعبداً صالحاً وليس بنبي، آتاه الله الحكمة، وأنعم عليه بكمال العقل وحسن الفهم، وأجرى الحق على لسانه وأفعاله.
5. تضمنت وصية لقمان لابنه أربعة أصول تربوية وهي: العقيدة السليمة، النفس التقية، العبادة الصحيحة، والخلق الحسن، وهذه الأصول تمثل ركائز بنية الشخصية الإسلامية الصالحة، المفلحة في الدنيا والآخرة.

6. من أكبر مشاكل وتحديات تربية الناشئة في هذا العصر، هذه الطفرة الإلكترونية والثورة الرقمية، التي سيطرت على عقول الأبناء، وأخذت بألبابهم، فأوقعتهم في الإدمان على الوسائل الإلكترونية، وفتحت عليهم باب عالم افتراضي، لا حدود له ولا ضوابط، تسبب في فساد عقائدهم، وإضاعة أوقاتهم، وتعدد مصادر التربية عندهم، وإصابتهم بجملة من الأمراض النفسية والبدنية.

7. من أهم أساليب العلاج القرآني لمشكلات الناشئة المعاصرة: الإكثار من دعاء الله تعالى بصلاح الذرية، تنشئة الأبناء على العقيدة السليمة، ربطهم بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً وتدبراً، المراقبة المستمرة لهم، وإدامة وعظهم وتذكيرهم.

8. تربية الأبناء والناشئة تربية صالحة، والخروج بهم من الواقع المرير الذي يعيشونه في هذا العصر، تتطلب بذل طاقات، وتقديم تضحيات، وتكاثف وتنسيق جهود كل الفاعلين في هذا الميدان؛ الأسرة والمدرسة والمجتمع، وأي تأخر لفاعل عن دوره يوقع الخلل، ويضعف من نتائج الإصلاح وثمار المعالجة.

أما بالنسبة للاقتراحات: فمما يجدر التنبيه عليه:

1. الإكثار من مثل هذه المؤتمرات والملتقيات التي تهدف إلى استنطاق آيات القرآن الكريم، وتفعيلها واقعياً في معالجة مشاكل وقضايا الأمة المعاصرة، وهذا للجم أفواه المشككين في صلاحية القرآن والسنة لكل زمان ومكان.

2. إقامة دورات تكوينية للوالدين وبخاصة الأمهات في كيفية استعمال الوسائل الرقمية، وأسرار وخبايا المواقع والبرامج الإلكترونية، حتى يواكبوا مستوى أبنائهم في هذا المجال، ويتمكنوا من مراقبتهم، ولا يقعوا ضحية تلاعبهم واستغلالهم.

3. إقامة دورات تكوينية للأبناء والناشئة في كيفية الاستغلال الحسن والاستعمال النافع للوسائل الإلكترونية.

وصلى الله وسلم على محمد وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، (1426 هـ)، العبودية، ت: محمد زهير الشاويش، ط 7، بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984 م)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.
ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، (1422 هـ)، المحرر الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ط 1، ت: عبد السلام عبد الشافي، بيروت: دار الكتاب العلمية.
ابن فارس، أحمد، (1399 هـ)، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، مصر: دار الفكر.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (1416 هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1408 هـ)، البداية والنهاية، ت: علي شيري، ط 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1420 هـ)، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414 هـ)، لسان العرب، ط 3، بيروت: دار صادر.
الألباني محمد ناصر الدين الألباني (1421 هـ)، صحيح الترغيب والترهيب، ط 1، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (1407 هـ)، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، ط 3، بيروت: دار ابن كثير.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، (1418 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط 1، بيروت: دار إحياء التراث العربية.

الترمذي، محمد بن عيسى، (1998 م)، سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.

التميمي، عبد الرحمن بن حسن، (1377 هـ)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ت: محمد

- حامد الفقي، ط 7، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.
- الجكني، محمد الخضر بن سيد، (1415 هـ)، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (1407 هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، بيروت: دار العلم للملايين.
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، (1411 هـ)، المستدرک علی الصحيحین، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1412 هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، ط 1، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السعدي عبد الرحمان بن ناصر (1420 هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمان اللويحق، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الطبري، محمد بن جرير، (1422 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، مصر: دار هجر للطباعة والنشر.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (1426 هـ)، القاموس المحيط، ت: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، ط 8، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (1384 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، ط 2، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- القسطلاني، أحمد بن محمد، (1423 هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط 7، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- الماوردي، علي بن محمد، (1986 م)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة.
- المروزي، الحسين بن الحسن، البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره)، ت: محمد سعيد بخاري،

الرياض: دار الوطن.

النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، بيروت: دار الندوة الجديدة.
النسفي، عبد الله بن أحمد، (1419 هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي
بديوي، ط1، بيروت: دار الكلم الطيب.

محمد بن قطب بن إبراهيم، منهج التربية الإسلامية، ط6، القاهرة، دار الشروق.
مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت:
دار إحياء التراث العربي.

نخبة من العلماء، (1421 هـ)، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط1، المملكة العربية
السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

القرآن ومشكلة الفقر

عبد العزيز الحديوي بن الحسن

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

فاس - المغرب

aalhakim36@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: ابن الحسن، عبد العزيز الحديوي، القرآن ومشكلة الفقر، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 298-323.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0199>

الملخص:

إن المشكلات التي تعاني منها الأمم ومنها الأمة الإسلامية كثيرة، ومن أهمها: المشكلة الاقتصادية والتي يعد الفقر وجهها البارز؛ ويعتبر من المشاكل الخطيرة التي تهدد استقرار المجتمعات، وقد يؤدي إلى انهيارها وتفككها، وله آثار سلبية كثيرة على الفرد والمجتمع، منها: ارتفاع معدلات الجوع والبطالة والجريمة. كون القرآن الكريم شفاء للناس، ومُخْرِجًا للبشرية من العذاب إلى الرحمة ومن الضيق إلى السعة، كيف عالج هذه الآفة العصبية؟ وما الوسائل التي شرعها للقضاء عليها؟ هذا ما يسعى البحث للإجابة عنه باختصار.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ مشكلة؛ الفقر.

Qur'an and the problem of poverty

Abdel Aziz Al-Haddioui bin Al-Hassan

Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez, Morocco

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: bin Al-Hassan, Abdel Aziz Al-Haddioui, Qur'an and the problem of poverty, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1)• September 2025:298-323.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0199>.

Abstract:

The problems facing nations, including the Islamic Ummah, are numerous, the most important of which is the economic problem, of which poverty is a prominent feature. This is considered a serious problem that threatens the stability of societies and can lead to their collapse and disintegration. It has numerous negative effects on individuals and society, including rising rates of hunger, unemployment, and crime. Considering Holy Quran as a cure for humanity, a deliverance from torment to mercy and from distress to abundance, how has it addressed this dire scourge? What methods has it prescribed to eradicate it? This is what this research seeks to briefly answer.

Keywords: Quran; Problem; Poverty.

المقدمة:

من المشاكل المستعصية التي تواجه الإنسان مشكلة الفقر. عانت منه البشرية منذ زمن بعيد ضارب في أغوار التاريخ وحاولت أن تجد له الحلول للتخفيف من وطأته على الفقراء بطرق مختلفة. أشار إليه القرآن الكريم في مواضع مختلفة منها قوله تعالى: ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ (1) إِلَّا يَلَا فِهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)﴾. (قريش: 1-4). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (فصلت: 151)، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 31). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أصبح آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده طعام يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» (1).

ما أسبابه وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع؟ وكيف عاجله القرآن الكريم؟ هذا ما سأحاول من خلال البحث الجواب عنه.

أهمية الموضوع: مستمدة من المبحوث فيه وهو مشكلة الفقر وآثاره على الفرد والمجتمع وكيف عاجله القرآن الكريم؟

إشكالية البحث: تلخص في كون الفقر من المشاكل العويصة التي تعاني منه البشرية، فهل قدم القرآن الكريم وسائل ناجعة لعلاجها والقضاء عليه؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى بيان أسباب الفقر وآثاره على الفرد والمجتمع والكيفية التي سعى القرآن الكريم من خلالها لعلاجها والقضاء عليه ورعاية حقوق الفقراء وصيانة كرامتهم في ظل الشريعة الإسلامية الغراء.

المنهجية: فرض علي موضوع البحث اعتماد المناهج الآتية:

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من أصبح آمناً في سربه، 1/112.

- الاستقراء: لتتبع أقوال العلماء ابتداء من الصدر الأول للإسلام إلى العصر الحاضر.
 - التحليل: لتحليل حججهم وأدلتهم.
 - لتاريخ: للنظر في مختلف عصور الإسلام والوقوف على الكيفية التي عالج بها مسؤولو الدولة الإسلامية استناداً إلى القرآن الكريم ظاهرة الفقر.
- خطة البحث:** جعلت البحث في مقدمة ومبحثين وتحت كل منهما مطلبان.
- المبحث الأول: الفقر: المفهوم والأسباب والمظاهر.
- المبحث الثاني: القرآن الكريم والحلول العلاجية لمشكلة الفقر
- خاتمة: تشتمل على أهم الملاحظات والنتائج.

المبحث الأول

الفقر: المفهوم والأسباب والمظاهر

يعد الفقر من الابتلاءات التي يُبتلى بها الإنسان، ومن المشاكل العويصة التي يعاني منها الفرد والمجتمع، وقد ورد ذكر مصطلح "الفقر" في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة منها: قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 268). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: 15). وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: 24).

جدير بالذكر أن القرآن تحدث عن ثلاثة أنواع من المحتاجين وهم: الفقراء والمساكين والمتعفّفون.

المطلب الأول: تعريف الفقر لغة واصطلاحاً.

1. الفقر لغة:

الفقر في اللغة العوز والحاجة. والفقير بمعنى: المحتاج، وهو ضد الغنى. قال ابن منظور: "والفقر: الحاجة، وفعله الافتقار، والنعث فقير"⁽¹⁾. قال ابن منظور: "الفقر الذي له بلغة من العيش"⁽²⁾.

2. الفقر اصطلاحاً

تعريف الفقر عند علماء الإسلام شرعاً، ارتبط بأرائهم في موضوع الصدقات، وتوزيعها على مستحقيها، ذلك أن "الفقر" هي الصفة الأولى التي يستحق المتّصف بها أن تصرف إليه الصدقات.

وقد اختلف العلماء في معنى الفقر وحده إلى أقوال منها:

1. الفقر عدم ملك نصاب الرّكاة، لأنّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمَّى مَنْ مَلَكَ النَّصَاب

(1) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، 60/5.

(2) المصدر السابق، 60/5.

غنيًا، بدليل قوله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حينما أرسله إلى اليمن: "فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم" (1). ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصف الذين تؤخذ منهم الزكاة بالغني، والذين تُدفع إليهم بالفقر، علما أن الزكاة تجب على مَنْ ملك النِّصاب، فإذا كان الأغنياء هم أهل النِّصاب؛ فمعناه أن الفقراء ضدهم. من أصحاب هذا القول الإمام أبو حنيفة.

2. حدُّ الفقر: ألا يملك الإنسان ما يكفيه من المال، والغني عكس ذلك تمامًا. من أصحاب هذا القول الإمام مالك والشافعي رحمهما الله.

باختصار شديد: اختلفت أقوال العلماء في تعريف الفقر واستند كل فريق إلى أدلة شرعية. وفي اصطلاح الاقتصاديين له أيضا معان متعددة منها:

1. انخفاض دخل الفرد عن مستوى معيّن في السّنة.

2. دخل الفرد لا يفي بحاجاته الاقتصادية.

3. الفقر يعني انخفاض مستوى المعيشة.

4. الفقر العجز عن تلبية الحاجات الضرورية.

أما الأمم المتحدة فقد عرفت الفقير بكونه: الشخص الذي يعيش تحت خط الفقر المدقع والبالغ \$1.9 دولارًا في اليوم.

ملاحظة: رغم اختلاف تعريف الفقر عند علماء الشريعة وكذا الاقتصاديين إلا أن مفهومه في نظري واحد، وهو عدم امتلاك الإنسان ما يكفيه من المال لسد حاجاته الأساسية.

5. المرادفات القرية من مصطلح الفقر:

1. المسكين: قال ابن منظور المسكين: "الذي لا شيء له" (2). وهو "أسوأ حالًا من

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع، 128/2.

(2). المصدر السابق، 60/5.

الفقير" (1).

3. المتعففون: هم فقراء، غير أنهم يُخفون فقرهم ولا يظهرونه لأحد من شدة التعفف، وقد أشار إليهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: 273). وذكر القرآن الكريم نوعين آخرين يجوز إعطاء الصدقة لهما، وهما: السائل الذي يطلب الصدقة، وفي الغالب يكون سؤاله حاجة مؤقتة، وابن السبيل، بغض النظر عن كونه فقيرا فعلا أو غنيا.

اختلف الفقهاء والمفسرون في معنى الفقير والمسكين والفرق بينهما. على سبيل المثال قال الماوردي: "الفقير الذي له ما لا يكفي، والمسكين: الذي ليس له شيء يسكن إليه" (2). وقيل: الفقر: عدم امتلاك الإنسان ما يكفي من المال، مع عدم قدرته على الكسب.

المسكين: الذي لا يمتلك ما يكفي من مال، لكنه قادر على العمل والكسب. المتعفف. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، واقروا إن شئتم» يعني قوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: 273) (3).

المطلب الثاني: أسباب الفقر وآثاره.

الفقر له أسباب مختلفة، بعضها عقدي وبعضها مادي، وله مظاهر وأثار كذلك.

أولاً: أسباب الفقر.

وهي كثيرة منها:

1. سبب عقدي.

(1) المصدر السابق، الب، 5/60.

(2) الماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون، 2/375.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، 6/32.

ويتجلى في الانحراف عن الكسب الطيب؛ وما يدل على ذلك؛ قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: 96).
كما أنه اختبار وابتلاء: قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 155).

2. سبب مادي.

الأسباب المادية كثيرة جداً أذكر منها ما يأتي:

1. الحروب⁽¹⁾.

تسبب الحروب في هروب كثير من الأسر من أوطانها، وتترك وراءها منازلها ووظائفها وسائر أعمالها، كما أنها بصفة عامة تقلل من الناتج القومي وتخفيض عدد المستثمرين والعاملين في مختلف القطاعات، وهو ما يترتب عليه ضعف شديد في تقديم الخدمات الأساسية والاستفادة منها مثل: التعليم والمياه والصحة ... مما يتسبب في انتشار الفقر بشكل كبير.

2. الكوارث الطبيعية:

منها الزلازل والفيضانات والجفاف، فهي تؤثر بشكل كبير على المجتمعات، ذلك أن معظم الناس يعتمدون بشكل أساسي على الزراعة وتربية المواشي والصيد، ويملكون قوتاً محدوداً لا يكفيهم لمواجهة آثار هذه الكوارث التي تمتد عادة لوقت طويل مما يتسبب في فقرهم.

3. تدني الأجور:

انعدام الدخل أو انخفاضه يعد من العوامل المتسببة في الفقر، ذلك أن كثيراً من الأفراد يضطرون للاشتغال في أعمال ذات أجور منخفضة لا تلي حاجاتهم ولا تغطي نفقاتهم

(1) سبق لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي بالتعاون مع " مبادرة أكسفورد حول الفقر والتنمية البشرية"، أن أكد أن أكثر من مليار شخص في العالم يعانون من الفقر الحاد، كما أن معدل الفقر يزداد ويتفاقم في الدول التي تشهد حروباً.

مما يتسبب في الفقر.

باختصار: أسباب الفقر كثيرة، وما ذكرته على سبيل المثال فقط، وهو غيظ من فيض. الفقر مشكلة عويصة، وتتسبب في آفات عديدة تؤثر سلباً على الفرد والمجتمع وهو ما سأتناوله في المطلب الآتي.

الفقر ولا شك من المصائب التي قدّر الله وقوعها على شخص بعينه أو أسرة أو مجتمع بأكمله، وله آثار سيئة على الفرد والمجتمع على السواء، لذلك استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «وأعوذ بك من شر فتنة الفقر، وشر فتنة الغنى»⁽¹⁾.

ثانياً: آثار الفقر.

للفقر آثار سلبية كثيرة على الفرد والمجتمع.

1. آثاره على الفرد.

1. القتل: ذكر الله تعالى أن المشركين كانوا يقتلون أولادهم فلذة أكبادهم بسبب الفقر

الذي يعيشونه، أو خشية أن يصيبهم الفقر.

فيما يخص الصنف الأول قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: 151)، وفي الصنف الثاني قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الإسراء: 31).

2. الزنا: ورد في الصحيحين قصة المرأة من بني إسرائيل التي احتاجت إلى المال وكانت

في ضيق وشدة، فلجأت إلى ابن عمها الذي راودها عن نفسها ليسد حاجتها من المال، وقد نجاها الله تعالى بعد أن ذكرته وخوفته.

في وقتنا الراهن أيضاً نجد هذه الآفة الخطيرة مرتبطة بأسباب مختلفة منها الفقر، لذلك نلاحظ انتشارها بكثرة في المناطق المعتمدة والفقيرة.

4. الردة: يستغل كثير من المنصرين الفقر وقلة ذات اليد، لنشر النصرانية وإخراج الفرد

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، 2078/4، والسنن الكبرى للنسائي، 215/7.

من الملة، وهذا واقع مشاهد في الدول الإفريقية على سبيل المثال.

5. سوء التغذية: الفقير يعاني من انعدام الغذاء أو قلته، كما أنه لا يكون صحيًا في الغالب وإن وجد، مما يؤثر سلبيًا على صحة المرء، ويتسبب في تفشي الأمراض المختلفة، وهذا يظهر بوضوح في شعوب بلدان العالم الثالث كدول أفريقيا وبعض دول آسيا.

3. آثاره على المجتمع

يتسبب الفقر في عدة آثار سلبية منها: الأمية والجهل والانحلال الخلقي والحد والكراهية بين طبقات المجتمع وانتشار الجرائم بأشكالها المختلفة مما يؤدي إلى الاضطرابات والثورات، وقد يتسبب في انهيار المجتمع بأكمله.

1. انتشار الجهل والأمية.

يتسبب الفقر في الهدر المدرسي نتيجة اهتمام العائلات وبحثها عن دخل إضافي لفائدة الأسرة لسد حاجياتها فتنتشر الأمية والجهل. ويكون الأطفال عادة الفئة الأكثر تضررا، لأنهم يغادرون المدرسة في سن مبكرة ليساعدوا أسرهم في الدخل والنفقات.

2. انتشار الأمراض والأوبئة

ضعف القدرة المادية تجعل الفقراء عموما لا يمتلكون التكاليف اللازمة للعلاج والاستشارات الطبية وشراء الأدوية، مما يساهم في انتشار الأمراض والأوبئة في المجتمع.

3. التشرد

الفقراء لا يستطيعون الحصول على مسكن يأويهم وأسرهم، لذلك يتشردون ويعيش كثير منهم في الشوارع والملاجئ.

4. التسول

الفقر يدفع الشخص إلى اتباع طرق سيئة للحصول على حاجاته منها التسول.

5. الطلاق⁽¹⁾.

الفقر يزيد من حالات الطلاق في المجتمع بسبب عجز الرجل على توفير حاجات أسرته ومتطلباتها.

6. انتشار العنف في المجتمع

الشعور بالفقر والحرمان له أثر سلبي على النفس البشرية، ويشكل بؤرة مناسبة يترعرع فيها الحقد على المجتمع، وهذه العوامل تدفع إلى الصراع والاضرابات التي تهدد المجتمع بأسره وتندثر بتفككه.

وعليه فالفقر له آثار سلبية عديدة على الفرد والمجتمع وما ذكرته غيض من فيض، وهو على سبيل المثال لا الحصر، فكيف عاجله القرآن الكريم ؟ هذا ما سأتناوله في المبحث الآتي.

(1) يساهم الفقر في تزايد الطلاق وهذا ملاحظ في المحاكم، حيث أن كثيرا من حالات الطلاق يكون الدافع وراءها الفقر.

المبحث الثاني

القرآن الكريم والحلول العلاجية لمشكلة الفقر

سلك القرآن الكريم في علاج مشكلة الفقر طرقاً متنوعة؛ منها: ما هو عقدي إيماني، سأذكر بعضها في المطلب الأول، ومنها ما هو مادي عملي، ومطلبه هو الذي سأخصص له الحيز الأكبر، ذلك أن الإسلام دين عمل واتخاذ الأسباب وليس فقط تنظير روحي.

المطلب الأول: المسالك العقدية الإيمانية

من الوسائل التي أوردتها شرعنا الكريم لعلاج مشكلة الفقر ومحاربتها:

1. تعليم الناس الاعتقاد الصحيح.

إن الله تعالى هو الرزاق الكريم بيده خزائن السماوات والأرض. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود:6). وقال تعالى: ﴿أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ جُبُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (الملك:21). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات:58)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:70).

من الثمار الطيبة لهذا الاعتقاد الصحيح، أن يصبر الإنسان على المصائب التي تصيبه ومنها الفقر فيرضى بقضاء الله تعالى ويلجأ إليه سبحانه لطلب الرزق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له»⁽¹⁾.

ويتضح الأثر الطيب لهذه العقيدة، عندما ننظر في واقع المجتمعات غير الإسلامية كاليابان مثلاً، حيث أشارت بعض الإحصاءات أن في سنة 2003م انتحر في هذا البلد ثلاثة وثلاثون ألفاً (33000) بسبب البطالة والكساد الاقتصادي الذي عاشته اليابان

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، 4/2295.

ويعتبر الأسوأ منذ خمسين عامًا، وتسبب في ارتفاع معدلات البطالة إلى مستويات غير مسبوقة.

2. الإيمان بالله

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: 96)، ويقول أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 72).

يقول تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِفُونَ﴾ (الذاريات: 22-23). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: 6).

3. الدعاء والاستغفار:

من وسائل محاربة الفقر وجلب الرزق. يقول الله تعالى: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: 10-12). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى، وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود: 2-3).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيز من الفقر ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت»⁽¹⁾.

4. الاستعاذة بالله تعالى من الفقر.

ورد في السنة المطهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيز بالله تعالى من الفقر بسبب أثره السيء على الفرد والمجتمع عمومًا.

عن مسلم بن أبي بكر، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو في

(1) أبو داود، مسند أبي داود، 199/2.

أثر الصلاة: " اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر " (1).
عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر» (2).

المطلب الثاني: الأخذ بالأسباب

لا يجوز شرعاً أن يعيش فرد في المجتمع الإسلامي - ولو كان من أهل الذمة - عارياً أو جائعاً أو مشرداً، ولتحقيق هذه الأهداف اتخذ الإسلام مجموعة من الأسباب المادية منها:

1. الحث على العمل والكسب.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: " العمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر، وهو السبب الأول في جلب الثروة، وهو العنصر الأول في عمارة الأرض التي استخلف الله فيها الإنسان " (3).

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون في البحر والبر ولا يقعدون عن طلب الرزق، كالطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً كما ورد في الحديث النبوي، كما رأينا في أئمة الإسلام وعلمائه من سارت بذكرهم الركبان وخلدتهم آثارهم ومؤلفاتهم العلمية، من نسب إلى حرف وصناعات كانوا يمتهنونها ومنهم على سبيل المثال: الزجاج والجصاص والبخاري والقفال والخياط وغيرهم.

هذا من جهة الفرد، ومن جهة المجتمع ينبغي على مسؤوليه أن يجندوا كل طاقاتهم ويستخدموا كل ما يملكون من إمكانيات وثروات للقضاء على الفقر وتحطيم أنيابه الكاسرة.

(1) ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد، 430/17. والنسائي، السنن، 262/8. وابن حبان، صحيح ابن حبان، 303/3. وابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، 367/1.

(2). صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر مطبعة: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ. باب التعوذ من المأثم والمغرم الجزء 8 صفحة 79

(3) القرضاوي، يوسف، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص 139.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الجمعة آية 10 وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ سورة الملك آية 15.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» (1). وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده» (2).

إذا نظرنا في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم سنجد فيها العديد من النصوص التي دعت إلى العمل وحثت عليه ورفعت شأنه وقدره. الأنبياء أفضل البشر على وجه الأرض لم يتواكلوا ويخدموا إلى الراحة والكسل بل عملوا واجتهدوا وأكلوا مما جنته أيديهم. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» (3).

قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ حَتَّى» (4). الإسلام لم يرض للإنسان الدونية والعيش على الصدقات والهبات لذلك حثه على العمل والكسب ليبقى عزيزاً كريماً.

2. تحريم الربا والميسر والمال الحرام.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: 278-279)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ

(1) البخاري، صحيح البخاري، 123/2.

(2) المصدر السابق باب كسب الرجل وعمله بيده، 57/3.

(3) المصدر السابق، الباب رعي الغنم على قراريط، 88/3.

(4) المصدر السابق، 123/2.

وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (المائدة: 90).

عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني» (1).

هذه الأمور عند وجودها وانتشارها في المجتمع تتسبب في أخذ أموال الناس بالباطل وتجعلهم فقراء لا يملكون شيئاً، لذا جاءت النصوص البينة بتحريمها، مما يدفع الإنسان إلى تحصيل الرزق عن طريق العمل والكسب المشروع كالتجارة والزراعة والصناعة. إن القرآن الكريم في منعه الربا وكنز الأموال، يدفع بأصحاب هذه الأموال لاستثمارها في أعمال مشروعة ومنتجة، وهو ما يساهم في إيجاد فرص جديدة للعمل ويساعد في القضاء على الفقر، بالإضافة إلى انتقال صاحب رأس المال من شخص عاطل عن العمل، ومن علقته مريضة تمتص دم غيرها لتعيش، إلى إنسان عامل منتج بشخصه.

3. الزكاة.

الزكاة وسيلة من وسائل توزيع الدخل وتفتيت الثروة لصالح الفقراء والمحتاجين، ومن وسائل علاج مشكلة الفقر بل والهدف الأول منها هو إغناء الفقراء والمساكين الذين هم أول مصارف الزكاة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (التوبة: 60).

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالزكاة والدليل أنه أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن لأخذها من الأغنياء وردها على الفقراء. وتعد من وسائل محاربة التفاوت الفاحش بين الطبقات، فالإسلام يسعى إلى عدالة التوزيع، وتقارب الملكيات في المجتمع.

في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال: "أوصي الخليفة من بعدي بكذا وكذا، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام: " أن يؤخذ من حواشي

(1). مسلم، صحيح مسلم، الجزء 1 صفحة 99.

أموالهم فيرد على فقرائهم" (1). في الحديث النبوي قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء» (2).

قال ابن حزم الظاهري: "وحكم مانع الزكاة إنما هو أن تؤخذ منه أحب أم كره، فإن مانع دونها فهو محارب، فإن كذب بما فهو مرتد" (3). وقال ابن قدامة المقدسي: "أدلة وجوب الزكاة ظاهرة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فلا تكاد تخفى على أحد ممن هذه حاله، فإذا جحدوها لا يكون إلا لتكذيبه الكتاب والسنة، وكفره بهما" (4).

الزكاة ليست حقاً موكولاً للأفراد يؤديه من شاء ويتخلى عنه من ضعف إيمانه ويقينه في الآخرة، كلا إنها مسؤولية تشرف عليه الدولة جباية وصرفاً. قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم﴾ (التوبة: 103). قال ابن حجر العسقلاني: "الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها إما بنفسه وإما بنائبه فمن امتنع منها أخذت منه قهراً" (5).

يروى عن الحسن البصري قوله: "كانوا يعطون الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من الفرس والسلاح والخدم والدار" (6). السبب أن هذه الأشياء ضرورية ولا بد منها وليس المقصود من الزكاة إعطاء المعدم فقط بل أيضاً إعطاء من لا يجد ما يكفيه. لا يعتد أيضاً بالقوة البدنية إذا لم يكن معها كسب يكفي لأن القوة البدنية لا تطعم من جوع ولا تكسو من عري.

(1) الهروي، القاسم بن سلام، كتاب الأموال، 298/1.

(2) ابن ماجة، محمد بن يزي، سنن ابن ماجة، 1332/2، الطبراني، وسليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، 61/5.

(3) ابن حزم الأندلسي، المحلى بالآثار، 290/12.

(4) ابن قدامة المقدسي، المغني، 428/2.

(5) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 360/3.

(6) الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 48/2.

القصد من الزكاة القضاء على الفقر وإغناء الفقير حتى لا يحتاج إلى الزكاة مرة أخرى، وهو ما أكدّه الفاروق عمر بن الخطاب بقوله: "إذا أعطيتم فأغنوا" (1).

لم يكن هذا خاصاً بالمسلمين وحدهم بل بجميع من يعيش في ظل دولتهم ولو كانوا غير مسلمين كاليهود والنصارى.

الزكاة أول تشريع منظم يسعى إلى توزيع الثروة لصالح الفقراء، والدولة هي المسؤولة على جمعها بواسطة موظفين تعينهم لهذا الغرض ثم تتولى إنفاقها في المصاريف المخصصة لها.

4. الخزانة العامة أو بيت مال المسلمين.

قد تضيق الزكاة عن سد حاجة الفقراء، وهنا لا تبقى الدولة تتفرج على معاناتهم بل تلجأ لبيت المال أو الخزانة العامة للقضاء على الفقر، فبيت المال ليس ملكاً لأمر أو حاكم أو فئة خاصة بل هو ملك لجميع أفراد المجتمع. مما يدل على ذلك قول الإمام الشوكاني: "الإمام كسائر الناس لا فضل له على غيره في تقديم ولا توفير نصيب" (2).

هذا ليس للمسلمين فحسب بل حتى لغير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي، ومما يؤكد هذا الأمر نص المعاهدة التي صالح فيها خالد بن الوليد أهل الحيرة بالعراق وكانوا نصارى حيث قال: "وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين" (3).

مما يؤكد هذا الأمر قول عمر بن الخطاب الذي وجد رجلاً مسنناً من أهل الذمة

(1) ابن سلام، أبو غبيد القاسم، كتاب الأموال، 676/1.

(2) الشوكاني، نيل الأوطار، 85/8.

(3) ابن حبة، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، 157/1.

يتسول فقال له: "ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شببتك ثم ضيعناك في كبرك"⁽¹⁾. مسؤولية الإمام ليست مقصورة على البشر فقط بل تمتد في نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى الحيوان ومن أقواله الرائعة: "لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه"⁽²⁾. مما تجدر الإشارة إليه أن عمر بن عبد العزيز رغم قصر ولايته استطاع القضاء على الفقر.

يقول ابن حزم الظاهري: "وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين"⁽³⁾.

5. نظام الإرث في الإسلام⁽⁴⁾.

إن الناظر في نظام الإرث سيلاحظ أنه يفتت الثروة ولا يكسدها في يد واحدة، ذلك أن التركة بعد وفاة الموروث لا يستفيد منها شخص واحد في الغالب بل تنتقل إلى أياد متعددة: بمعنى أشخاص وأجناس وأنواع مختلفة من الأقارب بل حتى الأجانب كالموصى لهم فالتركة تتوزع بين أكبر عدد من الناس، بذلك يقضي على الرأسمالية. كما أن الإرث يحمي المستضعفين من الأطفال والنساء. للمرأة نصيب من التركة سواء كانت أما أو أختا أو زوجة أو بنتا... بذلك حفظ كرامتهن وحياتهن وحال بينهن وبين الفقر والذل وعصمهن من الانزلاق إلى مهاوي الرذيلة.

كذلك الطفل الصغير والحمل في بطن أمه له نصيبه مثل الكبير، ولم يفضل الابن

(1) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، 144/1. والصَّلَائي، علي محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 137/2. والصَّلَائي، علي محمد، معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج 58/1.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 232/3.

(3) ابن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، 281/4.

(4) الإرث لم يكله الله تعالى لملك مقرب ولا نبي مرسل، بل تولى قسمته بنفسه في كتابه العزيز، لذلك فإن أحكامه في غاية الدقة والإعجاز فسبحان الله أعظم المشرعين!

الأكبر على غيره أو يميزه عن باقي أفراد الأسرة كما درجت على ذلك بعض النظم التي جعلت المال كله للابن الأكبر. النساء والصغار هم في الحقيقة أحوج إلى تركة أبيهم من إخوانهم الكبار الذين تمرسوا على العمل والكسب ويكونون في الغالب قد جمعوا ما يؤمنون به حياتهم بخلاف إخوانهم الصغار وأخواتهم.

غير أن نصيب البنت يعادل نصف أخيها، لأن حاجته إلى المال أكبر من حاجتها إليه، فعليه تكوين أسرة والإنفاق عليها وعلى والديه إن كانوا محتاجين، أما البنت فنفتها على أبيها ما دامت في بيته، وعلى زوجها إذا انتقلت إلى بيت الزوجية، لذلك فنفتها مكفولة في جميع الأحوال وما تأخذه من صداق وميراث يبقى محفوظاً لنوائب الدهر.

بهذا يتجلى الإعجاز التشريعي في الميراث الإسلامي ويتميز عن جميع الأنظمة الوضعية المختلفة ويتفوق عليها في كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية، كيف لا وهو شريعة الله تعالى: ﴿أَفْخُكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمِنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: 50).

6. الصدقات والتكافل الاجتماعي

نبه القرآن الكريم إلى وحدة الأمة الإسلامية وتلاحم أبنائها، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ (المؤمنون: 52).

كما أمر أفراد المجتمع بالتعاون على البر والتقوى فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: 2). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبا: 39). وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ (المزمل: 20). وفي الحديث النبوي الشريف أخبرنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، 53/7.

والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»⁽¹⁾.
صحيح الأصل أن يحارب كل فرد الفقر بنفسه عن طريق العمل والسعي، لكن ما ذنب
العاجزين عن العمل كالأرامل والصبيان والشيخ والمرضى والذين أصابتهم الكوارث كالزلازل
والفيضانات وأقعدتهم عن الكسب؟

7. التكافل الاجتماعي.

يمكن أن يتحقق في صورتين:

• على صعيد الأفراد.

القرآن الكريم أمر بالإففاق على الأقارب وعلى أولي الأرحام. قال تعالى: ﴿وَأُولُوا
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الأنفال:75). وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا
يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة:215). عن عائشة رضي الله
عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني
وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»⁽²⁾.

قال ابن القيم الجوزية: "فأي قطيعة أعظم من أن يراه يتلظى جوعاً وعطشاً ويتأذى
غاية الأذى بالحر والبرد ولا يطعمه لقمة ولا يسقيه جرعة ولا يكسوه ما يستر عورته ويقيه
الحر والبرد ويسكنه تحت سقف يظله"⁽³⁾.

وقال ابن قدامة المقدسي: "وتجب نفقة القريب مقدرة بالكفاية؛ لأنها تجب للحاجة،
فيجب ما تندفع به"⁽⁴⁾.

قال الدكتور يوسف القرضاوي: "لقد جعل الإسلام ذوي القربى متضامنين متكافلين،

(1). المصدر السابق، 9/8.

(2) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 1981/4.

(3) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، 489/5.

(4) — بن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ). الكافي في فقه الإمام أحمد. مطبعة: دار الكتب العلمية
الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م باب نفقة الأقارب الجزء 3 صفحة 242.

يشد بعضهم أزر بعض، ويحمل قلوبهم ضعيفهم، ويكفل غنيهم فقيرهم، وينهض قادرهم بعاجزهم⁽¹⁾.

هذه النصوص عمومًا تبين أن للقريب على قريبه حقوقًا أكبر من غيره لما بينهما من أواصر القرابة والنسب والرحم.

والخلاصة: كفالة الأقارب من أهم وسائل علاج مشكلة الفقر.

• على صعيد الدولة.

أولوا الأمر والمسؤولون في الدولة ينبغي عليهم شرعًا توزيع أموال الزكاة والفىء، ورعاية الفقراء والمحتاجين عمومًا بكل الوسائل المتاحة حتى ينقذوهم من الفقر.

بالإضافة إلى ما ذكرته هناك وسائل أخرى كثيرة اعتمدها القرآن الكريم للقضاء على الفقر منها:

أ. الاستخدام الرشيد للثروات والموارد الطبيعية التي سخرها الله تعالى للإنسان.

ب. تجنب الإسراف والاقتصاد في النفقات، والادخار والاستثمار.

8. الكفارة:

يفرض القرآن الكريم أحيانًا كثيرة في الكفارة، تحرير رقبة، وإطعام مساكين كالتقصير في أداء فريضة الصيام على سبيل المثال وكفارة اليمين. يقول الله تعالى: ﴿لَا يَأْخُذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يَأْخُذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المائدة: 91). الكفارة تساهم في القضاء على الفقر.

9. الوقف الخيري.

يسمى أيضًا الصدقة الجارية يبقى نفعها دائمًا ويلحق أجرها صاحبها حتى بعد وفاته ورحيله من هذه الدنيا الفانية. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد

(1) القرضاوي، يوسف، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص 55.

صالح يدعو له « (1).

الوقف الخيري كان له أثر ملموس وواضح في كافة المراحل من تاريخ أمتنا الإسلامية، وكانت متنوعة وواسعة فقد كانت عبارة عن مستشفيات يعالج فيها المرضى مجاناً ودوراً سكنية تأوي المشردين والمحتاجين، لقد تتبع المسلمون مواضع الحاجات في المجتمع مهما صغرت وخفيت فوقفوا لها منها : أوقاف للعميان واليتامى والعجزة واللقطاء، إلى درجة أنهم عينوا أوقافاً للحيوانات المريضة وأخرى لإطعام الكلاب الشاردة. يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "وقف في عدة جهات ينفق من ريعه على إطعام الكلاب التي ليس لها صاحب استنقاذاً لها من عذاب الجوع" (2).

خاتمة بأهم النتائج

- لا يمكن للقرآن الكريم أن يعالج مشكلة الفقر في مجتمع يحكمه نظام وضعي مستورد من الشرق أو الغرب. خذوا الإسلام جملة أو دعوه جملة.
- نظرة القرآن إلى مشكلة الفقر وعلاجه له، تجعله مذهباً متميزاً عن كل المذاهب الوضعية التي يروج لها المروجون داخل البلدان الإسلامية وخارجها.
- مدح الزهد لا يعني مدح الفقر، ولا يوجد في القرآن آية واحدة تمدح الفقر.
- كان أغنياء الصحابة كعبد الرحمن بن عوف جنباً إلى جنب مع فقراء الصحابة كبلال، لا يستعلي غني على فقير ولا يحقد فقير على غني، جمعهم رحم الإسلام فكانوا بنعمة الله إخواناً.
- وجوب نفقة الفقير على قريبه الغني تعتبر اللبنة الأولى في بناء التكافل الاجتماعي ووسيلة لمحاربة الفقر.
- الفقر من أخطر الآفات على عقيدة المسلم فهو أخ الكفر.

(1) الدارمي، أبو محمد، سنن الدارمي، ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، 122/4، الشافعي، مسند الإمام الشافعي، 13/2.

(2) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ص292.

- الغني والفقر من الله تعالى والمسلم يعلم ذلك فيشكر الله تعالى في السراء ويصبر على الضراء، لكنه لا يستسلم للفقر والحاجة بل يعمل ويتخذ الأسباب لينتقل من حال إلى حال أفضل.
- الفقر يتسبب في آفات كثيرة كانتشار الجرائم والانحلال الخلقي والكراهية بين الطبقات، مما قد يتسبب في تفكك الأمة وانحيارها، لأنه كما يقال: "صوت المعدة أقوى من صوت الضمير".
- كفالة الأقارب من أهم وسائل علاج مشكلة الفقر.
- ما ينطبق على الفرد في توزيع الثروة والتكافل الاجتماعي، ينطبق على الدول، فلو أنفقت الدول الغنية من فائض أموالها على الدول الفقيرة لساهمت بشكل أساسي في القضاء على الفقر.
- اعتمد القرآن الكريم وسائل متعددة لعلاج مشكلة الفقر بالإضافة إلى ما ذكرناه منها الكفارة والمكاتب.

المصادر والمراجع

- البخاري، محمد إسماعيل، (1989)، *الأدب المفرد*، ط3، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت: دار البشائر الإسلامية.
- البيهقي، أبو بكر، (2003)، *شعب الإيمان*، ط1، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتحرير أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند مطبعة: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
- ابن حبان، (1988)، *صحيح ابن حبان*، ط1، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة..
- ابن حبة، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن المكتبة

الأزهرية للتراث.

ابن حجر، العسقلاني، (1379هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.
ابن حزم، الظاهري، المحلى بالآثار، بيروت: دار الفكر.

ابن خزيمة، أبو بكر النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي،
بيروت: المكتب الإسلامي.

الدارمي، أبو محمد، (2000)، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط1،
المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

ابن سعد، (1990)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار
الكتب العلمية.

ابن سلام، أبو غنيد القاسم، كتاب الأموال، المحقق: خليل محمد هراس. بيروت: دار الفكر.
الشافعي، محمد إسماعيل، (1951)، مسند الإمام الشافعي، رتبته على الأبواب الفقهية:
محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري،
تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطين: السيد يوسف علي
الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسني، لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت.

الشوكاني، محمد علي، (1993)، نيل الأوطار، ط1، تحقيق: عصام الدين الصبابطي،
مصر: دار الحديث.

الصَّلَافِي، علي محمد، (2006)، معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة،
ط1، مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصَّلَافِي، علي محمد، (2008)، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانحيار، ط2،
لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد
المحسن بن إبراهيم الحسني. القاهرة: دار الحرمين.

الطيالسي، أبو داود البصري، (1999)، مسند أبي داود، ط1، المحقق: الدكتور محمد بن

- عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر.
- ابن عساكر، (2000)، معجم الشيوخ، ط1، المحقق: الدكتور وفاء تقي الدين، دمشق: دار البشائر.
- ابن قدامة المقدسي، (1994)، الكافي في فقه الإمام أحمد، ط1، دار الكتب العلمية.
- ابن قدامة، المقدسي، (1994)، المغني، مكتبة القاهرة.
- القرضاوي، يوسف، (1979)، الإيمان والحياة، ط4، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرضاوي، يوسف، (1985)، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، لبنان: مؤسسة الرسالة بيروت.
- ابن قيم الجوزية، (1994)، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة..
- ابن قيم الجوزية، (1997)، أحكام أهل الذمة، ط1، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاعر بن توفيق العاروري، الدمام: رمادى للنشر.
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود، (1986)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن منظور، جمال الدين، ((1414هـ))، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.
- الماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت.
- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- النسائي، (2001)، السنن الكبرى، ط1، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شليبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

**الحلول الشرعية المقترحة
لمشكلة الفقر من خلال القرآن الكريم**

د. داود عبد الكريم زكريا

**مؤسس ومدير معهد البيان للدراسات العربية والإسلامية،
إلورن، نيجيريا.**

**وباحث دكتوراه في تخصص الفقه بقسم الشريعة
والدراسات الإسلامية، بجامعة الملك عبد العزيز،
جدة، المملكة العربية السعودية
drdaudabdulkareem@gmail.com**

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: زكريا، داود عبد الكريم، الحلول الشرعية المقترحة لمشكلة الفقر من خلال القرآن الكريم، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 362-324.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0200>

الملخص:

تعد مشكلة الفقر إحدى المشكلات التي تواجه الأمة قديماً وحديثاً؛ بل هي مشكلة عمّت بها البلوى في معظم بلاد المسلمين في العصر الحديث؛ إمّا بسبب انتشار البطالة وقلة العمل في هذه البلاد، وإمّا بسبب ما يحدث فيها من صراعات وحروبٍ أنشبت أظفارها لتهديد أمنها، واستقرارها، واقتصادها، وإمّا بسبب سيطرة شرذمة قليلة من رؤساء البلاد وحكّامها على ثرواتها وسوء توزيعها بين المواطنين. كل ذلك من العوامل الرئيسة المحتملة لانتشار الفقر في المجتمعات عبر العصور التاريخية.

فإذا استقرّنا القرآن الكريم بعمقٍ واستقصاءٍ بحثاً عن الحلول وطرق العلاج لمشكلة الفقر، وجدنا أنّ القرآن الكريم قد عالج الفقر - منذ أربعة عشر قرناً - بكلّ الطرق والوسائل الممكنة بدقة متناهية، وسدّ كلّ قنوات نفوذه وسبل انتشاره إلى الفرد والجماعة؛ حيث حثّ المسلمين على العمل والكسب الحلال، وأمرهم بالأخذ بالأسباب الشرعية الجالبة للرزق، وأرشدتهم إلى الحلول الناجحة التي بها يضمحلّ الفقر ويختفي في أوساط الأمة. ومن هنا تعرّضت هذه الورقة العلمية لدراسة مشكلة الفقر، وتسليط الضوء عليها، مبيّنة مفهومها، وأسباب انتشارها، ومدى اهتمام القرآن الكريم بحلّ مشكلة الفقر ورعاية الفقراء، ثمّ قدّمت ثلّة من الحلول الشرعية لمعالجة الفقر ومقاومته من خلال استقراء النصوص القرآنية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الحلول - مشكلة - الفقر - القرآن الكريم.

Proposed Shari'ah Solutions to the Problem of Poverty through Holy Qur'an

Dr. Daud Abdul Kareem Zakariyah

Founder and Director of Al-Bayan Institute for Arabic and Islamic Studies, Ilorin, Nigeria

PhD Researcher in Islamic Jurisprudence, Department of Shari'ah and Islamic Studies, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Zakariyah, Daud Abdul Kareem, Proposed Shari'ah Solutions to the Problem of Poverty through Holy Qur'an, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:324-362.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0200>.

Abstract:

Poverty is one of the challenges that has faced the Ummah throughout in the past, present and remains a widespread issue in most Muslim countries today. This is either due to the spread of unemployment and lack of job opportunities in these regions, or because of ongoing conflicts and wars that disrupt security, shake stability, and weaken economies. It is also exacerbated by the control of national wealth by a small group of rulers and officials, leading to poor distribution among citizens.

These factors have been major contributors to the spread of poverty in societies throughout historical periods.

When we delve deeply into Holy Qur'an, seeking solutions and methods of addressing the issue of poverty, we find that Qur'an—over fourteen centuries ago—addressed poverty comprehensively with precise measures. It closed off all pathways through which poverty could spread among individuals and communities as Qur'an encourages Muslims to work and earn lawful income, commands them to pursue the lawful means of sustenance, and guides them to effective solutions by which poverty can be reduced and eliminated from the society.

Hence, this paper examines the issue of poverty, shedding light on its definition, the causes of its spread, and the extent of Holy Qur'ān's concern with solving the problem of poverty and caring for the poor. It then presents a collection of Sharī'ah-based solutions to address and combat poverty, derived from a thorough study of various Qur'ānic texts.

Keywords: Solutions – Problem – Poverty – Holy Qur'ān.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين: نبينا وحبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن مشكلة الفقر من المشكلات الاقتصادية والظواهر الاجتماعية التي تعاني منها كثير من الأمم والشعوب الغابرة والحاضرة؛ ولم تسلم أمة من ويلاتها وشروها؛ لعموم بلواها، وعدم اختصاصها بأمة دون أخرى.

ولما كانت هذه الأمة من تلك الأمم التي ابتليت بمشكلة الفقر، وسرت فيها سرعان الدم في العروق، بشكل لا يتصور، تعتزم هذه الورقة دراسة مشكلة الفقر دراسة موضوعية استقرائية من خلال القرآن الكريم، بحثاً عن حلولها، والطرق المثلى لعلاجها ومكافحتها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث فيما يأتي:

1. أنه تناول مشكلة من مشكلات الأمة، وأصل لها، وعالجها بما يروي الغليل ويشفي العليل؛ ألا وهي مشكلة الفقر التي تعاني منها هذه الأمة منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا.
2. أنه دراسة استقرائية مركزة لموضوع "الفقر" في ضوء القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع ل:

1. لما له من الأهمية العلمية القصوى في تشخيص مشكلة الفقر وتقديم الحلول الناجحة لها.

2. أنه يدرس ويعالج إحدى مشكلات الأمة المتمثلة في مشكلة الفقر.

3. أنه يمت بصلة إلى تخصص الشريعة والدراسات القرآنية والاقتصادية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى مجموعة من الأهداف، منها:

1. تعميق الدراسة والبحث في موضوع الفقر تعريفًا وتأصيلًا.
2. الوقوف على مدى اهتمام القرآن الكريم بعلاج الفقر ورعاية الفقراء.
3. الوقوف على الأسباب والعوامل الجالبة للفقر إلى الفرد والجماعة.
4. طرح الحلول الشرعية التي تسهم في مكافحة الفقر ومنع انتشاره في المجتمع من خلال القرآن الكريم.

خطة البحث:

قسّمت هذا البحث إلى مقدّمة وثلاثة مباحث، وفي كلّ مبحثٍ منها مطالب، ثمّ خاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

وذلك على النحو الآتي:

- المقدمة: وفيها الحديث عن أهمية البحث، وأهدافه، وخطة البحث باختصارٍ.
- المبحث الأول: مفهوم الفقر وأسباب انتشاره. وفيه ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: التعريف بالفقر لغةً واصطلاحًا.
 - المطلب الثاني: الفرق بين الفقير والمسكين.
 - المطلب الثالث: أسباب انتشار الفقر.
- المبحث الثاني: القرآن ومعالجة الفقر. وفيه أربعة مطالب:
 - المطلب الأول: الاستعمال القرآني للفقر.
 - المطلب الثاني: لفظ "الفقر" ومرادفاته في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ "الفقر" ومشتقاته.

المطلب الرابع: عناية القرآن بعلاج الفقر ورعاية الفقراء.

● المبحث الثالث: أهم الحلول الشرعية المقترحة لمشكلة الفقر. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: العمل والكسب.

المطلب الثاني: الإنفاق.

المطلب الثالث: إخراج الزكاة.

المطلب الرابع: إعطاء الصدقات التطوعية.

المطلب الخامس: محاربة التعامل بالرّبا.

● خاتمة البحث: وهي تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها.

● قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

مفهوم الفقر وأسباب انتشاره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالفقر لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف الفقر لغةً:

الفقر لغةً: ضدّ الغنى. وتدور المادة حول الحاجة والمسكنة والفاقة والانفراج في الشيء. وفعله: افتقر. يقال: افتقر فهو مُفْتَقِرٌ وفَقِيرٌ، ولا يكاد يقال: فَقَرٌ، وإن كان القياس يقتضيه. ويجمع على فقراء⁽¹⁾.

قال ابن فارس: "الفاء والقاف والراء أصلٌ صحيحٌ يدلّ على انفراج في شيءٍ، من عضوٍ أو غير ذلك. من ذلك: الْفَقَارُ لِلظَّهْرِ. منه اشتُقَّ اسمُ الفقير. وكأنّه مكسورٌ فَقَارَ الظَّهْرَ، من ذلّته ومسكنته"⁽²⁾.

وقال الراغب الأصفهاني: "وأصلُ الْفَقِيرِ: هو المكسورُ الْفَقَارُ، يقال: فَقرْتُه فَاقِرَةً، أي داهية تكسر الْفَقَارَ، وَأَفْقَرَكَ الصَّيْدُ، أي: أمكنك من فقاره، وقيل: هو من الْفُقْرَةِ أي: الحفرة، ومنه قيل لكلّ حفيرة يجتمع فيها الماء: فَقِيرٌ"⁽³⁾.

ثانياً: تعريف الفقر اصطلاحاً:

أمّا الفقر اصطلاحاً: فقد عرفه الجرجانيّ بأنّه: "فقد ما يُحتاج إليه؛ أمّا فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمّى فقراً"⁽⁴⁾.

وأمّا الفقير: فهو المحتاج الذي لا يملك ما يسدّ به حاجته أو بعض كفايته؛ من مطعمٍ

(1) انظر: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، 102/9. وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب،

60/5. والراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص/642.

(2) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 443/4.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص/642.

(4) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص/168.

أو ملبسٍ أو مسكينٍ؛ فمن كان هذه حالته فهو فقير⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الفرق بين الفقير والمسكين

اختلف الفقهاء في تعريف الفقير والمسكين كما اختلفوا في تحديد الفرق بينهما على أقوال. القول الأول: أنّ الفقير هو: من ليس له مالٌ ولا كسبٌ يقع موقعاً من حاجته أو كفايته. وأنّ المسكين هو: من له مالٌ أو كسبٌ لا يغنيه ولا يقع موقعاً من حاجته أو كفايته. وبناءً على هذا التعريف فإنّ الفقير يكون أسوأ حالاً وأشدّ حاجةً من المسكين. وهو قول الشافعية⁽²⁾ والحنابلة⁽³⁾. وقد استدّلوا بجملةٍ من الأدلة منها:

1 - أنّ الله قدّم الفقراء على المساكين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ

وَالْمَسْكِينِ﴾ [التَّوْبَةُ : 60]

فدلّ ذلك على أنّ الفقير أحوج من المسكين؛ حيث بدأ بالأهمّ فالأهمّ⁽⁴⁾. ونوقش هذا الدليل أنّ البداءة بالفقراء في الآية ليست لأهمّ أحوج من المساكين إنّما لأهمّ لا يسألون، فالاهتمام بهم مقدّم على من يسأل⁽⁵⁾.

2 - قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ ﴿٧٩﴾

(1) انظر: ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، المغني، 4/120.

(2) انظر: الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، 2/77. والماوردي، علي بن محمد، الحاوي الكبير، 8/270. والغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الوسيط في المذهب، 4/553. والتتوي، محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين، 2/308.

(3) انظر: ابن قدامة، المغني، 9/306. والدجيلي، الحسين بن يوسف، الوجيز في الفقه على مذهب الإمام أحمد، ص/118. والزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله، شرح الزركشي على مختصر الخرفي، 4/617. والمرداوي، علي بن سليمان، الإنصاف، 3/241.

(4) انظر: ابن قدامة، المغني، 9/306.

(5) انظر: الحداد، أبو بكر بن علي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، 1/128.

[الكهف : 79]. فسمّاهم مساكين ولهم سفينة، فدلّ ذلك على أنّ المسكين أحسن حالاً من الفقير⁽¹⁾.

ونوقش هذا الدليل أنّ ذلك إنّما ورد على سبيل التّرحم والتّعطف⁽²⁾، ولم تكن لهم سفينة بل هم أجراء فيها أو عارية لهم⁽³⁾.

3 - أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوّذ من الفقر كما في حديث أبي هريرة، أنّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: "اللّهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم"⁽⁴⁾.

ولم يثبت أنّه - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوّذ من المسكنة؛ بل ثبت أنّه كان يسأل المسكنة في دعائه كما في حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أحييني مسكيناً وأمّتي مسكيناً واحشروني في زمرة المساكين يوم القيامة"⁽⁵⁾.

فدلّ ذلك على أنّ الفقير أمس حاجةً من المسكين.

ونوقش هذا الدليل أنّ الفقر المتعوّذ منه ليس فقر المال وإنّما هو فقر النفس لما صحّ عن النّبي - صلى الله عليه وسلم - أنّه كان يسأل العفاف والغنى، والمراد منه غنى النفس

(1) انظر: الماوردی، الحاوي الكبير، 489/8.

(2) انظر: القاضي، عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 441/1.

(3) انظر: ابن الهمام، كمال الدّین محمد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير على الهداية، 261/2.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ص/253، رقم: 678، باب دعوات النّبي صلى الله عليه وسلم. وأبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأنطوط، 644/2، رقم: 1544، كتاب الصّلاة، باب في الاستعاذة. والنّسائي، أحمد بن شعيب، سنن النّسائي، 261/8، رقم: 5460، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الذّلة.

(5) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، 577/4، رقم: 2352، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم. والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، 18/7، رقم: 13152، كتاب قسم الصدقات، باب ما يُستدلّ به على أنّ الفقير أمس حاجةً من المسكين.

وليس غنى المال⁽¹⁾.

القول الثاني: أنّ الفقير: هو من يملك شيئاً يسيراً لا يكفيه ولا يقوم بمؤونته. وأنّ المسكين: هو من لا يملك شيئاً.

وبهذا التعريف يكون المسكين أسوأ حالاً وأشدّ حاجةً من الفقير. وهو قول الحنفية⁽²⁾ والمالكية⁽³⁾.

وقد استدّلوا بما يأتي:

1. أنّ الله وصفه من شدة حاجته وسوء حالته بالمتربة في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا

مَتْرَبَةٍ﴾ [البَلَد : 16]. أي: مسكيناً قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة⁽⁴⁾.

وهذا دليل على أنه أحوج من الفقير؛ لأنّ الحاجة قد بلغت به إلى أن لصق بالتراب من غير حائل بينه وبين التراب⁽⁵⁾.

ونوقش هذا الدليل أنّ الله لما وصفه بهذا علّم أنّه ليس كلّ مسكين بهذه الصّفة، بل الأغلب عليه أن يكون له شيء، فوصفه بذلك أخرجه عن بقية المساكين. أو أنّ المراد بالمسكين في الآية هو الفقير؛ إذ كلّ منهما يسمّى فقيراً ومسكيناً نظراً للحاجة⁽⁶⁾.

(1) انظر: شرح فتح القدير للكمال بن الهمام، 261/2.

(2) انظر: القدوري، أحمد بن محمد، التجريد، 4197/8. والسرخسي، محمد بن أحمد، المبسوط، 8/3. والتسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، كنز الدقائق، ص/216. والمحبوي، عبيد الله بن مسعود، شرح الوقاية لصدر الشريعة، 224/2.

(3) انظر: القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 441/1. والصقلي، محمد بن عبد الله، الجامع لمسائل المدونة، 160/4. واللّخمي، علي بن محمد، التبصرة، 987/3. وابن رشد الجدّ، محمد بن أحمد، البيان والتحصيل، 347/18.

(4) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 431/24.

(5) القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 441/1.

(6) انظر: الزركشي، شرح مختصر الخرق، 417/4.

2. أن المسكين من جهة اللغة "مأخوذٌ من السُّكون، والفقير مأخوذٌ من كَسَرِ الْفِقَارِ، والذي يسكنٌ ولا يتحركُ أشدُّ ضعفاً من المكسور الْفِقَارُ؛ لأنَّ ذلك يتحركُ"(1).

القول الثالث: أنَّ الفقير والمسكين اسمان لمعنى واحدٍ ولا فرق بينهما عند الإطلاق. وهذا القول مروى عن أبي يوسف، صاحب أبي حنيفة، وابن القاسم، وابن الجلاب من المالكية(2). قال ابن الجلاب: "والفقر والمسكنة اسمان لمعنى واحد وهو لمن يملك شيئاً يسيراً لا يكفيه ولا يعينه، ولا يغنيه، ولا يقوم بمؤنته"(3).

وينبني هذا القول على دلالة لغوية لا على دلالة شرعية، والأشبه عند استقراء اللغة أن يكونا اسمين دالّين على معنى واحدٍ يختلف بالأقلّ والأكثر في كلٍّ واحدٍ منهما(4).

وهذه هي أقوال الفقهاء في تعريف الفقير والمسكين والتفريق بينهما، ولعلَّ القول الأول هو الأرجح من بين هذه الأقوال الثلاثة؛ لقوة أدلة أصحابه؛ ولكنَّ الأنسب أن يقال: إنَّ الفقير والمسكين اسمان متباينان إذا اجتماعاً ومترادفان إذا افتراقاً.

وعليه نصّ الشافعي - رحمه الله - في الأمّ بقوله: "الفقير مسكينٌ والمسكين فقيرٌ بحالٍ يجمعهما اسمٌ ويفترق بهما اسمٌ؛ فإذا جُمعا معاً يفرّق بين حالهما؛ بأن يكون الفقير الذي بدئ به أشدهما، والعرب تقول للرجل فقير مسكينٌ ومسكين فقيرٌ"(5).

ونصّ عليه كذلك ابن قدامة - رحمه الله - في المغني قائلاً: "الفقراء والمساكين صنفان في الزكاة، وصنفٌ واحدٌ في سائر الأحكام؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من الاسمين ينطلق عليهما، فأما

(1) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، المسالك في شرح موطأ مالك، 88/4. وانظر: والقاضي، عبد الوهاب، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، 461/1.

(2) انظر: القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة، 442/1. وابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، 88/4. وابن عرفة، محمد بن عرفة، المختصر الفقهي، 28/2.

(3) ابن الجلاب، عبيد الله بن الحسين، التفرع في فقه الإمام مالك، 166/1.

(4) ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 38/2.

(5) الشافعي، الأم، 89/2. والماوردي، الحاوي الكبير، 270/8.

إذا جمع بين الاسمين، وميّز بين المسميين تميّزًا، وكلاهما يشعر بالحاجة والفاقة وعدم الغنى، إلّا أنّ الفقير أشدّ حاجةً من المسكين⁽¹⁾.

المطلب الثالث: أسباب انتشار الفقر

هناك أسبابٌ تجلب الفقر إلى الفرد والجماعة، وتسهم في انتشاره في المجتمع، وهذه الأسباب كثيرة، وسأجتزئ بذكر جملةٍ منها فيما يلي:

أولاً: البطالة

من أهمّ الأسباب الجالبة للفقر: البطالة، وهي ترك العمل⁽²⁾، أو هي الكسالة التي تؤدّي إلى إهمال المُهمّات⁽³⁾؛ بأن وجد في المجتمع أناسٌ يقدرّون على العمل ولكنهم جنحوا إلى القعود، واستمرّثوا الراحة، وآثروا أن يعيشوا عالّةً على غيرهم، يأخذون من الحياة ولا يعطون، ويستفيدون من المجتمع ولا يفيدون، ويستهلّكون من طاقته ولا ينتجون، ولا عائق يحول بينهم وبين السعي والكسب، من عجزٍ فرديٍّ، ولا قهرٍ اجتماعيٍّ⁽⁴⁾.

ثانيًا: المرض والإعاقة البدنية

من أسباب انتشار الفقر: المرض والإعاقة البدنية، ولا سيّما إذا لم تكن في المجتمع مؤسساتٌ خيريّةٌ تهتمّ بالمرضى وذوي الإعاقات البدنية، الذين لم تسمح لهم ظروفهم الصحيّة للسعي وراء الكسب والوصول إلى قوت يومهم ولقمة عيشهم، ولم تكن هناك رعايةٌ خاصّةٌ من قبل حكومة الدولة بالمعوقين؛ بحيث تتولّى شؤونهم، وتوفّر لهم ما يشبعون به حاجاتهم الضرورية.

ثالثًا: الحروب

تعدّ الحروب من العوامل الرئيسيّة لانتشار الفقر؛ لأنّها تجرّف الممتلكات، وتذهب

(1) ابن قدامة، المغني، 306/9.

(2) انظر: المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ص/79.

(3) انظر: الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، ص/247.

(4) انظر: القرضاوي، يوسف بن عبد الله، دور الرّكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، ص/13.

بالأموال والأنفس والثمرات، وتهلك الحرث والنسل، وتخرب الأرض والبيوت؛ ولذا فإن معظم البلاد التي تعاني من الحروب الأهلية - اليوم - هي الأكثر عرضةً للفقر والفاقة؛ حيث يكثر فيها الفقراء والمستضعفون من كبار السن والنساء والأطفال بما فيهم الأرمال والأيتام.

رابعاً: ترك الإنفاق

مما يسبب انتشار الفقر في أي مجتمع: ترك الإنفاق وإهماله. ويشمل ذلك: الإنفاق الواجب؛ كالزكاة والتنفقات الواجبة على الأهل والأقارب. والإنفاق غير الواجب، كالصدقات التطوعية على الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وغيرهم من أهل العوز والحاجة. وكلما تقاعس أصحاب الأموال والثروات عن واجبهم في الإنفاق بنوعيه المذكورين ارتفعت نسبة الفقر والفقراء وازدادت في المجتمع.

خامساً: المصائب والكوارث:

تعدّ المصائب والكوارث من أسباب انتشار الفقر، وتشمل: الجوائح المتلفة للأموال، والوفيات، والزلازل كما تحدث في بعض الدول والبلدان. كل ذلك له آثار سيئة وجوانب سلبية تنعكس على البلاد والعباد.

سادساً: سوء توزيع الثروات

مما يساعد على انتشار الفقر: سوء توزيع الثروات بين المواطنين، وتغلب شريحة قليلين من رؤساء البلاد وحكامها على أموال الدولة وثرواتها فتكون دولة بين الأغنياء منهم؛ في حين كان المواطنون يعيشون في ضيق وعناء.

سابعاً: القضاء والقدر

وهذا سبب رئيس وأساسي يكمن وراء كون الإنسان فقيراً وغنياً، وكل ما سبق ذكره من الأسباب تابعة له؛ لأنه إلهي وكوي، ليس للإنسان فيه تدخل سوى الإيمان به والتسليم له كما هو مقدّر ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

المبحث الثاني: القرآن ومعالجة الفقر

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستعمال القرآني للفقر

استعمل القرآن الكريم لفظ "الفقر" في أوجهٍ مختلفةٍ تطرّق إليها الراغب الأصفهاني - رحمه الله - في مفرداته، وحصرها في أربعة أوجه⁽¹⁾:

الأول: وجود الحاجة الضرورية، وذلك عامّ للإنسان ما دام في دار الدنيا بل عامّ للموجودات كلّها كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: 15].

وإلى هذا النوع من الفقر يشير قوله تعالى في وصف الإنسان: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: 8].

والثاني: عدم المقتنيات، وهو المذكور في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الثور: ٣٢].

وقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

الثالث: فقر النفس، وهو الشره المعني بقوله عليه الصلاة والسلام: "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ

(1) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص/641.

كُفْرًا⁽¹⁾. وهو المقابل بقوله: "الغنى غنى النفس"⁽²⁾.

الرابع: الْفَقْرُ إلى الله المشار إليه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الْقَصَص : 24].

المطلب الثاني: لفظ "الفقر" ومرادفاته في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم ألفاظٌ ترادف لفظ "الفقر"، وهي كثيرة، وسأذكر منها - باختصارٍ غير مخلٍ - ما يأتي:

1. المسكنة في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البَقَرَة : 61].

وفي قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عِمْرَان : 112]. وهي في الآيتين بمعنى الفقر والفاقة⁽³⁾.

قال ابن جرير الطبري: "والمسكنة هي ذل الحاجة والفاقة"⁽⁴⁾.

2. الخصاصة في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشْر : 9]. أي: ولو كان بهم حاجةٌ وفاقةٌ⁽⁵⁾.

(1) الطبراني، الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ص/319، رقم: 1048، باب الدعاء للفقر والسقم. والبيهقي، شعب الإيمان، 267/5، رقم: 6612، باب في الحث على ترك الغل والحسد. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص/605.

(2) البخاري، صحيح البخاري، 95/8، رقم: (6446)، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس. ومسلم، ابن الحجاج، صحيح مسلم، 100/3، رقم: 1051، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض.

(3) انظر: الطبري، جامع البيان، 26/2. والبغوي، محيي الدين الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 101/1. والقرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 430/1.

(4) انظر: الطبري، جامع البيان، 193/2.

(5) انظر: الطبري، جامع البيان، 527/22. والبغوي، معالم التنزيل، 76/8. وابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 70/8.

3. العيلة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ

شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التَّوْبَة : 28]. أي: وإن خفتم فاقةً وفقراً⁽¹⁾.

وورد بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾﴾ [الضَّحَى :

8]. أي: فقيراً.

4. الإملاق في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

[الأنعام : 151].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

[الإِسْرَاء : 31].

ومعنى الإملاق في الآيتين: الفقر. قال ابن جرير الطبري: "والإملاق: مصدر من قول

القاتل: أملت من الزاد، فأنا أملت إملاقاً، وذلك إذا فني زاده وذهب ماله وأفلس"⁽²⁾.

5. البأساء في قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ

الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [البَقَرَة : 177].

وفي قوله تعالى: ﴿مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلُوفًا﴾ [البَقَرَة : 214].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤١﴾﴾

[الأنعام : 42].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأَعْرَاف : 94].

(1) انظر: الطبري، جامع البيان، 399/11. والبيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،

77/3.

(2) الطبري، جامع البيان لابن جرير، 657/9.

ومعنى البأساء في هذه الآيات كلّها: الفقر وشدة الحاجة والفاقة⁽¹⁾.

المطلب الثالث: الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ "الفقر" ومشتقاته

ورد لفظ "الفقر" ومشتقاته في القرآن الكريم بصيغ مختلفة في ثلاثة عشر موضعاً؛ تارةً بصيغة المصدر "الفقر". وتارةً بصيغة المفرد "الفقير". وتارةً أخرى بصيغة الجمع "الفقراء". ولم يرد في القرآن قطّ بصيغة الفعل.

فورد بصيغة المصدر "الفقر"، في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى: ﴿أَلَسَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وورد بصيغة المفرد "الفقير" في خمسة مواضع، وهي:

1 - قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181].

2 - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 6].

3 - قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: 135].

4 - قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: 28].

5 - قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصاص: 24].

أما بصيغة الجمع "الفقراء" فقد ورد في سبعة مواضع، وهي:

1 - قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 271].

2 - قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

(1) انظر: الطبري، جامع البيان، 3/636. والبغوي، معالم التنزيل، 1/188. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/488. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2/243.

الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴿٧٣﴾ [البقرة : 273].

3 - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة : 60].

4 - قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التور : 32].

5 - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر : 15].

6 - قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد : 38].

7 - قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر : 8].

وهذه هي الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الفقر ومشتقاته، ولعل الحكمة من تكريره وترديده في هذه الآيات الاهتمام بمشكلة الفقر والعناية بقضايا الفقراء كما سيأتي ذلك في حينه إن شاء الله.

المطلب الرابع: عناية القرآن بعلاج الفقر ورعاية الفقراء

عني القرآن الكريم بعلاج الفقر ورعاية الفقراء والمساكين وذوي الحاجات والضعفاء عناية فائقة لم يسبقه إليها كتاب في التاريخ، سواء في جانب التربية والتوجيه، أو في جانب التشريع والتنظيم، أو في جانب التطبيق والتنفيذ⁽¹⁾.

ومن أقوى الأدلة على عناية القرآن الكريم بعلاج مشكلة الفقر ورعايته للفقراء أنه:

تارةً يأمر بإيتاء المسكين حقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء : ٢٦].

وفي قوله تعالى: ﴿فَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

(1) انظر: القرضاوي، فقه الزكاة، 52/1.

لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ [الرُّوم : 38]
وتارةً بحث على إطعامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان : 7 - 8].
وفي قوله: ﴿فَلَا أَقْتَحَمَ الْعُقْبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ۝ فَكُ رَقَبَةً ۝ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝﴾ [البَلَد : 11 - 16].

وكثيراً ما علّق الوعيد الشديد على عدم العناية برعاية المسكين والحضّ على إطعامه، كما في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝﴾ [الحاقة : 30 - 34].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينِ ۝﴾ [المُدَّثِّر : 42 - 44].
وفي قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِذَا زَسُنْ إِذَا مَا أَبْتَلَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْتَلَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنِ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝﴾ [الفجر : 15 - 18].

وليس هذا فحسب، بل شرعت في القرآن الكريم أحكاماً فرضت فيها للفقراء والمساكين حقوق مادية، من ذلك: الزكاة والصّيام والحجّ والكفّارات والفدية والهدايا والأضاحي والنذور والميراث والجهاد.

ففي الزكاة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ

عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ^ط
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التَّوْبَةُ : 60].

وفي الصَّيَامِ، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾
[البَقَرَةُ : 184].

وفي كفارة قتل الصيد في الحج، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا
الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ
بِهِ ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ
صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهٖ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴿٩٥﴾ [المَائِدَةُ : 95].

وفي كفارة اليمين، قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُہٗوَ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْ سِطِّ مَا
تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴿٨٩﴾ [المَائِدَةُ : 89].

وفي كفارة الظَّهَارِ، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَّمْ
يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ﴿٤﴾ [المُجَادَلَةُ : 3 - 4].

وفي الميراث، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ [النِّسَاءُ : 8].

وفي الغنائم، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ
بِاللَّهِ ﴿٤١﴾ [الْأَنْفَالُ : 41].

وقد شرعت هذه الأحكام في القرآن الكريم؛ لمعالجة الفقر، ومصالح الفقراء والضعفاء والمحتاجين؛ مما يدلّ على أنّ القرآن الكريم اهتمّ اهتمامًا بالغًا بموضوع الفقر، واعتنى اعتناءً شديداً بقضايا الفقراء.

المبحث الثالث:

أهم الحلول الشرعية المقترحة لمشكلة الفقر

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: العمل والكسب

من الحلول الشرعية التي تسهم في محاربة الفقر والقضاء عليه: العمل والسعي الحثيث وراء طلب الرزق وتحصيله؛ لأنّ العمل من وسائل الحصول على القوت ولقمة العيش وسدّ الرّمق والحاجة؛ ولذا شجّع القرآن الكريم على العمل والسعي في طلب الرزق الذي تقوم به الحياة والمعاش؛ حيث فتح باب العمل أمام الإنسان ليستفيد من خيرات الأرض وبركاتها، ويقتات من أقواتها بجميع الطرق والوسائل المشروعة الموصلة إليها.

وقد تقرّر في القرآن الكريم أنّ الله أباح للإنسان جميع ما في الأرض من الأشياء - إلاّ ما استثنى منها من الأشياء الضارة والحرمّة -؛ لينتفع به ويستفيد منه كما في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29].

وهذه الآية ونظائرها حجة على أنّ الأصل في الأشياء النافعة الإباحة حتّى يقوم الدليل على الحظر⁽¹⁾.

وأمر المسلمين بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضله بعد صلاة الجمعة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 11].

وأمر بالمشي في مناكب الأرض والأكل من رزقه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المُلْك: 15].

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 251/1.

وَأَحَلَّ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿٢٧٥﴾ وَآحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿٢٧٥﴾ [البقرة : ٢٧٥].

ثم أشار القرآن الكريم إلى فضل الحرف والمهن اليدوية في قوله تعالى: ﴿وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمِيمْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [٣٣] وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ [يس : ٣٣ - ٣٥].

وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى أهمية الأكل من عمل اليد.

وأكد القرآن الكريم هذه الأهمية في قصة داود - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۖ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ : ١٠ - ١١].

ونقل ابن كثير عن ابن عساكر هذه القصة بتفاصيلها^(١) : - "أَنَّ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّرًا، فَيَسْأَلُ الرُّكْبَانَ عَنْهُ وَعَنْ سِيرَتِهِ، فَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا إِلَّا أَتْنَىٰ عَلَيْهِ خَيْرًا فِي عِبَادَتِهِ وَسِيرَتِهِ وَمَعْدَلَتِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. قَالَ وَهَبٌ: حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا فِي صُورَةِ رَجُلٍ، فَلَفِيَهُ دَاوُدَ فَسَأَلَهُ كَمَا كَانَ يَسْأَلُ غَيْرُهُ، فَقَالَ: هُوَ خَيْرُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ وَلِأُمَّتِهِ، إِلَّا أَنْ فِيهِ خَصْلَةٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ كَانَ كَامِلًا قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: يَأْكُلُ وَيُطْعِمُ عِيَالَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، يَعْنِي: بَيْتَ الْمَالِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَصَبَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَىٰ رَبِّهِ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُعَلِّمَهُ عَمَلًا بِيَدِهِ يَسْتَغْنِي بِهِ وَيُعْنِي بِهِ عِيَالَهُ، فَلَا أَنْ لَهُ الْحَدِيدَ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدَّرْعِ، فَعَمَلَ الدَّرْعَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمَلَهَا، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ : ١١] يَعْنِي: مَسَامِيرَ الْحَقِيقِ، قَالَ: وَكَانَ يَعْمَلُ الدَّرْعَ، فَإِذَا ارْتَفَعَ مِنْ عَمَلِهِ دِرْعٌ بَاعَهَا، فَتَصَدَّقَ

(1) انظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، القصة في تاريخ دمشق، 91/17.

بِثُلْثِهَا، وَاشْتَرَى بِثُلْثِهَا مَا يَكْفِيهِ وَعِيَالَهُ، وَأَمْسَكَ الثُّلْثَ يَتَصَدَّقُ بِهِ يَوْمًا يَوْمًا إِلَى أَنْ يَعْمَلَ غَيْرَهَا" (1).

وجاء في السنة الصحيحة عن المقدام - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: "ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" (2).

المطلب الثاني: الإنفاق في وجوه الخير

الإنفاق يأخذ حيزاً كبيراً في حل مشكلة الفقر واستئصال شأفتها من الجذور؛ حيث يعود نفعه على الأهل والأقارب والفقراء ومن على شاكلتهم من أهل العوز والحاجة، كما يعود أجره وثوابه على المنفق نفسه في الحال والمآل؛ ولذا عرّف ابن عاشور الإنفاق بأنّه: "إعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس والأهل والعيال ومن يرغب في صلته أو التقرب لله بالنفع له من طعام أو لباس" (3).

وقد تضافرت الآيات القرآنية في الحث على الإنفاق في وجوه الخير، مبيّنة فضله، ومؤكدة أهميته، وحائثة عليه في مواضع كثيرة في القرآن الكريم؛ لأنّه "وسيلة إغناء وتحقيق رفاه للجميع، وواسطة متعينة لصون عزة الأمة وكرامتها ودحر عدوان المعتدين عليها، فما بخلت أمة بما لها إلا حاق بها الدّل والاستعباد، وتكالت عليها الأمم" (4).

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۖ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 254].

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 497/6.

(2) البخاري، صحيح البخاري، 57/3، رقم: 2072، كتاب البيوع، باب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ يَدِهِ.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 235/1.

(4) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 43/3.

وقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد : 7].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون : 10].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن : 16].

ثم وعد الله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيله بمضاعفة ثوابهم إلى أضعاف كثيرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : 261].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : 274].

وفي هذه الآيات تنويه بفضيلة الإنفاق في سبيل الله، ويشمل: الإنفاق في نصره الحق والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، والإنفاق على النفس والأهل والعيال، والإنفاق على نشر العلم ومحاولة القضاء على الجهل والفقر والمرض، كل ذلك داخل في الإنفاق المنصوص عليه في هذه الآيات؛ لأنَّ سبله كثيرة ليس لها حد ولا حصر عند الإطلاق.

وقد جعل الله ثواب الإنفاق في سبيل الله في ثلاثة أمور (1):

(1) الرِّحِيلِي، التفسير المنير، 48/3.

1 - ضمان الأجر في الدار الآخرة، وهو الجنة كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274].

2 - نفي الخوف بعد الموت في المستقبل والحزن أو الألم على ما سلف في الدنيا كما في قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274].

3 - مضاعفة الأجر إلى أضعاف كثيرة كما في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

"وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمئة؛ لأنّ التحديد والتعداد يظلّ فيه قصور، وأمّا عدم التحديد بحّد فيشير إلى احتمال النّموّ والبركة والزيادة. وفيه إشارة إلى أنّ الأعمال الصّالحة ينمّيها الله - عزّ وجلّ لأصحابها، كما ينمّي الزّرع لمن بذره في الأرض الطّيبة" (1).

المطلب الثالث: إخراج الزّكاة

تعدّ الزّكاة من أقوى الوسائل والحلول الشرعية لمكافحة الفقر وعلاجه في نظر الإسلام؛ وهي أكبر الموارد الماليّة التي فرضها الله لرعاية الفقراء والمحتاجين؛ بل هي أوّل نظام ماليّ عرفته الأمتة لتحقيق العدالة الاجتماعيّة بين الفقراء والأغنياء؛ حيث أمر الله بأخذ جزء من أموال الأغنياء وردّه على فقرائهم؛ لتطهير أموالهم من الآفات، وتركيز نفوسهم من الأنانيّة والبخل والطّمع، ثمّ تركيز الفقراء أنفسهم من الغيرة والحسد والكراهية التي قد يضمرونها لأصحاب

(1) التّرجيلي، التفسير المنير، 44/3.

الثروات⁽¹⁾، كما بيّنه المولى في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التَّوْبَةُ : 103].

وقد تكرر ذكر الزكاة في القرآن الكريم في اثنين وثمانين موضعاً في كل موضعٍ منها مقرونةً بالصلاة كما أشار إليه ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق⁽²⁾، وصوّبه ابن عابدين في حاشية ردّ المحتار أنّها جاءت في اثنين وثلاثين موضعاً مقرونةً بالصلاة⁽³⁾؛ للإشارة إلى أهميتها وعظم شأنها وكمال الاتصال بينها وبين الصلاة.

ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البَقَرَةُ : 43].

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النُّور : 56].

وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الرُّوم : 31].

وقوله: ﴿مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الْمُزَمِّل : 20].

وقد نبّه العلماء منذ عهد الصحابة - رضي الله عنهم - على أنّ سنة القرآن أن يقرن الزكاة بالصلاة، وقلّما تنفرد إحداها عن الأخرى⁽⁴⁾ لوثاقة الارتباط بينهما، وهذا الذي جعل

(1) انظر: د. مصطفى بوشامة، وآخر، معالجة مشكلة الفقر من منظور الاقتصاد الإسلامي، ص/178.

(2) انظر: ابن نجيم، زين الدّين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، 2/216.

(3) انظر: ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار، على الدر المختار، 2/256.

(4) انظر: القرضاوي، فقه الزكاة، 1/63.

أبا أبي بكر الصديق يقول - كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه - : "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"⁽¹⁾.

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : "أمرتم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومن لم يترك فلا صلاة له"⁽²⁾.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "افتترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التَّوْبَة : 11] وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة. وقال: رحم الله أبا بكر ما كان أفقه"⁽³⁾.

ولكي تلعب الزكاة دورها الاجتماعي والاقتصادي في حل مشكلة الفقر وعلاجها فرضها الله على المسلمين وأمرهم بإخراجها وأدائها في وقتها المناسب متى استوفت شروطها على نحو ما في الآيات السابقة وأشباهاها من آيات الزكاة والصدقات، وعلى نحو ما بينه الفقهاء في مدوناتهم الفقهية.

ثم عدّد الله - سبحانه - مصارف الزكاة بالتفصيل في القرآن الكريم وحصرها في ثمانية أصناف، وجعل الفقراء والمساكين في الطبقة الأولى من هؤلاء الأصناف الثمانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التَّوْبَة : 60].

"إذا عرفنا أنّ توزيع الزكاة على هذه الأصناف يحصل بها دفع الحاجة الخاصة لمن يعطاها، ويحصل بها دفع الحاجة العامة للمسلمين، عرفنا مدى نفعها للمجتمع. وفي الاقتصاد تتوزع الثروات بين الأغنياء والفقراء، بحيث يؤخذ من أموال الأغنياء هذا القدر ليصرف إلى الفقراء، ففيه توزيع للثروة حتى لا يحدث التضخم من جانب، والبؤس والفقر من جانب آخر"⁽⁴⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري، 105/2، رقم: 1400، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة.

(2) الطبري، جامع البيان، 362/11.

(3) الطبري، جامع البيان، 362/11.

(4) ابن العثيمين، محمد بن صالح، فقه العبادات، ص/185.

"وفيها أيضاً من صلاح المجتمع: ائتلاف القلوب، فإنّ الفقراء إذا رأوا من الأغنياء أھمّ بمدّوھم بالمال، ويتصدّقون عليهم بهذه الزكاة التي لا يجدون فيها منّة عليهم؛ لأنّها مفروضة عليهم من قبل الله، فإنّهم بلا شكّ يحبّون الأغنياء ويألفونهم ويرجون ما أمرهم الله به من الإنفاق والبذل، بخلاف ما إذا شحّ الأغنياء بالزكاة وبخلوا بها واستأثروا بالمال، فإنّ ذلك قد يولد العداوة والضغينة في قلوب الفقراء"⁽¹⁾.

أهمّ الخطوات لتوظيف الزكاة في حلّ مشكلة الفقر في العصر الحديث:

وإذا أردنا أن نطبّق فريضة الزكاة ونوظّفها في معالجة الفقر، ومكافحة الأزمات الماليّة التي تكابدها الأمة في عصرنا الحديث بنجاحٍ ينبغي أن نسير وفق الخطوات المرحليّة الآتية:

الخطوة الأولى: بيان مكانة الزكاة والتأكيد على أهمّيّتها وإبراز دورها الإنمائي والاستثماري في مجال الاقتصاد الإسلامي، ثمّ تحليل ما تلعبه من دورٍ ملموسٍ في القضاء على الأزمات الماليّة ومعالجة المشكلات الاقتصاديّة التي تواجه العالم الإسلامي وتكبّل مسيرة الأمة نحو التقدّم الاقتصاديّ عبر العصور.

الخطوة الثانية: تطبيقها تطبيقاً عملياً واقعياً مع الالتزام بحدودها وأحكامها وشروطها الشرعيّة كما بيّنها الله في كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلّم -؛ بحيث يخرج كلّ فردٍ من ماله الحقّ الواجب عليه من الزكاة في حينه المناسب، ويدفعه إلى مستحقّيه كما حدّده القرآن الكريم.

الخطوة الثالثة: إنشاء جمعيات وهيئات ومؤسسات إسلاميّة رسميّة تشرف على الزكاة، وتقوم بجبايتها ثمّ صرفها في مصارفها المقصودة، كما تقوم باستثمارها في حدود شرع الله تعالى وقواعده المقاصديّة؛ لتكون أوسع نطاقاً، وأبعد مدًى في محاربة الفقر ومنع إنتشاره في المجتمع الإسلامي.

ومن هنا تقوم الحكومة في الدولة الإسلاميّة بدورها في مراقبة أعمال هذه الجمعيات؛ لتؤدّي مهمّتها، وواجبها في جمع الصّدقات والتبرّعات وصرفها في مصارفها المعلومة. وتدعو

(1) ابن العثيمين، فقه العبادات، ص/185.

الحاجة إلى هذه المراقبة لأنّ "الزكاة لم تكن مجرد معونةٍ وقتيةٍ لسدّ حاجةٍ عاجلةٍ للفقير، وتخفيف شيءٍ من بؤسه، ثم تركه بعد ذلك لأنياب الفقر والفاقة، بل كان هدفها القضاء على الفقر وإغناء الفقراء إغناءً دائماً يستأصل شأفة العوز من حياتهم، ويقدرهم على أن ينهضوا وحدهم بعبء المعيشة، وذلك لأنّها فريضةٌ دوريةٌ منتظمةٌ دائمة الموارد، ومهمتها أن تيسر للفقير قواماً من عيشٍ لا لقيماتٍ أو دربهما" (1).

المطلب الرابع: الصدقات التطوعية

تؤدي الصدقات التطوعية مهمةً كبيرةً في حلّ مشكلة الفقر والقضاء عليها؛ لما فيها من الشعور والإحساس بروح الإنسانية ومعاني التكافل الاجتماعي والأخوة الإسلامية، ولم تختلف مهمتها عن مهمة الزكاة في بناء الحياة السعيدة للفقراء، والرفع من مستواهم الاقتصادي، وتحقيق العدالة الاجتماعية بينهم وبين أصحاب الأموال والثروات في المجتمع، سوى أنّه ليس فيها الجانب الإلزامي والتقديري والخصوصي كما هو الحال في صدقة الأموال، وإنّما هي تبرّع وعطاء ينبثق - عاطفياً - عن إرادة المتصدق بسبب شعوره بمشاعر الفقير والإحسان إليه؛ بعيداً عن حبّ الذات والأنانية، بل تعطى الصدقات التطوعية عن طيب نفسٍ وصفاء قلبٍ وحسن نيةٍ على وجه القرية.

قال الراغب الأصفهاني: "والصَّدَقَةُ: ما يخرجها الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمّى الواجب صدقةً إذا تحرّى صاحبها الصدق في فعله" (2).

وتعتبر الصدقات التطوعية بجميع صورها من الحلول الشرعية التي على ضوءها عالج القرآن مشكلة الفقر خلال ثلاثٍ وعشرين سنة من نزوله؛ حيث رغب فيها، وحثّ على إعطائها في مواضع عديدة، من ذلك: قوله تعالى: ﴿يَمَحِّقُ اللَّهُ الْرِّبَاَ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ

(1) القرضاوي، فقه الزكاة، 87/1.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص/480.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ [البقرة : 276].

وقوله: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨٠﴾ [البقرة : ٢٨٠].

وقوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء : ١١٤].

ووردت أحاديث كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في فضلها والحث عليها، من ذلك حديث أبي مالك الأشعري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالصَّلَاةُ نور، والصدقة برهان" (1).

ومن صور الصدقات التطوعية:

- 1 - إطعام المساكين وكسوتهم وتوفير المبيت لهم والإنفاق عليهم بشكل دائم ومستمر.
 - 2 - كفالة الأيتام ورعايتهم وإيوائهم وتربيتهم.
 - 3 - الصدقة الجارية كبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وحفر الآبار وتوزيع المصاحف.
 - 4 - توفير المنح الدراسية بجميع مراحلها.
 - 5 - مساعدة اللاجئين والإحسان إليهم.
 - 5 - إغاثة الملهوفين والمستضعفين من ذوي الاحتياجات الخاصة من المكفوفين والمعوقين الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض، ولا يقدرون على العمل للحصول على قوت يومهم ولقمة عيشهم.
- وهذا كله يندرج تحت الصدقات التطوعية التي سيكون للفقراء الحظ الأوفر منها، وفيها تخفيف لآلامهم.

المطلب الخامس: محاربة التعامل بالرِّبا

من الحلول المثمرة التي أرشد إليها القرآن الكريم للوقاية من مشكلة الفقر وانتشارها:

(1) مسلم، صحيح مسلم، 1/140، رقم: 223، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

محاورة التعامل بالرّبا بجميع صوره وأبعاده المختلفة؛ لقطع أسباب تجميع الثّروات وتحميد الأموال في أيدي أناسٍ قليلين، وسدّ قنوات كلّ معاملةٍ تجرّ نفعاً لأحد المتعاقدين دون الآخر؛ لما في ذلك من أكل أموال النّاس بالباطل من غير جهدٍ ولا تعبٍ بناءً على أساسٍ غير منطقيٍّ وسليمٍ.

ولا يمكن محاورة الفقر بدون محاورة الرّبا الذي هو أحد أسبابه وأهمّ عوامل انتشاره في المجتمع؛ إذ كان الفقراء هم ضحاياه - في الغالب -، والأغنياء هم المرابون؛ حيث يلجأ الفقراء - اضطراراً - إلى الأغنياء أو إلى البنوك؛ ليقترضهم المال مقابل فائدةٍ إلى أجل؛ وقد يتضاعف المال أضعافاً مضاعفةً لضيق أيديهم؛ فيطلبون منهم - إذا حلّ الأجل - تأجيل تسديد الدّين مقابل الفائدة كما هو الحال في معظم البنوك والمؤسسات الرّبويّة المعاصرة.

وبناءً على خطورة الرّبا في امتصاص الأموال وتعريض النّاس لأنياب الفقر أعلن القرآن الكريم تحريمه بشدّة لا هوادة فيه، وعده من كبائر الذّنوب والموبقات في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275].

وبين أنّه مسلوب الخير ومحقّ البركة في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَاتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّرَبْوٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الرّوم: 39].

وفي قوله: ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾ [البقرة: 276]. وشبّه حالة المرابين عند قيامهم من قبورهم يوم القيامة بحالة المجنون المتخبّط من صرع الشّيطان المريد، ثمّ توعّدهم بالخلود في النّار في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَلِيدُونَ ﴿٢٧٥﴾ [البقرة : 275].

وأعلن الحرب على آكل الربا في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة : 279].

وقد وردت في السنة نصوص نبوية كثيرة في النهي عن أكل الربا والتحذير منه، منها: حديث "لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آكل الربا ومؤكله، وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء"¹.

وحديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"⁽²⁾.

ورغم تحريم الربا في الإسلام بنصوص صحيحة وصرحة شاع التعامل به في كثير من المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث؛ وعلت أصواته على المعاملات المشروعة في الأسواق والبنوك، وما من مجتمع في العالم إلا وتطايير إليه شيء من غباره، وأصابه شيء من آفاته؛ حتى أصبح التعامل به في معظم المجتمعات قاعدة أساسية يعتمد عليها في المعاملات التجارية والأنظمة الاقتصادية.

ولذا، فإن القضاء على ظاهرة الفقر ومكافحتها يجب أن يكون مصاحباً لمحاربة المعاملات الربوية وإيقاف التعامل بها في الأسواق والبنوك على كافة أصعدتها وأبعادها المتعددة.

(1) مسلم، صحيح مسلم، 50/5، رقم: 1597، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله.

(2) البخاري، صحيح البخاري، 10/4، رقم: 2766، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً} (النساء 10). ومسلم، صحيح مسلم، 64/1، رقم: 79، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها.

الخاتمة:

هنا آخر المطاف في إعداد هذه الورقة العلمية المتواضعة. وقد تعرّضت فيها لموضوع الفقر ومسائله وقضاياه، فتناولته بدراسة موضوعية استقرائية دقيقة في ضوء النصوص القرآنية الشريفة، فتوصلت فيها إلى أهمّ النتائج الآتية:

- 1 - أنّ الفقر عبارة عن فقد ما يحتاج إليه؛ من طعامٍ أو شرابٍ أو لباسٍ أو مسكنٍ أو نحو ذلك من الحاجات الضرورية التي لا تستقرّ الحياة إلّا بها. وبناء على هذا المعنى فإنّ مشكلة الفقر تمثّل إحدى المشكلات الاقتصادية والظواهر الاجتماعية التي تعاني منها كثيرٌ من الأمم والشعوب الغابرة والحاضرة؛ لعموم بلواها وعدم اختصاصها بأمةٍ دون أخرى.
 - 2 - وخطورة مشكلة الفقر وآثارها السلبية المنعكسة على نموّ الأمة وتقدّمها، والمكبلة لمسيرتها في مواجهة تحدياتها الاقتصادية والاجتماعية، اهتّم القرآن الكريم بمعالجتها اهتماماً بالغاً، وعني باستئصال شأفتها من الجذور، عنايةً فائقةً ليس لها مثيلٌ في تاريخ الشرائع السماوية السابقة، ولا في تاريخ التشريعات الوضعية الحديثة.
 - 3 - وقد طرح القرآن الكريم حلولاً ناجحةً ومثمرةً لمشكلة الفقر، منها: الحثّ على العمل والسعي الحثيث في طلب الرزق وتحصيله، والإنفاق في وجوه الخير، وإخراج الزكاة، والصدقات التطوعية، ومحاربة التعامل بالرّبا بجميع صوره في الأسواق والبنوك.
- ومتى طبّقت الأمة هذه الحلول وعملت بمقتضاها نجحت في حلّ مشكلة الفقر والقضاء عليها، واستطاعت بذلك مواجهة تحدياتها ومشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية بكلّ سهولةٍ.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن رشد الجدّ، محمّد بن أحمد، (1408هـ/1988م)، البيان والتحصيل، تحقيق: د محمد حجي وآخرين، ط/2، بيروت - لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- ابن الجلاب، عبید الله بن الحسين، (1428هـ/2007م)، التفریع فی فقه الإمام مالک، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط/1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

- ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد، (1425هـ/2004م)، *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*، القاهرة: دار الحديث.
- ابن عابدين، محمد أمين، (1386هـ/1966م)، *حاشية رد المحتار على الدر المختار*، ط/2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984م)، *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (بدون تاريخ)، *المسالك في شرح مؤطّأ مالك*، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السليمان وآخر، ط/1، دار الغرب الإسلامي.
- ابن عرفة، محمد بن عرفة، (1437هـ/2014م)، *المختصر الفقهي*، تحقيق: د. حافظ عبد الرحمن محمد خير، ط/1، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية.
- ابن عساكر، علي بن الحسن، (1415هـ/1995م)، *القصة في تاريخ دمشق*، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن فارس، أحمد بن فارس، (1399هـ/1979م)، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، (1417هـ/1997م)، *المغني*، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخر، ط/3، الرياض - المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، *لسان العرب*، ط/3، بيروت، دار صادر.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، (بدون تاريخ) *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*، ط/2، دار الكتاب الإسلامي.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، (1389هـ/1970م)، *شرح فتح القدير على الهداية*، ط/1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (1430هـ/2009م)، *سنن أبي داود*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/1، دار الرسالة العالمية.

- الأزهري، محمد بن أحمد، (2001م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط/1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الألباني، محمد ناصر الدين، (بدون تاريخ)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (1418هـ/1997م)، الأدب المفرد، ط/4، دار الصديق للنشر والتوزيع.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1311هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، ط/1، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- البغوي، محيي الدين الحسين بن مسعود، (1417هـ/1997م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، ط/4، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، (1418هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط/1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (1421هـ/2000م)، شعب الإيمان، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط/1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (1424هـ/2003م)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط/3، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (1395هـ/1975م)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط/2، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الجرجاني، علي بن محمد، (1403هـ/1983م)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، ط/1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- الحداد، أبو بكر بن علي، (1322هـ)، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ط/1، المطبعة الخيرية.
- الدجيلي، الحسين بن يوسف، (1425هـ/2004م)، الوجيز في الفقه على مذهب الإمام

- أحمد بن حنبل، تحقيق: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط/1، الرياض — المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد ناشرون.
- الزَّاعِب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1412هـ—)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط/1، دمشق — بيروت، دار القلم.
- الزَّحِيلِي، وهبة بن مصطفى، (1411هـ—/1991م)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط/1، دمشق — سورية.
- الزَّركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله، (1413هـ/1993م)، شرح مختصر الخرق، ط/1، دار العبيكان.
- السرخسي، محمد بن أحمد، (بدون تاريخ)، المبسوط، باشر تصحيحه: جمع من أفاضل العلماء، مصر: مطبعة السعادة.
- الشافعي، محمد بن إدريس، (1403هـ/1983م)، الأم، ط/2، بيروت: دار الفكر.
- الصَّقْلِي، محمد بن عبد الله، (1434هـ/2013م)، الجامع لمسائل المدونة، تحقيق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، ط/1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الطَّبْرَانِي، سليمان بن أحمد، (1413هـ)، الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطَّبْرِي، محمد بن جرير، (1422هـ/2001م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/1، القاهرة — مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- العثيمين، محمد بن صالح، (بدون تاريخ)، فقه العبادات، اللجنة العلمية في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (1417هـ—)، الوسيط في المذهب، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم وآخر، ط/1، القاهرة: دار السلام.
- القاضي، عبد الوهاب، (بدون تاريخ)، المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميش عبد

- الحق، مكة المكرمة، المكتبة التجارية - مصطفى أحمد الباز.
- القاضي، عبد الوهاب، (1420هـ/1999م)، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، تحقيق: الحبيب بن طاهر، ط/1، دار ابن حزم.
- القدوري، أحمد بن محمد (1427هـ/2006م)، التجريد، تحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، ط/2، القاهرة: دار السلام.
- القرضاوي، يوسف بن عبد الله، (1422هـ/2001م)، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، ط/1، القاهرة: دار الشروق.
- القرضاوي، يوسف بن عبد الله، (1393هـ/1973م)، فقه الزكاة، ط/2، بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (1384هـ/1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وآخر، ط/2، القاهرة - مصر، دار الكتب المصرية.
- الكفوي، أيوب بن موسى، (بدون تاريخ)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش وآخر، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- اللخمي، علي بن محمد، (1432هـ/2011م)، التبصرة، تحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، ط/1، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- الماوردي، علي بن محمد، (1419هـ/1999م)، الحاوي الكبير، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخر، ط/1، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
- المحبوبي، عبيد الله بن مسعود، (2006م)، شرح الوقاية لصادر الشريعة، تحقيق: صلاح محمد أبو الحاج، ط/1، عمان - الأردن: دار الوراق.
- المرداوي، علي بن سليمان، (1374هـ/1955م)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/1، مطبعة السنة المحمدية.
- مسلم، ابن الحجاج، (1334هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد ذهني أفندي وآخرين، تركيا: دار الطباعة العامة.

د. مصطفى بوشامة وآخر، (2010م)، معالجة مشكلة الفقر من منظور الاقتصاد الإسلامي، المجلة الجزائرية للعملة والسياسات الاقتصادية، العدد الأول، ص/167 - 190.

المناعي، عبد الرؤوف، (1410هـ/1990م)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، ط/1، القاهرة - مصر: عالم الكتب.

النسائي، أحمد بن شعيب، (1348هـ/1930م)، سنن النسائي، ط/1، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

التسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، (1432هـ/2011م)، كنز الدقائق، تحقيق: أ. د. سائد بكداش، ط/1، دار البشائر الإسلامية.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، (1412هـ/1991م)، روضة الطالبين، تحقيق: المكتب الإسلامي، ط/3، بيروت: المكتب الإسلامي.

معالجة النص القرآني لمشكلة التعصب الفكري

د. محمد حامد محمد باحميش

أستاذ الفقه وأصوله المساعد

بكلية العلوم الشرعية والقانونية

جامعة الوسطية الشرعية

للعلوم الإسلامية والإنسانية

Mo.bahamesh@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: باحميش، محمد حامد، معالجة النص القرآني لمشكلة التعصب الفكري، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 363-403.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0201>

الملخص:

إنَّ مما ابتليت به الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً ظاهرة التعصُّب للرأي، والتي عصفت في مجتمعاتنا بالأخضر واليابس، لا سيما في الوقت المعاصر؛ فاختلف المسلمون بسببها وتفرقوا عن سبيل الله إلى مجموعات متنازعة متناحرة، واعتقد كل حامل رأيٍ أنَّ ما عليه هو الصواب الذي لا يحتمل الخطأ، وما عليه غيره هو الخطأ الذي لا يحتمل الصواب، فأثّر هذا التعصُّب الفكري على كيان المجتمعات العربية والإسلامية عموماً، وعلى بلدنا خصوصاً، وقد حذرنا القرآن الكريم من الانجراف لهذا الخلق.

ويُقصد بالتعصُّب الفكري: الانغلاق على التفكير بصفة أحادية، وإلغاء الرأي الآخر، ورفض الاعتراف به وتقبله واحترامه أو الحوار معه، وهو ما يناهز المبدأ الذي يُقر بالتنوع وتعدد الآراء، وقد عالج القرآن الكريم هذه المشكلة بطرق كثيرة متعددة، كانت جميعها سلمية وقائية، تحترم حقوق الإنسان بالدرجة الأولى. والبحث هنا يسلط الضوء على مفهوم التعصُّب، وصوره الواردة في القرآن الكريم، وأسبابه وآثاره على الأفراد والمجتمعات، مع بيان كيفية معالجة القرآن لهذه الظاهرة الخطيرة.

الكلمات المفتاحية: التعصُّب، التطرف، الفكر، الخطر، المعالجات، القرآن الكريم.

Addressing the Qur'anic Text Toward the Problem of Intellectual Fanaticism

Dr. Mohammed Hamid Mohammed Bahamish
Assistant Professor of Jurisprudence and its Principles
College of Sharia and Legal Sciences
University of Moderation
For Islamic and Human Sciences

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Bahamish, Mohammed Hamid, Addressing the Qur'anic Text Toward the Problem of Intellectual Fanaticism, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:363-403.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0201>.

Abstract:

Among the trials that have afflicted the Islamic nation—both in the past and present—is the phenomenon of fanaticism toward one's own opinion. This has ravaged our societies, consuming the fruitful and the barren alike, especially in modern times. Muslims have become divided as a result, splintering from the path of Allah into opposing and conflicting groups. Each person holding an opinion believes with certainty that their view is the absolute truth, allowing no room for error, while considering the views of others as completely mistaken with no possibility of being correct. This intellectual intolerance has deeply affected the fabric of Arab and Islamic societies in general—and our country in particular. Holy Qur'an has warned us against falling into such behavior.

Intellectual fanaticism refers to the closed-mindedness of thinking in a unilateral way: rejecting, denying, and refusing to acknowledge, accept, or respect other viewpoints—or even engage in dialogue with them. This stands in contrast to the principle that embraces diversity and the multiplicity of opinions. Qur'an addressed this issue through numerous peaceful and preventative approaches, all of which prioritize human rights. This research highlights the concept of fanaticism, its manifestations as mentioned in Qur'an, its causes and consequences on individuals and societies, and how Qur'an proposes to address this dangerous phenomenon.

Keywords: Fanaticism, extremism, ideology, danger, treatments, the Holy Quran.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإنه بتوفيق الله ومعونته تشرفتُ بكتابة هذا البحث، الموسوم بـ: (معالجة النص القرآني لمشكلة التعصب الفكري)، سائلًا المولى تعالى أن يكون هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم، ومساهمًا في معالجة بعض المشكلات في واقعنا المعاصر.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية الموضوع من متعلقه، فقضية التعصب الفكري، بحاجة كبيرة إلى العناية والاهتمام، من خلال البحث حول أسبابه وصوره ونتائجه وطرق معالجته، وفقاً لهدي القرآن الكريم وتوجيهه.

أهداف البحث:

1. التعريف بالتعصب الفكري لغة واصطلاحاً.
2. الوقوف على نصوص القرآن الكريم حول أسباب التعصب الفكري، وأهم مظاهره، وأبرز أسبابه، والنتائج المترتبة عليه.
3. إبراز دور القرآن الكريم في معالجة هذا السلوك، وذلك من خلال استقراء النصوص الواردة فيه، مع بيان دلالتها.
4. المساهمة في تقويم السلوك المنحرف لدى بعض المسلمين، وربطهم بهدي القرآن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والمطالعة وجدتُ عددًا من الأبحاث والدراسات العلمية تناولت بعض زوايا هذا الموضوع، إلا أنها لم تقصد ما قصده، ولعلّ من أبرزها ما يلي:

1. التعصب للرأي وأثره على المجتمع (نماذج من التاريخ الإسلامي)، ناظم ناجي حماد الدليمي، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد (10)، للعام 2016م.
2. الإرهاب الفكري، الأسباب الآثار العلاج، دراسة في ضوء القرآن الكريم، عبد الصبور أحمد محمود، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، العدد (1) للعام 2019م.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، وأيضاً المنهج التحليلي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين، وتحتهما مطالب، وخاتمة، كالاتي:

المبحث الأول: معنى التعصُّب الفكري وصوره في القرآن الكريم وأسباب ظهوره: وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: معنى التعصُّب الفكري في اللغة والاصطلاح.
- المطلب الثاني: صور التعصُّب الفكري في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: أسباب التعصُّب الفكري ونتائجه.

المبحث الثاني: معالجة النصوص القرآنية لمشكلة التعصُّب الفكري، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ذمُّ التعصُّب الفكري في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: طرق معالجة النصوص القرآنية لمشكلة التعصُّب الفكري.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وأهم التوصيات.

المبحث الأول

معنى التعصب الفكري وصوره في القرآن الكريم وأسباب ظهوره

المطلب الأول: معنى التعصب الفكري في اللغة والاصطلاح:

التعصب لغة: مأخوذ من العصبية، والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرته عصبته، والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقيل: العصبي هو الذي يغضب لعصبته، ويحامي عنهم، فالعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة⁽¹⁾، وقيل: هو عدم قبول الحق عند ظهور دليله⁽²⁾. ويعرّف التعصب اصطلاحاً: بأنه شيمة من شيم الضعف، وخلق من خلل الجهل، يُبتلى بها الإنسان فلا يرى حسناً إلا ما حسُن في رأيه، ولا صواباً إلا ما ذهب إليه أو تعصب له⁽³⁾، وقيل: غلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة، بحيث لا يدع مكاناً للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة⁽⁴⁾، وفي الاصطلاح الفقهي يعرف بأنه عدم قبول الحق عند ظهور الدليل؛ بناءً إلى الميل إلى جانب الهوى، يوجب ذلك التعصب خفة سفه، أي خفة عقل يكون للسفهاء⁽⁵⁾.

والفكر لغة: إعمال العقل في المعلوم؛ للوصول إلى معرفة المجهول⁽⁶⁾، واصطلاحاً: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، قال بعض الأدباء: الفكر

(1) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، 1/ 606. ومرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، 3/ 381.

(2) ينظر: عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/ 1505. والتهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1/ 485.

(3) ينظر: العبد، محمد وعبد الحكيم، طارق، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، ص 79.

(4) ينظر: بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص 154.

(5) ينظر: أمير بادشاه، الحنفي، محمد أمين، تيسير التحرير، 3/ 239.

(6) ينظر: قلعي، محمد وقيني، معجم لغة الفقهاء، 1/ 349. ومختار أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/ 1734.

مقلوب عن الفكر، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها؛ طلباً للوصول إلى حقيقتها⁽¹⁾، وقيل: هو النظر في الأمر؛ ليقف الناظر على صحته أو بطلانه⁽²⁾.

وقد عرف الشوكاني⁽³⁾ التعصّب الفكري بأن تجعل ما يصدر عن أحد العلماء من الرأي ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد، قال: "فإنك إن فعلت ذلك كنت قد جعلته شارِعاً لا متشرِعاً، مكلفاً لا مكلفاً، وتعبداً لا متعبداً، وفي هذا من الخطر عليك والوبال لك ما قدمناه، فإنه وإن فضلك بنوع من أنواع العلم وفاق عليك بمدرك من مدارك الفهم فهو لم يخرج بذلك عن كونه محكوماً عليه متعبداً بما أنت متعبد، فضلاً عن أن يرتفع عن هذه الدرجة إلى درجة يكون رأيه فيها حجة على العباد، واجتهاده لديها لازماً لهم"، ثم قال: "فإذا تقرر لك هذا، وعلمت بما فيه من الضرر العظيم الذي يحق بركة العلم، ويشوه وجهه، ويصيره بعد أن كان من العبادات التي لا تشبهها طاعة ولا تماثلها قرينة معصية محضة وخطيئة خالصة، تبين لك نفع ما أرشد إليه من تحري الإيمان الذي من أعظم أركانه وأهم ما يحصله لك أن تكون منصفاً، لا متعصب في شيء من هذه الشريعة، فإنها وديعة الله عندك وأمانته لديك، فلا تخنها، وتحقق بركتها بالتعصّب لعالم من علماء الإسلام، بل الواجب عليك أن تعترف له بالسبق، وتقر له بعلو الدرجة اللائقة به في العلم، معتقداً أن ذلك الاجتهاد الذي اجتهدته والاختيار الذي اختاره لنفسه بعد إحاطته بما لا بد منه، هو الذي لا يجب عليه غيره ولا يلزمه سواه"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، 1/ 643.

(2) ينظر: أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 2/ 391.

(3) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، (1173-1250هـ=1760-1834م)، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان، من بلاد خولان، باليمن، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة 1229م، ومات حاكماً بها، من مؤلفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، وفتح القدير في التفسير، وغيرها كثير. ينظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (11/ 53).

(4) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، أدب الطلب ومنتهى الأدب، ص 32.

ومن ينظر إلى التعصّب على أنه مخالفة الدليل لا شك أنه سيربط بينه وبين التمدّهب، وهذا خطأ، ولذلك أصبح بعض الباحثين يعتقد أن ثمة ارتباط بين الأمرين، لذلك تجد أحدهم إذا أراد أن يقرر مذهباً معيناً يضيف عبارة أنه ليس من المتعصبين له، فعند تقرير مفهوم التعصّب الفكري يتبين أنه نوع من الانحياز، والدفاع عن مسألة تحت تأثير العواطف، كما يوصف بأنه وضع غير طبيعي، يتكون ويتراكم، فيتحكم في سلوك الإنسان كنوع من الانتقام وإشاعة الأذى للطرف المخالف، وهذا بخلاف التمدّهب، فهو وصف لمن كان تابعاً لمذهب إمام معين، ثابتاً على قواعده، منافعاً عن اختياراته، فهو يحمل صاحبه على أن يعتقد أن قوله صحيح يحتمل الخطأ، وأن قول غيره خطأ يحتمل الصواب، بخلاف التعصّب الفكري، فإنه يحمل صاحبه على اعتقاد أن قوله صحيح لا يحتمل الخطأ، وقول غيره خطأ لا يحتمل الصواب، ولهذا يقول الشافعي: "ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويُسدد ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه"⁽¹⁾. ولهذا فإن طريق المتعصّب هو الصد عن معرفة دليل المخالف، أو الاستماع إليه، أو اعتباره في النظر بأي وجه من الاعتبار، وثمرة ذلك هو الاختلاف والفرقة والتباغض.

المطلب الثاني: صور التعصّب الفكري في القرآن الكريم:

إن المتتبع لنصوص القرآن الكريم يجد أنه قد ذكر صوراً متعددة للتعصّب الفكري، مبيّناً أنه سلوك أهل الكفر والنفاق في تعاملهم مع رسلهم وأنبيائهم - عليهم الصلاة والسلام -، وطلباً للاختصار سأذكر بعضاً منها على سبيل التمثيل لا الحصر، وهي كالآتي:

- المجادلة بالباطل، حتى وإن كانت البراهين والدلائل واضحة أمامهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25]، أي حتى إذا صاروا إليك بعد معانيتهم الآيات الدالة على حقيقة ما

(1) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد، الفقيه والمتفقه، 2/ 49.

جئتهم به، يجادلونك، فيقول هؤلاء الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها، بعد بيانك لهم الحق: ما هذا إلا أساطير الأولين⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]، أي الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحُجج بغير دليل وحجة معهم من الله، فإن الله يَمَقِّتُ على ذلك أشد المَقْت؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: والمؤمنون أيضًا يبغضون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته، يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكراً؛ ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ﴾ أي: على اتباع الحق⁽²⁾.

● الاستكبار عن قبول الحق بعد وضوح دلائله وشواهد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: 7]، قيل: نزلت في النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة فيشتري كتبًا فيها أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة، ويقول: إن محمدًا يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم حديث فارس والروم، وأقرأ عليكم كما يقرأ محمد أساطير الأولين⁽³⁾، ومعنى ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: أي إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولَّى عنها وأعرض وأدير وتصام وما به من صمم، كأنه ما يسمعها؛ لأنه يتأذى بسماعها، إذ لا انتفاع له بها،

(1) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، (ت: 310هـ)، (11/ 308)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ-2000م.

(2) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 7/ 144.

(3) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 3/ 440. والزنجشيري، محمود بن عمرو، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 3/ 490.

ولا أرب له فيها ⁽¹⁾. وقال تعالى أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:56]، أي إن الذين يجادلون بغير حجة ولا برهان، ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به؛ حسدًا منهم على الفضل الذي آتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها، وهذا الأمر الذي حسدوك عليه ليسوا بمدركيه؛ لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ⁽²⁾.

● التمسك بجُحجٍ واهية عند عجزهم عن المواجهة؛ تعصُّبًا وعنادًا منهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:7]، يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم، وإنما تعللوا بقولهم: مال هذا الرسول يأكل الطعام، يعنون كما نأكله، ويحتاج إليه كما نحتاج إليه، ويمشي في الأسواق - أي يتردد فيها وإليها - طلبًا للتكسب والتجارة، فقالوا: هلا أنزل إليه ملك من عند الله فيكون له شاهدًا على صدق ما يدعيه، وهذا كما قال فرعون: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف:53]، وكذلك قال هؤلاء على السواء، تشابحت قلوبهم، ولهذا قالوا: أو يلقي إليه كنز، أي علم كنز ينفق منه، أو تكون له جنة يأكل منها، أي تسير معه حيث سار، وهذا كله سهل يسير على الله، ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة ⁽³⁾.

● الاستهزاء والسخرية بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وبالآيات التي أنزلت عليهم، قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس:30]، يعني إذا جاءهم الرسل كذبوهم، فإذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وما التفقوا

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/ 332.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 21/ 404.

(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/ 87.

إليها؛ استهزاءً بها، وتقليلاً من شأنها⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ [البقرة:14]، أي إذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين أظهروا لهم الإيمان والموالة، غروراً منهم للمؤمنين ونفاقاً وثقياً، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم، فإذا انصرفوا وذهبوا إلى شياطينهم - يعني سادتهم وكبراءهم ورؤساءهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين - قالوا لهم: إنا على مثل ما أنتم عليه، إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم⁽²⁾.

● تقديس ما ورثوه من كفر الآباء والأجداد، وعدم الانفتاح لتقبل الأدلة والبراهين المثبتة لفساد ما ذهبوا إليه واعتقدوه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [هود:109]، يخبر الله تعالى في هذه الآية أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعاً منهم منهاج آبائهم، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتها، لا عن أمر الله إياهم بذلك، ولا بحجة تبيينها توجب عليهم عبادتها⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوَّلَوْ كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170]، فإنه لما دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورجبهم فيه، وحذرهم عقاب الله ونقمته، قال له رافع بن خارجه، ومالك بن عوف: بل نتبع ما أفقينا عليه آبائنا؛ فإنهم كانوا أعلم وخيراً منا، فأنزل الله فيهما هذه الآية، معقباً على قولهم بقوله سبحانه: ﴿أَوَّلَوْ كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، والمعنى: أتبعون آبائهم وإن كانوا جهالاً لا يعقلون شيئاً من أمور الدين؛ لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا

(1) ينظر: الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 26 / 287.

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1 / 182.

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 15 / 491.

فقط (1).

● رؤية الأمور وتصورها على غير حقيقتها، فاختلال الموازين والمعايير يحدث عندما يفسد التصور للشيء بسبب غلبة التعصب، فيمدح من يستحق الذم، ويذم من يستحق المدح، وهذا ما حدث مع كفار قريش، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ الَّذِينَ آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13]، ويقصدون بالسفهاء هنا أصحاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وإنما عنى المنافقون بقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء، إذ دعوا إلى التصديق بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به من عند الله، والإقرار بالبعث، فقبل لهم: آمنوا كما آمن أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين به، وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وفي كتابه وباليوم الآخر، فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم: أنؤمن كما آمن أهل الجهل؟ ونصدق بمحمد - صلى الله عليه وسلم - كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام؟ وهذا ديدنهم في تصوير الأمور على غير حقيقتها؛ تعصُّباً منهم في عدم قبول الحق والاعتراف به (2).

● بثُّ الشائعات المغرضة؛ للنيل من المخالف، وزعزعة ثقة الناس به، كما فعل المنافقون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]، وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشون ويحدثون به قبل أن يُحدث به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيضعفون به قلوب المؤمنين، قال المفسرون: وذلك سبب

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 15 / 491. والبعوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البعوي، 1 / 198.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 1 / 293.

للضرر من وجوه: أحدها: أن مثل هذه الإرجافات لا تنفك عن الكذب، وثانيها: إن كان ذلك الخبر من جانب الأمن زادوا فيه زيادات كثيرة، فإذا لم توجد تلك الزيادات، أورت ذلك شبهة للضعفاء في صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن المنافقين كانوا يروون تلك الإرجافات عنه، وإن كان ذلك الخبر خوفاً، تشوش الأمر على ضعفاء المسلمين بسببه، ووقعوا في الحيرة والاضطراب، فكان ذلك سبباً للفتنة، وثالثها: أن العداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين وبين الكفار، فكان كل واحد من الفريقين يجتهد في إعداد آلات الحرب وانتهاز الفرصة، فكل ما كان أمناً لأحد الفريقين، كان خوفاً للفريق الثاني (1). وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعُزُّبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61]، فالهاء في قوله: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، عائدة على القرآن، والمعنى: إذ تشيعون فيه الكذب (2).

● العجلة في إصدار الأحكام ضد المخالف له في الرأي، فيرميه بالكفر أو الفسق أو الجهل، بل يتجاوز الأمر مداه، فإذا توفي يقول: مستراخ منه أو لا غفر الله له أو لا أدخله الله الجنة، وغيرها من عبارات التعصب المنافية لهدي القرآن في التعامل مع المخالف، فالله سبحانه أمر نبيه - عليه الصلاة والسلام - بالحسن في مجادلة الخصوم، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 10/ 153. والنعماني، عمر بن علي، الباب في علوم الكتاب، 6/ 521.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 15/ 115. والقرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 8/ 356.

أمر الله تعالى موسى وهارون - عليهما السلام - حين بعثهما إلى فرعون فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:44]. ولهذا جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن جندب، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدث "أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أعفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك" (1).

● الأخذ بالتشديد في مواطن التيسير، وهو المعبر عنه في القرآن بالغلو، الذي هو مجاوزة الحد في كل شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:77]، أي: يا معشر اليهود والنصارى لا تتجاوزوا الحد في دينكم، وتفراطوا كما افترط أسلافكم، فتقولوا عن عيسى إنه إله، أو ابن إله، وغلو اليهود قولهم في عيسى إنه ليس ولد رشدة - أي هو ابن زنا - وغلو النصارى قولهم إنه إله، ولهذا جاء التوجيه بعدها بأن لا يتبعوا أسلافهم وأئمتهم الذين كانوا على الضلال قبل بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأضلوا كثيراً من الخلق بإغوائهم لهم، وضلوا عن الطريق الواضح المستقيم، قال القرطبي (2): (وتكرير ضلوا للإشارة إلى أنهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد، والمراد الأسلاف الذين سنوا الضلالة وعملوا بها من رؤساء اليهود والنصارى) (3)، ونصوص القرآن الكريم بمجموعها تحث على الأخذ بمبدأ التيسير في كل الأحكام الشرعية، ففي قوله تعالى:

(1) مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، 4 / 2023، باب: النهي عن تقنين الإنسان من رحمة الله تعالى.

(2) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر، (671هـ = 1273م)، الأنصاري الأندلسي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمصر، وتوفي فيها. من كتبه الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتقريب لكتاب التمهيد، وغيرها. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، 2 / 87. والزركلي، الأعلام، 5 / 322.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 6 / 252.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، دلالة واضحة على ذم التشدد والغلو، فالتيسير من أصول الشريعة الإسلامية، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يأمر به أصحابه الذين يرسلهم لنشر الدين، فقال لمعاذ وأبي موسى: «يسرا ولا تُعسِّرا»⁽¹⁾، وقال: «إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»⁽²⁾، وقال لمعاذ - رضي الله عنه - لما شكوا بعض المصلين خلفه من تطويله: «أفتان أنت؟»⁽³⁾.

● سوء الظن بالمخالف، فلا يرى في مخالفه الأعمال الحسنة، بل ينصب جهده في الاتهام له بالباطل، فيمتلئ قلب المتعصب بالعداوة والبغضاء، وسوء الظن أصلٌ للإفساد والتكذيب، ولهذا دعانا القرآن الكريم إلى اجتنابه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(1) والحديث عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، قال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تحتلفا. البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه = صحيح البخاري، 4/ 65، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه. وصحيح مسلم، 3/ 1359، باب: في الأمر بالتيسير، وترك التنفير.

(2) والحديث عن أبي هريرة، قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين. صحيح البخاري، 1/ 54، باب: صب الماء على البول في المسجد.

(3) والحديث عن جابر قال: كان معاذ يصلي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يأتي فيؤم قومه، فصلّى ليلة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - العشاء ثم أتى قومه فأمهم، فافتتح بسورة البقرة، فأنحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له: أنا فقت يا فلان؟ قال: لا والله، ولأتين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على معاذ فقال: يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ بكذا وقرأ بكذا. صحيح البخاري، 1/ 142، باب: من شك إمامه إذا طوّل. وصحيح مسلم، 1/ 339، باب: القراءة في العشاء.

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ... ﴿[الحجرات:12]﴾، ووجهنا إلى تقديم حسن الظن على سوء الظن فقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:12].

المطلب الثالث: أسباب التعصب الفكري ونتائجه:

أولاً: أسباب التعصب الفكري: وأبرز هذه الأسباب هي:

- قلة المعرفة بالأحكام الشرعية، والأخذ بظواهر النصوص، وعدم استيعاب وفهم مقاصد الشريعة الإسلامية، ولهذا يقال: من اتسع علمه قلَّ إنكاره، فإن أقلَّ الناس علمًا هم أكثرهم إنكارًا؛ لأنهم يتصورون أن العلم هو ما أحاطوا به، فيسارعون في الإنكار على من خالفهم، ولقد ذمَّ الله تعالى الجاهلين في مواطن كثيرة في القرآن، فقال تعالى في وصف مسلمة أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصاص:55]، والمعنى: لا يجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم، فقولهم: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾، أي: لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابقتهم⁽¹⁾، فالجهل هو السبب الرئيسي للانحراف الفكري، والتعصب هو النتاج الطبيعي له، وقد بين الله تعالى أن الجدال المقرون بالجهل كيف يكون؟ والجدال بالحجة والبرهان كيف يكون؟ وتبَّه على الفرق بين البيانيين فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر:19]، أي: ما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئًا بسبب جهله، وهذا مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينه فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء، ويؤمن به، والبصير الذي يرى بعينه ما شُحِّصَ لهما ويبصره، وذلك مثل المؤمن الذي يرى بعينه حُجج الله فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه وعظيم سلطانه⁽²⁾.

- ترك المُحكم واتباع المُتشابه، فإن الانشغال بالتكلف في الاستنباط واتباع المُتشابه لِرَدِّ

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 19/ 598.

(2) ينظر: القاسمي، محمد بن محمد، محاسن التأويل، 8/ 315.

المُحكم هو أحد الأسباب المؤدية أيضًا إلى التعصّب، ولقد ضلَّ أهل الكتاب من قبلنا بهذا الأمر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:7]، قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران، حين قدم وفدهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فحاججوه وخاصموه في عيسى - عليه السلام - وقالوا: ألسنت تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: فحسبنا، فأنزل الله فيهم قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾، ثم إن الله جل ثناؤه أنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:59]، وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية في أبي ياسر بن أخطب، وأخيه حُيي بن أخطب، والنفر الذين ناظروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قدر مدة أكله وأكل أمته، وأرادوا علم ذلك من قبل قوله: الم، والمص والمر، والر، فقال الله جل ثناؤه فيهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، يعني هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق، فينشغلون بتتبع معاني هذه الحروف المقطعة المحتملة التصريف في الوجوه المختلفة التأويلات؛ ابتغاء الفتنة، وقال آخرون: بل عني الله تعالى بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله سيدنا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بتأويل يتأوله من بعض آي القرآن المحتملة التأويلات، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك، إما في كتابه وإما على لسان رسوله (1)، وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تلا عليهم هذه الآية، فقال: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى الله،

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 6/ 186.

فاحذروهم" (1).

- طلب العلم عبر المطالعة في الكتب فقط، دون الرجوع إلى أهله؛ لبيان ما أشكل، وتفسير ما أُبهم، فالاستقلالية بالقراءة من الكتب فقط فيها من المخاطر الكثيرة، لعل من أجلها الفهم غير الدقيق، والذي يولد تعصباً مقيتاً عند صاحبه، والعلم له أدواته ووسائله، ومن أركانه وجود شيخ يُصَوَّب لك الخطأ، ويُقَيَّد لك المطلق، ويُخَصِّص لك العام، ويحفظ عليك الوقت والجهد، وما أخذ أحد العلم من الكتاب - دون مُعَلِّم - إلاَّ ضل، قال الدكتور محمد حسن هيتو: "... ولقد كان الناس في الماضي يتندرون بما وقع من تصحيف، وتحريف، وسوء فهم لمن أخذ العلم من الكتاب، دون وجود المعلم أو المرشد، مما صار حكاية أو طُرفة يُتَنَدَّرُ بها في مجالس العلم، وفي نفس الوقت تكون حكمة، يُتَوَخَّى بها التأكيد على التلقي السليم للعلم، بالطرق السليمة، ولقد دوّن أصحاب الحواشي الكثير من هذه النوادر في حواشيهم على الكتب؛ لما ذكرنا من الحكمة؛ وللترفيه عن طالب العلم إذا دقت المسألة، واحتدم حولها النقاش، واشتد النزاع، فطالما قرأنا وسمعنا عن الذي حَرَفَ قوله - صلى الله عليه وسلم - : «المؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ» (2)، ونقله بقوله: المؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ، وقرأ بعضهم قول الفقهاء عن صفة القبر، وأنه يستحب أن يسوَّى اللَّبَنُ تحته، فلما حضر دفن أحد الموتى، أحضر معه قِدر

(1) صحيح البخاري، 6/ 33، باب: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾. وصحيح مسلم، 4/ 2053، باب:

النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن.

(2) والحديث عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : المؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ حذر. القضاعي، محمد بن سلامة 1/ 107، باب: المؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ حذر. قال العجلوني: رواه الديلمي والقضاعي عن أنس رفعه، وهو ضعيف، وللدليمي عن أنس أيضاً بلفظ: المؤمن فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل، عالم ورع، والمنافق همزة لمزة حطمة، لا يقف عند شبهة، ولا عند محرم، كحاطب ليل لا يبالي من أين كسب، ولا فيما أنفق، وأخرجه البخاري في تاريخه عن كعب بن عاصم بمثله؛ إلا أنه زاد كَيْسٌ كما في الترجمة، ولم يقل كحاطب ليل.. إلى آخره. العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس.

لبن وأراقه في القبر، فلما قيل له في هذا، قال: لقد قرأتُ هذا في الكتاب، وأنه يُندب أن يسوي اللَّبَنُ في القبر قبل الدفن، وليبرهن على صدق كلامه، أحضر الكتاب، فكان البرهان على سوء فهمه، وقرأ بعضهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إذا سمعتم النداء إلى الصلاة، فلا تأتوها وأنتم تَسْعَوْنَ، ولكن اتوها بِسَكِينَةٍ ووقار»⁽¹⁾، والكتابة في الماضي لم تكن منقطة كالكتابة في الوقت الحاضر، ولم يكن قد تلقى الحديث عن الشيوخ، وإنما بفهمه وهمنه، فقرأه: ولكن اتوها بِسَكِينَةٍ وفار، فوضع في جيبه سَكِينَةً وفاراً وذهب بهما إلى المسجد، والنوادر من هذا القبيل كثيرة جداً، يمكن أن يُصنَّف فيها كتاب كامل، يكون حافلاً بعجائب مما يمكن للجهل أن يظهره ويفعله، وللعقل أن يقف عليه ويتأمله، ليرى من خلاله أثر نعمة الله على عباده بالعقل، ونعمة الهداية بثقافته بالطريق السليم للعلم والثقافة"⁽²⁾، فهذه الوقائع وغيرها تكشف أهمية وجود الأشياخ، فقد ذكر أهل العلم أن الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتذة، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، وقد قيل: من دخل في العلم وحده؛ خرج وحده؛ أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ؛ خرج منه بلا علم.

- الارتباط بالأشخاص والانتصار لهم، لا بالحق والدليل، وقد قال الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : "الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما يُعرف الرجال بالحق"⁽³⁾،

(1) والحديث كما في موطأ مالك، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إذا تُؤب بالصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم بالسكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا، فإن أحدكم في الصلاة ما كان يعمد إلى الصلاة. مالك بن أنس، الأصبحي المدني، موطأ الإمام مالك، 72/1، باب: ما جاء في النداء.

(2) محمد حسن هيتو، المتفهبون، ص 32.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/340. والمناعي، زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 1/17.

وهذا المعنى يُغفله المتعصّب، فتجده يجعل بعض الرجال وقوله حجة على غيره، من غير نظر في الأدلة ودالاتها، والأصل أن الحق يُقبل لكونه موافقاً للدليل وإن جاء ممن يخالفه الرأي، ولما دلّ الشيطانُ أبا هريرة - رضي الله عنه - إلى آية الكرسي؛ لتكون حرجاً له، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «صدقك وهو كذوب»⁽¹⁾، وأهل السنة والجماعة يقبلون من كل الطوائف ما يرونه في نظرهم موافقاً للصواب، ويردون ما يرونهم مخالفًا، من غير تجريحٍ وتشكيكٍ في نوايا المخالف وصدق وجهته لطلب الحق، ولكن أهل التعصّب إذا استشهدت أمامهم بقول عالمٍ من العلماء في مسألة، يحتجّ عليك بأن هذا العالم قد أخطأ وجانب الصواب في مسألةٍ أخرى، فالحق عند هؤلاء معتبرٌ بالرجال؛ فلو سلّم لهم أن العالم الفلاني أخطأ في هذه المسألة، فهذا لا يلزم منه أنه يخطئ في كل المسائل، وفريق آخر من أهل التعصّب يسلك - بناءً على هذه القاعدة - مسلكاً مضاداً، فيتبادر إلى ذهنه عند قولك: الحق لا يعرف بالرجال، عدم الاعتراف بأهل العلم قاطبة واجتهاداتهم في المسائل، ويقول زاعماً: هم رجال ونحن رجال، ولا يدري أنه إنما عُرف الحق عن طريق نقل الرجال، ولولا أن أحدنا وقَفَ على ما نقله له العلماء والحكماء والفقهاء والثقات من الرواة؛ لما أمكنه بحالٍ من الأحوال أن يعرف الحق الذي يظن أنه هو الحق، قال الشاطبي⁽²⁾: "إذا ثبت أن الحق هو المعترى دون الرجال، فالحق

(1) والحديث رواه البخاري، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: وكلفني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الحديث -، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : صدقك وهو كذوب ذاك شيطان. صحيح البخاري، 4 / 123، باب: صفة إبليس وجنوده.

(2) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، (790هـ = 1388م)، المالكي الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق، محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر، مات في شعبان، من مؤلفاته: عنوان التعريف بأسرار التكليف، الموافقات في أصول الأحكام، وعنوان الاتفاق في علم الاشتقاق، والاعتصام. ينظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، 1 / 118.

أيضاً لا يعرف دون وسائطهم، بل بهم يُتوصَّل إليه، وهم الأدلاء على طريقه" (1)، ولهذا إذا نظرت إلى أي علم من العلوم، فلا تجد سبيلاً إلى معرفة هذا العلم أو الاطلاع عليه إلا بالتلقي عن الشيوخ أو مطالعة الكتب، وكلاهما معرفة للحق بمعرفة الرجال، وليس من الصواب أن تقول: يكفي كتاب الله، فالله عز وجل إنما أنزله ليبينه لنا أعظم رجل، وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44]، ثم تناقل هذا الفهم عنه رجالٌ عن رجالٍ حتى وصل إلينا.

● اختلاط المفاهيم، وعدم الإمام الجيد بدلالات الألفاظ، أو الجهل في التفريق بين النصوص التي دلالتها على الأحكام قطعية، والأخرى التي دلالتها على الأحكام ظنية، واعتبار القسم الثاني هو محل النظر والاجتهاد، والمصيبُ فيه من العلماء له أجران والمخطئ له أجر واحد، بل هناك من العلماء من اعتبر أن كل مجتهد في هذه الفروع مصيب، وقالوا: بأن المسائل التي لا نصَّ فيها، ليس الله تعالى فيها قبل الاجتهاد حكمٌ معين، بل حكمُ الله تعالى فيها تابع لظنِّ المجتهدين (2)، فجهل المتعصب بهذه المفاهيم يوقعه في خطر عظيم، ومشكلة فكرية كبيرة؛ وذلك باعتقاده أن كل دلالات النصوص قطعية، فهي لا تحتل الخلاف، ولا يمكن فيها إلا قولاً واحداً، ولهذا لا يفقه أن المذهب الذي ينتمي إليه غالب مسائله ظنية؛ لأن مبناها على الاجتهاد، وهذا يعني أنه يجوز لغيره أن يقلد إماماً آخر يرى الصواب فيما ذهب إليه، أما النصوص التي دلالتها على الأحكام قطعية، فهذه لا مجال للاختلاف فيها، وهي من القواسم المشتركة التي ينبغي أن تكون سبباً في جمع المسلمين على كلمة سواء؛ تطبيقاً للقاعدة المشهورة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

● سؤال غير أهل العلم، واعتبار مجرد إقامة المظهر العام للتدئين يُعطي الحق لصاحبه في

(1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، 2/ 880.

(2) الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، ص 399.

التكلم بأمر الدين، وهذا سلوك خطير، نَبَّهَ الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، أي: لا تقل سمعتُ ولم تسمع، ورأيتُ ولم تر، وعلمتُ ولم تعلم⁽¹⁾، كما بين القرآن الكريم أن نتوجه بالسؤال لأهل العلم والاختصاص، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، فأرشدنا القرآن الكريم إلى اللجوء لذوي الخبرة وأهل الاختصاص كلٍّ في مجال تخصصه، والمراد بأهل الذِّكْر هنا: هم أهل التخصص والعلم والخبرة في كل فنٍّ وعلمٍ؛ وهذا مبني على عموم لفظ الآية الكريمة لا على خصوص سببها؛ وحملُ اللفظ على عمومته - كما هو مقرر - أولى، إلا ما خصَّه الدليل⁽²⁾، كما عَلَّمَنَا النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضًا احترام التخصص؛ فبرغم علمه - صلى الله عليه وسلم - الرباني، إلا أَنَّهُ كان يستشير المتخصصين من الصحابة في كافة الشؤون الدنيوية؛ ليعلمنا اللجوء إلى أهل التخصص، وكان - صلى الله عليه وسلم - يُنَوِّه بتخصصات أصحابه الكرام؛ إشادة بهم؛ ولتنبيه الناس حتى يكونوا على بَيِّنَةٍ من صاحب كلِّ تخصص؛ فيلجؤوا إليهم عند الحاجة، وقد قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : "لا يزالُ الناسُ بخير ما أتاَهُمُ الْعِلْمُ من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، ومن أكابَرِهِم، فإذا جاء الْعِلْمُ من قِبَلِ أصَاغَرِهِم فذاك حين هلكوا"⁽³⁾.

● الإعجاب بالذات والتكبر، وهو الامتناع عن قبول الحق، وقد توعَّد الله تعالى بالعقاب الشديد لمن كان هذا حاله، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 20/ 339. والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 17/ 446.

(2) ينظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، 5/ 67.

(3) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، 9/ 114.

[الأعراف:146]، أي: سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها لعنادهم الحق، فعوقبوا بجرمان الهداية، وهذا كقوله: ﴿... فَلَمَّا رَأَوْا أَرْغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف:5]، ومعنى يتكبرون في الآية: أي يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم؛ فصرفهم الله عن الاعتبار بما في هذه الآيات، وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾، يعني: الهدى والبيان الذي جاء من الله، ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أي: ديناً، وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ أي: طاعة الشيطان وضلالته، يتخذوه سبيلاً، أي: ديناً، وقد فعل الله ذلك بهم لأنهم كذبوا بالآيات، أي: جحدوا الإيمان بها، وكانوا عن النظر فيها والتدبر لها غافلين، وقد صوّر القرآن الكريم مثلاً آخر لتكبر المشركين عن قبول الحق والإذعان له، فقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:11]، أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون بلالاً وعماراً وصهيباً وخباباً، وأشباهم وأقراهم من المستضعفين والعبيد والإماء؛ وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية، وقد غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً، وأخطئوا خطأً بيناً، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:53]، أي: يتعجبون: كيف اهتدى هؤلاء دوننا؛ ولهذا قالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، فهذه الآيات وغيرها تصويرٌ حكاة القرآن عن خطورة الإعجاب بالذات، وأنه السبب الرئيسي للتعصب وعدم قبول الحق.

- القداسة للنص لا للفهم، فإن الأقوال أو الأفهام للنصوص لا تحمل في ذاتها صفة القداسة، بل تعظم بمقدار ما وافقت فيه النص، فعدم التفريق بين الأمرين - النص وفهمه - من حيث القداسة؛ يجعل المتعصب ينظر إلى كلام إمامه أو شيخه على أنه ملكٌ معصوم، وإن لم يصرح بذلك، لكن عند التطبيق لا يعرف خطأً لشيخه أو إمامه، فأقوال شيخه دينٌ لا ينبغي مخالفته، وهذا مظهر من مظاهر التعصب؛ لأنه قد يتبع

الباطل ويدفع الحق دون أن يشعر، والمتعصب بصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، فيحسب أن ما نشأ عليه هو الحق المطلق الذي لا يهتمل أدنى خطأ، وما أقل أن تجد منصفاً غير متعصب في هذا الزمان.

ثانياً: نتائج التعصب الفكري: وأبرزها كما يأتي:

● لا يمكن للمتعبب أن يرى الواقع على حقيقته؛ لأنه يرى فقط ما يميل إليه، وأما الرأي المخالف له فهو لا يعبأ به ولا يستمع له، وكأن على عينيه غشاوة، وفي أذنه صمم، قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الرؤف:40]، أي: أفأنت يا محمد تُسمع من قد سلبه الله استماع حُججه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصممه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره، واستحوذ عليه الشيطان، فزين له الردى، ومن كان في ضلال مبين، أي: في جورٍ عن قصد سبيل الحق⁽¹⁾.

● التعصب الفكري يحمل صاحبه إلى النظر لمن خالفه الرأي نظرة دونية، فيدفعه إلى استباحة دمه وماله وعرضه، وإن كان لا يقصد هذا الأمر مباشرة، ولكن من خلال إصداره الفتوى بتكفيره، وهو بهذا يكون قد استباح كل شيء من حيث لا يشعر، وهذا باب شرٍ عظيم، وقد حذر القرآن الكريم أشد التحذير من إطلاق الحكم بالكفر على المسلم بغير بينة واضحة لا إشكال فيها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:94]، قال الإمام الرازي⁽²⁾: "اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين، وأمر المجاهدين بالتثبت فيه؛ لئلا يسفكوا دمًا حرامًا بتأويل

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 21/ 608.

(2) ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى. وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، 11/ 79.

ضعيف" (1)، ونقل الرازي أيضًا إجماع المفسرين على أن هذه الآيات إنما نزلت في حق جماعة من المسلمين لقوا قومًا فأسلموا، فقتلوه، وزعموا أنهم إنما أسلموا من الخوف، وبَيَّن أنه على هذا التقدير فتكون الآية قد وردت في نهي المؤمنين عن قتل الذين يظهرون الإيمان (2).

● التعصُّب الفكري يقطع النسيج الاجتماعي، ويوسع هوة الخلاف، ويعمل على زعزعة التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، كما يلغي أواصر الحُب والمودة بينهم، وباستقراء وتتبع آيات القرآن الكريم نجد أنَّ التعايش السلمي مقصد قرآني وقيمة حضارية رفيعة، دعا إليها الذكر الحكيم في إطار سياقات قرآنية مختلفة تحمل في مجملها معاني ودلالات واسعة وعميقة بشأن ترسيخ قيم التعايش والتعارف والتآلف والسلام والمحبة والتعاون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208]، ومن الشواهد القرآنية التي نستدل بها على عظيم اهتمام الدين الإسلامي على ضرورة تحقيق مبدأ السِّلْم في العالم، هو ما أكدت عليه الإشارات القرآنية، حيث ورد مصطلح (السَّلَام) في القرآن الكريم أكثر من مرة، منها أنها صفةٌ لله تعالى، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ...﴾ [الحشر: 23]، وصفةٌ للأنبياء والرسل، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 181]، وصفةٌ للمؤمن، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا...﴾ [النساء: 94]؛ ومن أجل هذا كله ينبغي نبذ التعصُّب حتى لا نفقد هذه النعمة التي يسعد فيها الإنسان بتعايشه مع أخيه الإنسان دون مشكلات ومنغصات، وكما قيل: إن القرآن يمنح الحق في الدفاع عن النفس، لكنه مع ذلك يدعو للتخلي التام عن العنف.

- التعصُّب الفكري يذكي النزاعات ويُطيل أمد الخلاف، مما يتسبَّب في ضعف المجتمع وتفككه، وقد جاء الربط في القرآن الكريم بين لفظي (التنازع) و(الفشل) في ثلاثة مواضع،

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، 11 / 189.

(2) ينظر: المرجع السابق، 10 / 183.

ففي غزوة أحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ...﴾ [آل عمران: 152]، وفي غزوة بدر، قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [الأنفال: 43]، وأخيراً قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، فقد بين تعالى أن النزاع يوجب أمرين: أحدهما: الفشل والضعف، والثاني: ذهاب الريح، أي: الدولة، وقيل: النصر⁽¹⁾، فهذا إخبار واضح، ونهي جازم، وسنة ثابتة، يدلُّ على أن الفشل والتراجع - على مستوى الأمة أو الأفراد - إنما مرجعه إلى التنازع والاختلاف؛ إذ العلاقة بين الأمرين علاقة تلازمية.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (15 / 489).

المبحث الثاني

معالجة النصوص القرآنية لمشكلة التعصب الفكري

المطلب الأول: ذم التعصب الفكري في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تتحدث عن مشكلة التعصب الفكري، وقد جاء مساقها في القرآن على سبيل الدّم، فتارةً يقع على صفة التعصب مباشرة، وتارةً يقع الدّم على من يتّصف به، ونورد بعضاً منها على سبيل التمثيل، وبما يتلاءم مع إيصال الفكرة المطلوبة.

- قوله تعالى حكاية عن إبليس، عندما قارن بين نفسه وآدم - عليه السلام - حيث أخبر الله عنه أنه قال: ﴿... أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص:76]، فاستعمل قياساً غير معتبر للوصول إلى نتيجة رفض أمر الله بالسجود لآدم - عليه السلام - فصرّح بأن النار أفضل من الطين، وبناءً على ذلك رفض الأمر، وهذا نوع من الإستعلاء والتكبر الناتج عن التعصب، وبهذا الفعل استحق إبليس غضب الله الأبدي، قال تعالى له: ﴿... فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر:34. 35].

- قوله تعالى حكاية عن مشركي الجاهلية من جبابرة قريش ومستكبريها: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:26]، فإن الرافضين لدعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كان سبب رفضهم هو تعصبهم لأهلتهم التي كانوا يعبدونها، وهذا التعصب المذموم هو الذي منعهم من الإيمان بالإسلام ونبىء الكريم، وهذه الآية الكريمة تحكي ما كان من المشركين عند كتابة صلح الحديبية وتوثيقه، وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا عليّاً - كرم الله وجهه - فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اكتب باسمك اللهم،

فكتبها، ثم قال - عليه الصلاة والسلام - : اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، إلى آخر ما جاء في كتاب الصلح، وكأن الله سبحانه وتعالى هنا يقول: أي: يا محمد تذكّر، وذكّر المؤمنين بذلك الوقت الذي ملأ فيه الكافرون قلوبهم كبراً وأنفة، بعدت بهم عن الحق، ونأت عن الصراط المستقيم، حيث لم يذعنوا لما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورفضوا الإقرار بالبسملة والتسليم برسالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يرضوا بكتابة ما أملاه - صلى الله عليه وسلم - في ورقة صلح الحديبية، ولكن الله برعايته ولطفه أدرك المؤمنين بكرم عطفه وعظيم فضله، فأنزل الطمأنينة والوقار والحلم عليهم، وثبتهم وأرضاهم وشرح صدورهم (1).

● قوله تعالى بحق العلماء الذين يعرفون الحقائق الهادية إلى الطريق المستقيم، ثم يفعلون خلاف ذلك؛ ممّا يؤدّي إلى ضياع الناس وانحرافهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِمَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:5]، فإن العالم بعد معرفته الحق، لا يجوز له التعامي عنه، فالقرآن توعّد من يُصِرُّون على ما هم عليه من الأفكار الضالة أو المنحرفة؛ تعصّباً لها بدون وجه حق، وشبههم بالأنعام، بل هم أضلّ منها، وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية منته على هذه الأمة، الذي ابْتُعِثَ فيهم النبي الأمي، وما خصّهم الله به من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون والأخبار المتقدمون، حمّلهم الله التوراة، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها، ولكنهم لم يقوموا بما حمّلوا به، فلا فضيلة لهم، ومثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق

(1) ينظر: الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، 3/ 210.

ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، وفيها الأمر باتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم، فيكون معنى الآية: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، الدالة على صدق رسولنا وصدق ما جاء به، والله لا يرشد الظالمين إلى مصالحهم؛ ما دام الظلم لهم وصفًا، والعناد لهم نعتًا، ومن ظلم اليهود وعنادهم أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس (1).

● قوله تعالى في ذم تعصّب الأقوام السالفة بعضها ضد بعض: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113]، وهذه الآية نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي - صلى الله عليه وسلم - اتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى: وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب، وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، وقيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف، فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل، كذلك قال الذين لا يعلمون، يعني: آباءهم الذين مضوا، مثل قولهم، يعني عوام النصارى، وقيل: مشركي العرب، أي: كذلك قالوا في نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء من الدين، فالله يحكم بينهم يوم القيامة، أي: يقضي بين الحق والمبطل، فيما كانوا يختلفون

(1) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 862.

فيه من الدين.

- كما ذمّت النصوص القرآنية عددًا من الأقوام السابقة، كذبوا أنبياءهم، واتهموهم بالجنون والسّفه وغيرها من الشائعات الباطلة؛ نتيجة ما كان عندهم من التعصّب لما هم عليه من الإِشراك بالله تعالى، وعدم الخضوع للحق والاعتراف به، فنذكر على سبيل التمثيل، ما يلي: قال تعالى عن نوح - عليه السلام - مع قومه: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:7]، أي: كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كل ما سواك؛ لتغفر لهم، جعلوا أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعو دعائي إياهم إلى ذلك، وتغشوا في ثيابهم، أي: تغطوا بها؛ لئلا يسمعو دعائي، وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه، وتكبروا فتعاضموا عن الإذعان للحق، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة⁽¹⁾. وقال تعالى عن قوم هود - عليه السلام -: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:70]، أي: أجيئنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين، كي نعبد الله وحده، وندين له بالطاعة، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آبؤنا يعبدونها، ونتبرأ منها؟ فلسنا فاعلي ذلك، ولا نحن متبعوك على ما تدعوننا إليه، فأتنا بما تعدّنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان، إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد⁽²⁾. وقال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - وقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:52-53]، أي: سألهم إبراهيم - عليه السلام - موثقًا ومقرعًا، ألكم عقول؟ كيف تعتكفون وتقيمون على هذه التماثيل ليلكم ونهاركم عابدين؟ فلم يجدوا دليلًا من عقل، ولا برهانًا من كتاب، وإنما التعصّب الأعمى الذي

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 23 / 631.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 10 / 279.

لا يأتي إلا بشرٍ وفساد، فكان دليلهم أنهم وجدوا آباءهم قبلهم يعبدونها، ويعكفون عليها، ويتخذونها آلهة من دون الله، تلك هي حجتهم ولا حجة لهم غيرها، وقد دلت على سخافتهم، وفساد عقولهم⁽¹⁾. وقال تعالى عن قوم موسى - عليه السلام -: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِرْيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 78]، فعللوا عدم قبولهم دعوة موسى - عليه السلام - بأمرين: التمسك بالتقليد للآباء، والحرص على الرياسة الدنيوية؛ لأنهم إذا أجابوه وصدقوه صارت مقاليد أمر أمته إليه، ولم يبق للملك رئاسة تامة؛ لأن التدبير للناس بالدين يرفع تدبير الملوك لهم بالسياسات والعادات، ثم قالوا: وما نحن لكم بمؤمنين، تصريحاً منهم بالكذب، وقطعاً للطمع في إيمانهم⁽²⁾.

المطلب الثاني: طرق معالجة النصوص القرآنية لمشكلة التعصب الفكري:

أنزل الله القرآن هدى للناس، وشفاء لما في الصدور، وأمر عباده المؤمنين بتدبره والعمل بما فيه، ورغبهم في ذلك بذكر ما يترتب عليه من فلاح في الدنيا والآخرة، كما حذرهم من الإعراض عنه، وأخبرهم في أكثر من موضع عن أثر هذا القرآن العزيز في تركية النفوس وتغييرها، ولقد عاجلت نصوصه المباركة قضايا كثيرة ومتشعبة، لعل من أبرزها قضية التعصب

(1) وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تسفيه رأي الكفار، وبيان شدة ضلالهم في تقليدهم آباءهم هذا التقليد الأعمى، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، [البقرة: 170]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، [المائدة: 104]، وأوضح تعالى في سورة لقمان، أن ما وجدوا عليه آباءهم من الكفر والضلال طريق من طرق الشيطان، يدعوهم بسلوكها إلى عذاب السعير، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، [لقمان: 21]، والآيات يمثل ذلك كثيرة. ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 7/ 100.

(2) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، 2/ 528.

- الفكري، والباحث هنا بصدد ذكر أهم ما ورد من هذه المعالجات، وهي:
- حثَّ القرآن الكريم على استعمال العقل، والاستنارة به، فقد تكرر ذكره في نصوص القرآن بمقام التعظيم، والتنبية إلى وجوب العمل به، وبموازاة ذلك حذَّر من تعطيل العقل الذي هو أساس بناء الفكر السليم؛ لأن تعطيله سببٌ رئيسي ومدخلٌ من مداخل التعصُّب، فأنكر الله تعالى على الذين يعطلون عقولهم، وذمهم في عددٍ من الآيات، وبالغ في ذمهم حتى شبههم بالأنعام، بل هم أضل منها، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44]؛ لأنهم لشدة عنادهم وتعصُّبهم لا يصغون إلى الكلام، وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه، فكأنه ليس لهم عقل ولا سمع البتة؛ فعند ذلك شبههم بالأنعام في عدم انتفاعهم بالكلام، وعدم إقدامهم على التدبُّر والتفكير، وإقبالهم على اللذات الحاضرة الحسية، وإعراضهم عن طلب السعادات الباقية العقلية⁽¹⁾، وقال تعالى في بيان عاقبة من أبطلوا أعمال عقولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10]، أي إننا نلوم أنفسنا ونندم على ما فعلنا، فلو كنا نسمع ما أنزل الله من الحق سماعٌ من يعي، وسماعٌ هداية، أو نعقل عقل من يميز وينظر وينتفع، وعقل هداية، ما كنا من أهل النار، وما كنا عليه من الكفر بالله والضللال، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، والإيمان بما أنزل الله تعالى، والاستماع إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكان جزاؤنا أن كنا من أصحاب السعير⁽²⁾.
 - كما رَغَّبَت نصوص القرآن الكريم في طلب العلم، فكلما ازداد الإنسان علمًا كلما قلَّ تعصُّبه، وقد تكرر ذكر لفظ العلم ومشتقاته في القرآن، بصيغٍ مختلفة وسياقاتٍ متعددة، وكانت أول الآيات التي أنزلها الله على قلب نبيه - صلى الله عليه وسلم - تحضُّ على العلم والتعلم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، والناظر إلى حال

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (24/ 463).

(2) ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 29/ 17.

سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يجد كيف مَنَّ الله عليه بالعلم مرة بعد أخرى، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: 7-8]، فقدّم الامتنان بالعلم على الامتنان بالمال، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، وقال أيضاً: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49]، وأمره بطلبه فقال له: ﴿... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرُّم: 9]، فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم، وقبح الجهل، وقد حذرنا الله تعالى أن نكون من الجاهلين، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35].

- حذّر القرآن أيضاً من اتباع الهوى؛ لأنه لا يقود صاحبه إلا إلى التعصب، فقال في ذمّه والتحذير منه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18]، أي: لا تتبع مالا حجة عليه من أهواء الجاهل ودينهم، المبني على هوى وبدعة⁽¹⁾، والمقصود بهم هنا رؤساء قريش، فإنهم كانوا يعبدون من الأصنام ما يهون، يستبدلون صنماً بصنم، وكانوا يجرون على مقتضى ما يقع لهم، والمؤمن بحكم الله لا يحكم نفسه، وبهذا يتضح الفرق بين المؤمن الذي يجعل هواه تبعاً لأمر الله ورسوله، وبين الكافر، فالذي يعيش على ما يقع له، عابداً هواه، وهو الذي عناه الله بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43]، أي: لم يتخذ لنفسه إلهاً إلا هواه، قال ابن عباس: الهوى إله يُعبد، والمعنى: أنه سبحانه وتعالى بيّن أنّ بلوغ هؤلاء في جهالتهم وإعراضهم عن الدلائل؛ إنما كان لاستيلاء التقليد عليهم وأنهم اتخذوا

(1) ينظر: النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 3/ 302.

أهواءهم آلهة، فكل ما دعاهم الهوى إليه انقادوا له، سواء منع الدليل منه أو لم يمنع⁽¹⁾، ولهذا نفى نبينا - عليه الصلاة والسلام - وجود الإيمان في قلب امرء يحتكم إلى هواه، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به»⁽²⁾.

● نهي الله سبحانه وتعالى في عددٍ من نصوص القرآن الكريم عن النزاع المؤدي إلى الخصام، والذي ينتج عنه الفشل والوهن والضعف، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:46]، فأخبر الله تعالى أنَّ التعصُّب للأفكار والتنازع في الآراء سببٌ للفرقة والخصومة والفشل، وأنَّ طاعته وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وائتلاف قلوب المؤمنين، وثباتهم على دينهم، وعدم تنازعهم، سببٌ للنصر على الأعداء، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ...﴾ [آل عمران:152]، أي: تركتم امتثال أمر الله ورسوله - وهو الائتلاف وعدم الاختلاف - فاختلفتم وتنازعتهم وفشلتهم، وعصيتهم نبيكم - عليه الصلاة والسلام - وتركتم أمره من بعد ما أراكم ما تحبون - وهو خسران أعدائكم - فحصل ما حصل من تفرُّق صفوفكم وقتل بعضكم، وقيل معناها: حتى إذا تنازعتهم في الأمر، فشلتهم وعصيتهم، من بعد ما أراكم ما تحبون، على أنه من المقدَّم الذي معناه التأخير⁽³⁾، ويرى الباحث أنَّ هذا المعنى هو الأقرب للمراد، فالتنازع هو سببُ كلِّ رزية وشوْمٍ حلَّ بالأمة، وقد أرشدنا القرآن إلى ردِّ كل ما تنازع الناس فيه إلى الله ورسوله - عليه الصلاة والسلام - أي إلى الأصول والقواعد المستنبطة من الكتاب والسنة، واعتبر ذلك التحاكم من

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 462 / 24.

(2) الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم، السُّنة، 12 / 1، باب: ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النبي.

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 292 / 7.

شرط الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

• حذرت نصوص القرآن الكريم أيضاً من الغلو؛ لأنه يُعدُّ انحرافاً عن الصراط المستقيم، وطغياناً وخروجاً عن حد الاعتدال؛ لذا جاء ذمه في أكثر من موضع في كتاب ربنا، وبأكثر من لفظ، فتارة يذمه مصرحاً بلفظه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وتارة يعبر عنه بلفظ الطغيان، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: 81]، وأحياناً يعبر عنه بلفظ البغي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، والمعنى الذي تلتقي عليه كل النصوص السابقة وغيرها: أن الغلو مجاوزة لما شرع الله بالزيادة والمبالغة فيه، وهو يشتمل على مخاطر كثيرة تجعله مذموماً في شريعتنا الإسلامية، وإن من أهم أسبابه: ضعف البصيرة بحقيقة الدين، وعدم التعمق في فقهه، وقلة الإحاطة بأسراره ومقاصده، والتمسك بالمظاهر وجعلها المقياس الوحيد لتدين الفرد من عدمه، وغالباً ما يكون هذا الجهل شائعاً بين أنصاف المتعلمين، فتراه يتعصب لمرجعياته الخاصة، ويعتبر كل ما يخالفهم خروجاً ومروقاً، وقد يكون التعصب للرأي، أو لشخص معين يراه المتعصب مصدراً للتشريع، ويضفي على قوله لوناً من القداسة، وقد ابتلي مجتمعنا بهذا الداء العضال، فهو جالبٌ للظلمة، عدوٌ للنور.

• وضع القرآن الكريم للمسلمين في التعامل مع مخالفين في الدين، قانوناً عاماً التزم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون في جميع عصورهم وديارهم، وهو قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [البقرة: 265]، فلم يُجبر أحدٌ على اعتناق الإسلام مكرهاً، بل ترك الناس وما اختاروا لأنفسهم من الدين، كما حثَّ

القرآن الكريم على المعاملة الحسنة مع المسالمين من غير المسلمين، وأحل طعام أهل الكتاب ومصاهرتهم، ودعا إلى مجادلتهم بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ، وقال أيضاً: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ...﴾ [المائدة:5]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [العنكبوت:46]، فالسبيل الذي خطه القرآن الكريم في معاملة غير المسلمين، هو

السبيل الذي يجتمع مع أخلاق الصدق والعدل والإحسان التي فطر الله عليها الناس.

- أرشدنا القرآن الكريم أيضاً إلى أنَّ الاختلاف حقيقة وواقع، ودعانا إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الحوار، واعتبر الإسلام الحوار قاعدته الأساسية في دعوته الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا في كل قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه، وقد أكد القرآن هذا المبدأ بطرق عديدة، فعرض حوار الله مع خلقه بواسطة الرسل، وكذا مع الملائكة ومع إبليس، رغم أنه يمتلك القوة ويكفيه أن يكون له الأمر وعليهم الطاعة، كما أنَّ دعوات الرسل كلها كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم، وقد أطل القرآن في عرض كثير من هذه الحوارات بين الرسل وأقوامهم، ووصف القرآن حالة المشركين النفسية تجاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث كان موقفهم انفعالياً، فجعلوا يردون بالثُّم والتعجب؛ ليرى أنفسهم من عناء التفكير، قال تعالى عنهم: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:4]، فأمر الله تعالى نبيه - عليه الصلاة والسلام - أن يطلب منهم بكل هدوء إبداء الدليل على ما هم عليه من شرك، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنَّتُونِي بَكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَاثَةٌ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف:4]، وإذا عرفنا هدي القرآن في هذا، تبين لنا أسباب التردّي والفشل في

مختلف الحوارات التي تجري في واقعنا المعاصر، سواءً بين المسلمين أنفسهم، أو بين المسلمين وغيرهم، فهي حوارات يغلب عليها التعصب، ومنطق الوصاية وإثبات الوجود؛ لذا فهي أبعد ما تكون عن القصد إلى الحق.

الخاتمة

بعد توفيق الله تعالى تم الانتهاء من هذا البحث، وفيما يأتي خاتمة مشتملة على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، ورآها هامة، وهي:

أهم النتائج:

- التعصب الفكري له أسباب ومظاهر متعددة، ينبغي الوقوف عليها؛ لمعرفة مكن الخلل ولتبدأ مسيرة الإصلاح الفكري.
- نجد أن نصوص القرآن الكريم تضافرت جميعها للتحذير من هذه الظاهرة، وبيان مدى خطورتها على الأفراد والمجتمعات والدول.
- إن المتعصب لرأي يمكنه أن يمارس عددًا من التصرفات المخالفة لهدي القرآن الكريم والسنة النبوية من نقص العهود، أو الغدر، أو استحلال الدماء والأموال والأعراض.
- إن تعصب المجتهد لرأيه، أو المقلد لرأي شيخه، يرتكب جرمًا كبيرًا، وذلك من خلال تقديسه لهذا النص المبني على غلبة الظن في مسائل الاجتهاد.
- من أهم أسباب الوقاية من مشكلة التعصب الفكري، التزود من العلم والمعرفة، والانفتاح على كافة الآراء المعتمدة في الاجتهاد، فكلما زاد علم الإنسان قل إنكاره على مخالفه.
- وجّه القرآن الكريم الأمة الإسلامية إلى عددٍ من المعالجات لهذه المشكلة، لو اعتنى بأخذها المسلمون، والتزموا بما فيها من الإرشاد، لعاشوا حياة سعيدة.

أهم التوصيات:

- الاعتناء بقراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه، ففيه سعادة المسلمين في دنياهم وآخرتهم.
- العمل على نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة، على منهج الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، بعيدًا عن الغلو والتعصب المذموم.

- قيام المسجد والجامعة والمدرسة والأسرة بدورهم تجاه الشباب، والحرص على زيادة نسبة الوعي والمعرفة لديهم، من خلال الاعتناء بتنوع وسائل التثقيف.
- هذه هي أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث، سائلاً من الله تعالى أن أكون قد وفقت فيه، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

- أمير بادشاه، محمد أمين، (1932)، تيسير التحرير، مصر: مصطفى البابي الحلبي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، ط1، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة.
- بدوي، أحمد زكي، (1399هـ)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان.
- البغوي، الحسين بن مسعود، (1420)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط1، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- بن جرير الطبري، محمد، (1420)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
- جمال الدين الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، (1999)، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت.
- أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل، (2005)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط1، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية.
- الحلاق، محمد بن محمد، (1418هـ)، محاسن التأويل، ط1، تحقيق: محمد باسل، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (1421هـ)، الفقيه والمتفقه، ط2، تحقيق: عادل

- بن يوسف الغرازي، السعودية: دار ابن الجوزي..
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، ط1، تحقيق: صفوان الداودي، بيروت: الدار الشامية.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1418هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر.
- الزركشي، محمد بن عبد الله، (1994)، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتب.
- الزخشري، محمود بن عمرو، (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، (1413)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2000)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة.
- الشاطي، إبراهيم بن موسى، (1992)، الاعتصام، ط1، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، السعودية: دار ابن عفان.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (1415هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لبنان: دار الفكر - بيروت.
- الشوكاني، محمد بن علي، (1419هـ)، أدب الطلب ومنتهى الأدب، ط1، تحقيق: عبد الله السريحي، بيروت: دار ابن حزم.
- الصابوني، محمد علي، (1997)، صفوة التفاسير، ط1، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (1420)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر والشيبياني، أحمد بن عمرو، (1400هـ)، السنة، ط1، تحقيق: محمد

- ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي.
- عبد الحكيم، طارق والعبده، محمد، (1986)، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، ط2، الكويت: دار الأرقم.
- عبد الحميد، أحمد مختار، (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد، (2000)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ط1، تحقيق: عبد الحميد بن هنداي، المكتبة العصرية.
- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، (1420هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (1964)، الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- قنبي، حامد وقلعجي، محمد، (1408هـ)، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1999)، تفسير القرآن العظيم، ط2، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت: مكتبة المثنى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- اللخمي، سليمان بن أحمد والطبراني، أبو القاسم، المعجم الكبير، ط2، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- مالك، مالك بن أنس، (1412هـ)، موطأ الإمام مالك، تحقيق: بشار عواد ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة.
- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- مسلم، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المنائي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، (1356هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.

النسفي، عبد الله بن أحمد، (1419هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط1، تحقيق: يوسف بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب.

النعمان، سراج الدين عمر بن علي، (1419هـ)، الباب في علوم الكتاب، ط1، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت.

الواحدي، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ط1، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، وآخرون، لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت.

منهج القرآن الكريم في مواجهة

مشكلات الأمة الاجتماعية

أ.د. محمد علي هارب جبران

مدير مركز التطوير الأكاديمي وضمان الجودة

جامعة المهرة

gupran72@mhru.edu.ye

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: جبران، محمد علي، منهج القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (1)، سبتمبر 2025: 442-404.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0202>

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المشكلات الاجتماعية التي تواجه الأمة من منظور قرآني، من خلال استعراض المبادئ والتوجيهات التي قدمها القرآن الكريم لمعالجتها، وبيان الأسس والمنهجيات التي اعتمدها في تقديم حلول عملية ومستدامة لهذه الأزمات. ويتناول البحث عدة محاور، تبدأ بتحديد مفهوم المشكلات الاجتماعية وأسبابها، ثم استعراض الأسس القرآنية التي تحدد كيفية التعامل معها، إضافة إلى تحليل الوسائل التي قدمها القرآن لمعالجتها. كما يقدم البحث دراسة تطبيقية لبعض المشكلات الاجتماعية المعاصرة، قبل أن يختتم بعرض المنهج القرآني الشامل في معالجة هذه القضايا، يعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي من خلال تتبع المشكلات المجتمعية وبيانها وتوضيحها، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أن القرآن الكريم يتميز بمنهج شامل يعالج المشكلات من جذورها، ويقدم حلولاً قائمة على العدل والتكافل الاجتماعي، كما أنه يضع آليات واضحة للحد من الظواهر السلبية. ويوصي البحث بأهمية تعزيز الدراسات التي تستلهم الحلول الاجتماعية من القرآن الكريم، ونشر الوعي بأهمية المنهج القرآني في معالجة القضايا الاجتماعية عبر المناهج الدراسية ووسائل الإعلام.

الكلمات المفتاحية: منهج - القرآن الكريم - مواجهة - مشكلات - الأمة - الاجتماعية.

Qur'an's Approach to Addressing the Nation's Social Problems

Prof. Dr. Mohammed Ali Harb Jibrán

Director of the Center for Academic Development and Quality Assurance, Al Mahrah University

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Jibrán, Mohammed Ali, Qur'an's Approach to Addressing the Nation's Social Problems, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (1), September 2025:404-442.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv1.0202>.

Abstract:

This research aims to shed light on the social problems facing the nation from a Quranic perspective by reviewing the principles and guidelines provided by Holy Quran to address them. It also explores the foundations and methodologies adopted in presenting practical and sustainable solutions to these crises. The study covers several aspects, starting with defining social problems and their causes, then examining Quranic foundations for dealing with them, along with analyzing the methods presented by Quran for their resolution. Additionally, the research includes an applied study of some contemporary social issues before concluding with a comprehensive presentation of Quranic approach to addressing these challenges.

The research relies on the descriptive and inductive methodology by tracking, explaining, and clarifying societal problems. One of the key findings of the study is that Holy Quran provides a comprehensive approach that addresses problems at their roots and offers solutions based on justice and social solidarity. It also establishes clear mechanisms to curb negative social phenomena. The study recommends strengthening research that derives social solutions from Quran and raising awareness of the importance of Quranic approach in addressing social issues through educational curricula and media platforms.

Keywords: Method, Holy Quran, Confrontation, Problems, Nation, Social.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبغهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

تمر اليوم المجتمعات الإنسانية بتحديات اجتماعية متجددة، تتباين في طبيعتها، وأثرها لكنها تشترك في تأثيرها العميق على استقرار الأفراد والجماعات؛ فمنذ نشأة الإنسان على هذه الأرض، كانت المشكلات الاجتماعية جزءاً من التجربة البشرية، حيث تنشأ من

التفاعل بين الأفراد، وتشكل نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية والثقافية والسياسية. وهذه المشكلات، إن لم تُواجه بحلول ناجعة، قد تؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي، وانتشار الظلم، وغياب التوازن في العلاقات بين أفراد المجتمع، والبحث في هذه القضايا يستدعي العودة إلى مصادر التوجيه والإصلاح التي تضع مبادئ ثابتة قادرة على التعامل مع تعقيدات الواقع، ويُعدّ القرآن الكريم منهجاً ربانياً شاملاً يتناول جوانب حياة الإنسان المختلفة، ويقدم حلولاً لكل ما يواجه المجتمع من مشكلات وتحديات، إذ إن المشكلات الاجتماعية تتنوع وتتعدد في كل عصر، وقد تظهر في شكل ظواهر سلبية كال فقر، والظلم، والتفكك الأسري، والانحرافات السلوكية، إلا أن القرآن الكريم قد تناول هذه المشكلات وطرح لها حلولاً ضمن أطر أخلاقية وتشريعية وإرشادية تهدف إلى بناء مجتمع متكامل، قوي يقوم على أسس العدالة، والتكافل، والتراحم ضمن مبادئ وقواعد القرآن الكريم في توجيه الأفراد والجماعات نحو السلوكيات الصالحة التي تحفظ حقوقهم، وتصور كرامتهم، وتحذر من التصرفات التي تؤدي إلى الفرقة، والتنازع والظلم، وعليه فإن هذا البحث سيتناول مواجهة القرآن لتلك المشكلات، وقد وسمته بـ (منهج القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية).

أهمية البحث:

1. يبرز البحث أبرز مشكلات الأمة الاجتماعية.
2. يقدم البحث صورة عن منهج القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية.
3. يظهر شمولية المنهج القرآني وتضمنه لجميع القضايا التي تتطلبها الحياة البشرية.
4. يسهم في ربط الأمة بالقرآن الكريم.

أهداف البحث:

1. يوضح مفهوم مشكلات الأمة الاجتماعية.
2. يبين الوسائل والمنطلقات القرآنية في مواجهة المشكلات الاجتماعية.
3. يقدم دراسات تطبيقية لبعض مشكلات الاجتماعية المعاصرة من منظور قرآني.
4. يوضح منهج القرآن الكريم في مواجهة المشكلات الأمة الاجتماعية.

منهج البحث:

يتناسب مع البحث استعمال المنهج الوصفي الاستقرائي، من خلال تتبع المشكلات المجتمعية وتوضيحها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة وخمسة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها ما سبق.

المبحث الأول: مفهوم مشكلات الأمة الاجتماعية.

المبحث الثاني: أسس ومنطلقات القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية.

المبحث الثالث: وسائل القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية.

المبحث الرابع: دراسة تطبيقية لبعض المشكلات الاجتماعية المعاصرة من منظور قرآني.

المبحث الخامس: منهج القرآن الكريم في معالجة مشكلات الأمة الاجتماعية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم مشكلات الأمة الاجتماعية:

المشكلات: جمع مشكلة، تقول: أمر مشكل أي دخل في أشكاله، وأمثاله، يقال: أمر مشتبه أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا⁽¹⁾، فهو أمر ملتبس، وقيل: ما لا يعرف المشكل هو: ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل⁽²⁾ بعد الطلب، وهو الداخل في أشكاله أي في أمثاله وأشباهه⁽³⁾.

الأمة: لغة، تعني: الجماعة من الناس التي تؤم جهة معينة، يعني جماعة واحدة على دين واحد⁽⁴⁾.

الأمة في الشرع: لفظ الأمة في الشرع له معانٍ عديدة أهمها: أن الأمة هي: مجموعة من الناس يحملون رسالة واحدة، فهي تتكون من عنصرين: الإنسان، والرسالة، والرسالة، قال الشنقيطي: استعمل لفظ "الأمة" في القرآن أربعة استعمالات: الأول: استعمال "الأمة" في البرهة من الزمن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ (هود:8)، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف:45)، الثاني: استعمالها في الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونُونَ﴾ (القصص:23)، وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ (يونس:47)، وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾ (البقرة:213)، الثالث: استعمال الأمة في الرجل المقتدى به . كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل:120)، الرابع: استعمال الأمة في الشريعة والطريقة، كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ (الزخرف:22)، وقوله: ﴿إِنَّ

(1) انظر: ابن فارس، أبي الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة (204/3).

(2) انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي التعريفات (276/1).

(3) انظر: البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، قواعد الفقه (488).

(4) انظر: ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن (31/3).

هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿ (الأنبياء: 92)⁽¹⁾.

المشكلات الاجتماعية: وردت عدة تعريفات للمشكلات الاجتماعية⁽²⁾: ومن هذه التعريفات عرفت بأنها: انحراف في سلوك الأفراد عن المعايير (القيم الدينية، والأخلاقية والسلوكية) التي تعارف عليها المجتمع للسلوك المرغوب فيه⁽³⁾.

ويمكن القول أن المشكلات المجتمعية هي: اضطراب الالتزام بالنظم والتشريعات والأعراف والقوانين التي تنظم حياة الناس وعلاقاتهم وتعاملاتهم، وانتهاكها، وانعدام أو ضعف انتقال القيم المطلوبة من جيل إلى جيل آخر.

فهي: ظاهرة اجتماعية سلبية غير مرغوبة أو تمثل صعوبة ومعوقات تعرقل سير الأمور في المجتمع، وهي نتاج ظروف مؤثرة على عدد كبير من الأفراد تجعلهم يبدون الناتج عنها غير مرغوب فيه، ويصعب علاجه بشكل فردي، وإنما يتسر علاجه من خلال العفل الاجتماعي الجمعي⁽⁴⁾.

(1) انظر: الحنبلي، حمد بن ناصر، الفواكه العذاب (280/2)، الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان (173/2).

(2) انظر: غربي، د. صباح، المشكلات الاجتماعية (16).

(3) انظرًا: المرجع السابق.

(4) غربي، د. صباح، المشكلات الاجتماعية (16).

المبحث الثاني

أسس ومنطلقات القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية.

أسس ومنطلقات القرآن الكريم في مواجهة المشكلات الاجتماعية تعتمد على مجموعة من المبادئ والقيم التي تهدف إلى بناء مجتمع عادل و متماسك، وتُقدّم حلولاً جذرية تنبع من المبادئ الأخلاقية والتشريعية التي تضمن استقرار المجتمع ورفاهيته، ومن أبرزها ما يأتي:

1. التوحيد والإيمان بالله:

التوحيد هو الأساس الأول في القرآن الكريم، حيث يؤكد على أن الإيمان بالله هو المحرك الأساسي لسلوك الفرد والمجتمع، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ..." [النحل: 90].

والتوحيد يرسّخ العدل والبعد عن الظلم، والفساد، وهو الدافع الذي يوجه الإنسان للالتزام بالقيم ويؤسس للاستقرار الاجتماعي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: 44).

قال الجصاص: وقد علمنا لا محالة أن اعتقاد التوحيد والإيمان بالله ورسله شرط في سائر القرب وذلك غير مختص بشيء من الطاعات دون غيرها⁽¹⁾.

2. العدالة الاجتماعية:

يؤكد القرآن الكريم على ضرورة تحقيق العدل بين أفراد المجتمع، ومواجهة الظلم بجميع أشكاله. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: 2)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكَكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (البقرة: 282)، والعدالة مبدأ أساسي لتحقيق التوازن الاجتماعي ومنع الظلم، ومنطلق أساسي في حل المشكلات الاجتماعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأُمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ

(1) انظر: الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن (1/280).

كَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا ﴿النساء: 58﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90).

لقد استطاع المسلمون أن يترجموا مبدأ العدالة الاجتماعية إلى واقع فعلي فعال، جعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً متراحماً متعاوناً متآخياً متحاباً، متناصرّاً متضامناً وقت اليسار والإعسار⁽¹⁾

3. الرحمة والتسامح:

الدعوة إلى الرحمة والتسامح من المبادئ التي تؤدي إلى التعايش السلمي بين الأفراد. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، الرحمة تسهم في تخفيف المشكلات، وحل النزاعات، وتحقيق السلام الاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 156).

الأخذ بمبدأ الرحمة والتسامح واليسر يوجب الأخذ بيد المسلم، لإنقاذه من عسر أو ضيق طارئ، أو أزمة أملت به، فلا إرهاب ولا إعنات في المطالبة، ويعتمد في معاملته النصح والإرشاد، والأمانة والصدق، والإخلاص والتسامح، ويتعامل بالقروض الحسنة، ويمهل المدين الغريم عند العسر، أخذاً بنظرية الميسرة المقررة في القرآن الكريم⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 280).

4. التكافل الاجتماعي:

بحث القرآن على التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع من خلال الزكاة والصدقات. قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: 19)، التكافل الاجتماعي أساس مواجهة الفقر والبطالة والحرمان، والتعاون بين الأفراد يحقق التضامن ويخفف من معاناة المحتاجين، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

(1) انظر: الزحيلي، وهبة مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته (27/7).

(2) انظر: مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، العدد 13 (638/2).

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿المائدة: 2﴾، ألزم الشرع الحكيم كل موسر بالنفقة على المعسر ممن كان من قرابته الأصول أو الفروع، وكذلك على الداخلين في الفروض أو العصابات من الحواشي، واستحب له أن ينفق على ذوي الأرحام أيضاً، وهذا كله من التكافل الاجتماعي الذي ينفرد به الإسلام عن غيره من المذاهب الأرضية المنحطة⁽¹⁾

5. الشورى والمشاركة:

الشورى تساعد في اتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة التحديات الاجتماعية، وتعزز منع التسلط، وجاءت الشريعة الإسلامية مقررّة لمبدأ الشورى في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38)، وفي قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: 159)، ولم يكن تقرير النظرية نتيجة لحال الجماعة، فقد كان العرب في أدنى دركات الجهل، وفي غاية التأخر والانحطاط، وإنما قررت الشريعة النظرية لأنها قبل كل شيء من مستلزمات الشريعة الكاملة الدائمة المستعصية على التبديل والتعديل، ولأن تقرير النظرية يؤدي بذاته إلى رفع مستوى الجماعة وحملهم على التفكير في المسائل العامة والاهتمام بها، والنظر إلى مستقبل الأمة نظرة جدية، والاشتراك في الحكم بطريق غير مباشر، والسيطرة على الحكام ومراقبتهم. فالنظرية إذن مقررّة لتكميل الشريعة ولتوجيه الجماعة ورفع مستواها⁽²⁾.

6. محاربة الفساد:

الإسلام يرفض الظلم، والفساد بجميع أشكاله، ويحث على مناهضته، ومحاربه في المجتمع. قال تعالى: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿الأعراف: 56﴾، وحديث القرآن الكريم عن الفساد ورد في أكثر من خمسين آية كلها تحذر من الفساد والإفساد بجميع صوره وأشكاله، وجاء التحذير من الفساد عامًا، للتحذير من كل صوره، حتى يبتعد المسلمون عن جميع الصور والأشكال، وفي مطلع سورة البقرة أول سورة في القرآن الكريم رد الله على أهل الفساد

(1) انظر: الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، شرح زاد المستقنع (338).

(2) انظر: عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي في الإسلام (46/1).

الذين يزعمون الإصلاح فقال عز وجل عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: 11)، فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 12]، قال ابن تيمية: «وَكُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ وَقَحْطٍ وَتَسْلِيْطِ عَدُوٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ سَبَبُهُ مُخَالَفَةُ رَسُوْلِهِ، وَالِدَعْوَةُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَرَسُوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»⁽¹⁾، وقد أخرج الله الفساد بكل صورته وأشكاله وأشخاصه عن دائرة محبته فقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة: 205)، قال الطبري عند تفسير هذه الآية: «يعني بذلك جل ثناؤه: والله لا يحب المعاصي، وقطع السبيل، وإخافة الطريق»⁽²⁾، وقال العباس بن الفضل: «الفساد هو الخراب .. والآية بعمومها تعم كل فساد كان في أرض أو مال أو دين»⁽³⁾.

7. الإصلاح بين الناس:

الإصلاح بين الناس يسهم في إنهاء النزاعات وتحقيق الاستقرار الاجتماعي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: 10)، والإصلاح بين الناس واجب على الأئمة وعلى من ولاه الله أمور المسلمين، قال المهلب: إنما يخرج الإمام ليصلح بين الناس إذا أشكل عليه أمرهم وتعذر ثبوت الحقيقة عنده فيهم⁽⁴⁾.

8. نبذ العصية والفرقة:

الوحدة بين أفراد المجتمع تمنع حدوث المشكلات الناتجة عن التفرقة، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103)، وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم

(1) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموع فتاوى (25/15).

(2) الطبري، محمد ابن جرير، تفسير الطبري (319/2).

(3) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (18/3).

(4) ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري (78/8).

العصية وندب إلى إطراحها، وتركها فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَرَحَهَا بِالْآبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ تَقِيٍّ وَفَاجِرٍ شَقِيٍّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»⁽¹⁾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 49)⁽²⁾

9. الحرية المسؤولة:

منح الحرية للأفراد شرط ألا تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: 29)، اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الإنسان واقعاً مسرح الحياة الدنيا بين الحرية والمسؤولية، حرّاً مريدًا، ومكلفًا مأمورًا، فهو في خلقه، أي في تصرفاته وأفعاله حر ومخير، يتحمل عواقب قراراته وأفعاله خيرا أو شرا قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: 46)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: 39)، وتلتقي فيه الحرية والمسؤولية على التلازم والاقتضاء، فحرّيته شرط في كونه مسؤولًا، وإلا فلا حساب إذن ولا ثواب ولا عقاب، وهل يعقل أن يحاسب على ما لا إرادة له فيه⁽³⁾

(1) أخرجه، أبو داود في سننه، كتاب الآداب، باب التفاخر بالأحساب، رقم (5116) (331/4)، والكلاباذي، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار (54).

(2) مقدمة ابن خلدون (202/1).

(3) انظر: السبيكي، حسن، تلازم الحرية والمسؤولية في الإسلام، <https://khutabaa.com/ar/article>

المبحث الثالث

وسائل القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية:

أرشدنا القرآن الكريم على مواجهة مختلف المشكلات التي تواجهنا في الحياة على مستوى الفرد أو المجتمع أو الأمة، وتضمن القرآن العديد من الوسائل المرتبطة بمشكلات الأمة، وكل مشكلة وردت مواجهتها بعدة وسائل في القرآن فضلاً عن السنة النبوية، مما يؤكد شمولية القرآن في معالجة المشكلات الاجتماعية بطرق مختلفة ومتكاملة ومتوازنة، ومن الصعوبة إيراد وسائل القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية، ولذا سنقتصر على ذكر بعض الوسائل، وندلل عليها بما يتناسب مع طبيعة البحث فيما يأتي:

1. التشريع ووضع الأحكام والقوانين:

تشريعات القرآن تحفظ الحقوق، وتنظيم العلاقات وتحد من مشكلات الأمة الاجتماعية، كأحكام الميراث، والزواج، والطلاق، والعقوبات الشرعية، كحدّ السرقة والقتل... قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 187)، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: 229)، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: 13)، وأولى الوسائل وأهمها لمواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية، وهو نظام الحركة والسير، وهو بمثابة المعيار، والمرجع والحاكم، والضابط، وبه واجه القرآن مشكلات الأمة الاجتماعية وغيرها، والولوج في تفاصيل هذا يطول، ولا يتسع له المقام.

2. إقرار الزكاة والصدقات:

وسيلة عملية للقضاء على الفقر، وتحقيق التكافل الاجتماعي، وتعزز النمو الاقتصادي، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: 103)، والإسلام دين التعاطف والمواساة، ودين المودة والمحبة، ودين الترابط بين الأغنياء والفقراء، ودين التكافل الاجتماعي، ودين يقع في

مسئولية الجائعين على جيرانهم الأغنياء، فلا يدخل الجنة مع السابقين من بات شعبان، وجاره جائع، دين فرض للفقراء حقاً في مال الأغنياء، حيث يقول جل شأنه ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: 24، 25)، وخصت الشريعة الإسلامية أيام العيد بمزيد من توصية القادرين بالضعفاء والمساكين، ففرضت في عيد الفطر زكاة الفطر، وشرعت الأضحية في عيد الأضحى، توسعة على الأهل، وعلى الفقراء والمحتاجين، وإن كانت الشريعة الإسلامية لم تحدد قدرًا معينًا من أضحية الغني، وتركت ذلك لأريحته وسخاء نفسه⁽¹⁾.

3. تحريم الربا، والممارسات الاقتصادية الضارة:

النهي عن الربا يسهم في تقليل ومنع الاستغلال الاقتصادي، لضمان العدالة المالية، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: 275)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ (آل عمران: 130)، إن الشرع لم يمنع من البيوع والمعاملات إلا ما اشتمل على ظلم وهو أساس تحريم الربا والاحتكار والغش ونحوها. أو خشي منه أن يؤدي إلى نزاع وعداوة بين الناس وهو أساس تحريم الميسر والغرر فالمنع في هذه الأمور ليس تعبديًا بل هو معلل ومفهوم وإذا فهمت العلة فإن الحكم يدور معها وجودًا وعدمًا⁽²⁾.

4. محاربة الظواهر السلبية (الخمر، الميسر، الفساد).

محاربة الخمر والميسر يحد من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية، ويحد أيضًا من المشكلات الناتجة عن الإدمان والتبذير والنزاعات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: 90-91).

(1) انظر: شاهين، موسى، فتح المنعم شرح صحيح مسلم (90/8).

(2) انظر: الشحوت، علي، موسوعة البحوث والمقالات العلمية (8).

5. إقامة نظام قضائي عادل:

يضمن حل النزاعات بالعدل ويمنع الظلم الاجتماعي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: 58).

6. دعم الأسرة وتقويتها:

الأسرة المتماسكة تحد من الانحراف والتفكك المجتمعي، والمشكلات الناتجة عنه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: 21)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: 6).

7. الحث على العمل والكسب الحلال:

العمل والكسب الحلال سيلة لمواجهة البطالة والفقر وتحقيق الاكتفاء الذاتي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15)، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: 267)، قال محمد بن الحسن الشيباني في بيان دلالة الأمر في الآية: «والأمر حقيقة للوجوب ولا يتصور الإنفاق من المكسوب إلا بعد الكسب، وما لا يتوصل إلى إقامة العبادة إلا به، ولا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به، يكون فرضا [وأورد] قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [ثم قال]: يعني الكسب والأمر حقيقة للوجوب»⁽¹⁾، واقتران الحث على الكسب بالجهاد لكونه يسمى جهاداً لمشاجته له في الجهد والمشقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَوْنَ

(1) الشيباني، محمد بن الحسن، الكسب (46/1).

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿المزمل: 20﴾، قال النسفي: «سوى [الله] بين المجاهد والمكتسب لأن كسب الحلال جهاد»⁽¹⁾، وورود الحث على العمل والكسب بصيغة تسخير النهار للمعاش والعمل كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: 11)،

8. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وسيلة لضبط السلوك المجتمعي وتصحيح الأخطاء الاجتماعية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: 110).

9. إصلاح ذات البين:

وسيلة لحل النزاعات بشكل سلمي ومنع تطورها إلى مشكلات أكبر، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 114)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: 10) في العداوة سرور الشيطان لقد حذرنا الله تعالى في كتابه الكريم من الشيطان وعداوته، وأمرنا أن نتخذه عدوًّا فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر: 6)، وقد بين تعالى بعض أهداف الشيطان حيث قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: 91) فمن كان ينتمي إلى الله ويتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصدق بكتاب الله فعليه أن يضاد إرادة الشيطان فلا يسمح للخصومة والعداوة والتشاحن والتباغض أن تحل محل الأخوة والمحبة والصدقة والوئام، فالمجتمع ونفوس الناس ساحات مواجهة هذا العدو الخبيث.

10. نشر العلم والمعرفة:

العلم وسيلة عملية لرفع وعي الأفراد بمشكلاتهم، وإيجاد حلول مستدامة، قال تعالى:

(1) النسفي، تفسير النسفي (293/4).

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1-5)، بهذه الأسس والمبادئ التي بني عليها القرآن منظومته الاجتماعية، والوسائل هي التي أقرب للتطبيقات العملية لهذه المبادئ.

المبحث الرابع

دراسة تطبيقية لبعض مشكلات الأمة الاجتماعية المعاصرة من منظور قرآني

يُعَدُّ القرآن الكريم مصدراً أساسياً في معالجة المشكلات الاجتماعية المعاصرة، حيث يقدم توجيهات وحلولاً تهدف إلى بناء مجتمع متماسك يسوده العدل والأخلاق الحميدة. وفيما يأتي دراسة تطبيقية لبعض المشكلات من منظور قرآني:

1. الفساد الاجتماعي:

من مشكلات الأمة الاجتماعية القديمة والمعاصرة، والتي يصعب أن يخلو منه مجتمع من المجتمعات ألا وهو: الفساد. والفساد بأشكاله المختلفة يُعَدُّ من أبرز المشكلات التي تهدد استقرار المجتمعات، وقد حذر القرآن الكريم من الفساد، ونهى عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: 56، 85)، وللفساد الاجتماعي صور كثيرة ومنها:

- قطع صلة الأرحام المسبب لتفكك الأسر، وضعف المجتمع والأمة، والبغي والتكبر والتعالي على الناس، والافراط في الفرح والأشر والبطر، قال الله تعالى في قصة قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: 76).

- وسفك الدم الحرام بغير حق من صور الفساد الاجتماعي، ولذا قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: 30)، وهو من كبائر الذنوب؛ قال صلى الله عليه وسلم «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾، وحرمة القتل بدون حق من الكبائر، ولو كان كافراً معاهداً قال عليه صلاة والسلام: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تَوْجَدُ مِنْ

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً رقم (2619)(4/16).

مَسِيرَةٍ أَرْبَعِينَ عَامًا»⁽¹⁾ ... إلخ.

● الفساد الاجتماعي أنواع عدة يصعب ضبطها حسب ورودها في ألفاظ القرآن الكريم في هذه العجالة، وعليه فسأكتفي بالإشارة إلى أربعة أنواع، وهي: الأول: الفساد العقدي، والثاني: الفساد الأخلاقي، والثالث: الفساد الإداري، والرابع: الفساد الاقتصادي، وسأوجز البيان فيها فيما يأتي:

أولاً: الفساد العقدي: كل الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يدعون أقوامهم إلى ترك ما يعبد من دون الله كالشمس أو القمر أو النجوم أو الأصنام أو تسلط بعض الملوك وادعاهم الألوهية من دون الله، وهذا أساس الفساد، وحديث القرآن في ذلك واسع، وأكتفي ببعض الإشارات إلى ذلك فيما يأتي:

وقد حذر الله من طاعة الذي أسرفوا بالكفر والظلم والطغيان ووصفهم بأنهم يفسدون ولا يصلحون قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ • الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء: 151-152)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل: 88)، وبين الله بالدليل أنه لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 22)، ونفى الله في القرآن وجود إله غيره بأسلوب النفي والحصر أن (لا إله إلا الله)، وتكرر ذلك في (29) موضعاً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْهَٰكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 163) وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ (البقرة: 255)، وهذه الآيات وإن كانت نزلت على مجتمع كافر إلا أنها تظل دستوراً دائماً مهماً تحذر الأمة الإسلامية من الانزلاق إلى الكفر أو طاعة الكافرين، والتعلق بهم، وظن أن النفع والضرر بأيديهم لأن هذا منزلق خطير وقعت فيه دولاً وجماعات، وأفرداً، وليس هذا فحسب بل ظهر دعاة الإلحاد في أوساط المجتمعات

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إثم من قتل معاهد بغير جرم، رقم (2995)، (1155/3).

الإسلامية، واستحلال القتل والظلم والنهب، وهذا انحراف عقيدي وتجاوز الحد في الطغيان، وممارسة الفساد بجميع صوره القتل والطغيان والظلم والاستبداد... وهو أرفع مستوى الفساد. ثانياً: الفساد الاجتماعي اللاأخلاقي: شمل لفظ الفساد في القرآن الكريم السلوك اللاأخلاقي، الذي ورد النهي عنه في القرآن الكريم بأساليب ووسائل متعددة، مثل الزنا والواط، ونقض العهود، وعدم إيفاء المكايل والموازين... إلخ، ومن الآيات التي أشارت إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَتُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (30)، وهذه الآية من أصرح الآيات في التشنيع بفعل قوم لوط اللاأخلاقي، إضافة إلى قطع السبيل، وإتيان المنكر، وهي كلمة جامعة، قال الطبري: «يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه توبيخاً منه لهم على فعلهم إنكم أيها القوم لتأتون الرجال في أديبارهم شهوة منكم لذلك من دون الذي أباحه الله لكم وأحله من النساء بل أنتم قوم مسرفون يقول إنكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا وذلك هو الإسراف في هذا الموضع» (1).

وأيضاً نقض العهود، وقطع صلة الأرحام قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25).

ثالثاً: الفساد الإداري: المقصود بالفساد الإداري وجود خلل وانحراف في الأداء، أو هو الفعل الإداري الواقع على خلاف ما أراه الشرع، أي هو تصرف المسئول على خلاف ما هو مطلوب شرعاً أو قانوناً، أو يكون التصرف على خلاف ما المطلوب لإنجازه على أكمل وجه، أو العشوائية والفوضى في الإدارة، وعدم تحقيق المساواة والعدالة في أداء العمل المطلوب، وهنا عدة آيات يمكن أن تشير إلى الفساد الاجتماعي الإداري أذكر منها ما يأتي: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ

(1) الطبري، محمد ابن جرير، تفسير الطبري (8/234).

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (البقرة: 30)، وفي الآية دلالة على الفساد في التصرف العام وهذا ناتج إدارة الإنسان، قال مقاتل بن سليمان: «أوحى إليهم [أي الملائكة] أني جاعل في الأرض خليفة يعبدونني، ويطهرون الأرض، فردوا إلى الله قوله، وإبليس منهم: فقالوا: ربنا أجبعل فيها من يفسد فيها، يعني من يعصي فيها، ويسفك الدماء، كفعل الجن، لا أنهم علموا الغيب، ولكن قالوا ما عرفوا عن الجن الذين عصوا ربهم، وقالوا: نحن نسبح بحمدك ونقدس لك، يعني ونظهر لك الأرض، فأوحى الله إليهم أني أعلم ما لا تعملون»⁽¹⁾، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة: 205)، ولعل في هذه الآية دلالة واضحة وهي أن فعله ناتج عن توليه الأمر وإدارته، ويؤد هذا ما نقله البغوي عن التابعي مجاهد بن جبر: «قال مجاهد: في قوله عز وجل (وإذا تولى سعى في الأرض) قال: إذا ولي يعمل بالعدوان والظلم فأمسك الله المدر وأهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد) أي لا يرضى بالفساد»⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: 34)، أي بإدارتهم وتصرفهم، وأمرهم بالقتل والظلم، قال الماوردي: «قال ابن عباس: أخذوها عنوة، وأفسدوها، وخربوها، ويحتمل وجهًا آخر: أن يكون بالاستيلاء على مساكنها وإجلاء أهلها عنها»⁽³⁾

وقد كثر اليوم ظلم حكام المسلمين، وطغيانهم وسوء إدارتهم، وأصبح ظاهرة اجتماعية، ولعل هذا إيذان من الله بزوالهم، ونسأل الله السلامة والعافية.

رابعًا: الفساد الاقتصادي: والفساد الاقتصادي هو: الفعل الواقع على خلاف ما أراده الشرع في الجانب الاقتصادي، سواء كان ناتج عن الاستخدام السيئ للوظيفة أم المنصب لتحقيق منفعة خاصة، أم كما يعرفه البعض بأنه جعل الجانب المادي هو الهدف الوحيد للنشاط

(1) الأزدی، مقاتل بن سلیمان بن بشیر، تفسیر مقاتل بن سلیمان (425/3).

(2) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسیر البغوي (180/1).

(3) الماوردي، النكت والعيون تفسیر الماوردي (208/4).

الاقتصادي الذي يمارسه الإنسان..⁽¹⁾، وأكل أموال الناس بالباطل، وبالبيع المنهي كالربا، والعينة، وبيع الملاقح والحصى.. وما يلحق بها من الغش، والاحتكار والاحتيال والكذب، وتنقيص المكيال والميزان.. هذه الأعمال وأمثالها من الفساد الاقتصادي تقلب الموازين الاقتصادية، وتربك التعامل التجاري وتفتح الباب واسعا إلى الظلم ويسود الفقر ويصاب المجتمع بالفاقة والعوز كل ذلك يؤدي إلى انتشار الجريمة، والفوضى، وذلك كله نتيجة من نتائج الفساد في الجانب الاقتصادي، وورد في القرآن عدة آيات تشير إلى الفساد الاقتصادي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف: 73)، وهذه الآية تعتبر السرقة من الفساد، قال الماوردي في معنى الآية: «أي لنسرق، لأن السرقة من الفساد في الأرض، وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم قد كانوا عرفوهم بالصلاح والعفاف، وقيل لأنهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، ومن يؤد الأمانة في غائب لا يقدم على سرقة مال حاضر»⁽²⁾، وتنقيص المكايل والموازين، وبخس الناس أشياءهم، من أشد الفساد حيث عبر عنها القرآن بالعثو في الأرض بالفساد ونهاهم عن ذلك فقال عز وجل: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾ (هود: 85)، قال الطبري: «يعني بقول وزنوا بالقسطاس وزنوا بالميزان المستقيم الذي لا يخس فيه على من وزنتم له ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن ولا تعثوا في الأرض مفسدين يقول ولا تكثرُوا في الأرض الفساد»⁽³⁾، وأما الحراة فمن أكثر المؤثرات على الاقتصاد ففيها سرقة وإخافة الأمنين ونشر للفوضى والفساد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 33)، قال الطبري: «وهذا

(1) الجمل، د. هشام مصطفى، الفساد الاقتصادي (535).

(2) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون (تفسير الماوردي) (63/3).

(3) الطبري، محمد ابن جرير، تفسير الطبري (108/19).

بيان من الله عز ذكره عن حكم الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض أعلم عباده ما الذي يستحق المفسد في الأرض من العقوبة والنكال فقال تبارك وتعالى لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض خزيا لهم وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم»⁽¹⁾ فهذا نموذج من الفساد والانحراف الاقتصادي اللي ورد في القرآن بمسمى الفساد.

2. التفكك الأسري:

يُعَدُّ التفكك الأسري من القضايا الاجتماعية المعاصرة التي تؤثر سلبيًا على بنية المجتمع. ويُرشد القرآن الكريم إلى أهمية بناء الأسرة على أسس المودة والرحمة، كما في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً..." [سورة الروم: 21]، تُبرز هذه الآية أهمية السكن النفسي والمودة بين الزوجين كأساس لبناء أسرة متماسكة.

إن التفریط في الأسس القرآنية، في البناء الأسري، والمجتمعي نتج عنه تفكك الأسرة، وتشرد الأولاد، ودخولهم في مشكلات وتحديات حياتية، وانحراف فكري وعقدي، وضياح، وتيهان والوقوع في كارثة خسران الدنيا والآخرة، وعليه فإن المنهج القرآني قد وضع الأسس العامة لمنع التفكك الأسري نشير إليها في العناصر الآتي:

أ. الاختيار للزوجة أو الزوج، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: 221)، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (الأحزاب: 49) قال: الألوسي: عند تفسير الآية «وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابات للتنبيه على أن المؤمن شأنه أن يتخير لنطقته ولا

(1) الطبري، محمد ابن جرير، تفسير الطبري (250/6).

ينكح إلا مؤمنة»⁽¹⁾ والآيات الواردة في اختيار الحرة، وغيرها، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ يَدَاكَ»⁽²⁾.

ب. دعاء الأزواج لأنفسهم بالذرية الصالحة لدعاء نبي الله إبراهيم قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: 100، 101) ودعاء نبي الله زكريا وغيرها.

ج. التربية والتنشئة الطيبة على مائدة القرآن قال تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: 24) فكان الدعاء للوالدين ناتج عن التربية الحسنة.

د. جود التراحم بين أفراد الأسرة الواحدة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21).

هـ. وقاية أفراد الأسرة من الوقوع في الأخطاء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: 6).

و. العفو والصفح والتسامح بين أفراد الأسرة، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: 134).

ز. العدل بين أفراد الأسرة قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة/ 228).

ح. التشاور بين أفراد الأسرة الواحدة في اتخاذ القرار، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم (4802) (1958/5).

(2) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني (48/22).

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿الشورى: 38﴾، .. إلخ⁽¹⁾.

وهناك منظومة من توجيهات القرآني لمنع الاختلاف في الأسرة الواحدة، ومعالجته إن حصل، بطول شرحها، ولا يتسع لها المقام.

3. الفقر والبطالة:

يُشكّل الفقر والبطالة تحديات كبيرة في المجتمعات الحديثة، والقرآن الكريم يبحث على التكافل الاجتماعي والإنفاق في سبيل الله لدعم المحتاجين، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ...﴾ (البقرة: 261)، تُشجّع هذه الآية على الإنفاق والعطاء كوسيلة لمحاربة الفقر وتعزيز التكافل الاجتماعي، وقد ورد في القرآن الكريم منهجا متكاملًا للحد من الفقرة والبطالة، فقد حث القرآن على النفقة في عدة آيات ولمناسبات كثيرة، وأوجب للفئات الضعيف حقًا مفروضًا في الزكاة، يتضمن معظم الأصناف الثمانية التي تقسم عليهم الزكاة، وأوجب نفقة الزوجة على زوجها، ونفقة الأب على أبنائه القاصرين، وأوجب نفقة الأب على أبنائه عند العجز، وأوجب للجار الفقير حقًا، ولمن حضر القسمة... إلخ، وهذا المنهج الفريد كفيلاً بأن يسد حاجة المحتاج لو أخرج كما ينبغي.

4. الانحراف الأخلاقي:

يُعَدُّ الانحراف الأخلاقي من المشكلات التي تؤثر على قيم المجتمع، ويدعو القرآن الكريم إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الفواحش، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ (الأنعام: 151)، ولم يقتصر على النهي عن الفواحش، بل أقام العقوبات الحدية والتعزيرية، وقبل ذلك حث على مكارم الأخلاق والترغيب فيها، وأوجب العدل والمساواة، وإلزام المسيء بإساءته، وألا تزر وازرة وزر أخرى، .. إلخ، والانحراف الأخلاقي من أقوى الأسباب الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته وفجاءة نعمته؛ فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نعمة إلا بذنب،

(1) انظر: مجلة البحث العلمي الإسلامي، منهج القرآن الكريم في منع التفكك الأسري، د. محمد بن جمعة العمراني (169 إلى 184) السنة التاسعة عشر، العدد 58، 30 يونيو 2024م.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى:30)، فتغير أحوال الأمم والحضارات من الصعود والرقى إلى التدهور والانحسار لا يكون إلا بتغيرهم وتوجههم نحو المعاصي وارتكاسهم في الانحراف والابتعاد عن منهج الله وفطرته⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا تَعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال:53).

5. السخرية والتنازع بالألقاب:

حذر القرآن من الاستهزاء بالآخرين والتنازع بالألقاب، لما لذلك من تأثير سلبي على العلاقات الاجتماعية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ...﴾ (الحجرات:11).

6. سوء الظن والتجسس والغيبة:

نهى القرآن عن سوء الظن والتجسس والغيبة، لما تسببه هذه السلوكيات من تفكك في النسيج الاجتماعي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا...﴾ (الحجرات:12).

(1) مجلة البيان العدد (238)، تصدر عن المنتدى الإسلامي ص(110).

المبحث الخامس

خطوات منهج القرآن في معالجة مشكلات الأمة الاجتماعية:

اتبع القرآن الكريم منهجاً متدرجاً ومتكاملاً في معالجة المشكلات الاجتماعية، يمكن تلخيص خطواته في أربع اتجاهات كما يأتي:

الاتجاه الأول: التوجيه والإرشاد:

قدّم القرآن توجيهات واضحة تحث على الفضائل وتنهى عن الرذائل، لبناء مجتمع سليم، ويعدّ أسلوب التوجيه والإرشاد اتجاهاً مهماً في المنهج القرآني لمعالجة مشكلات الأمة الاجتماعية، ويقوم بالدرجة الأساسية على أسلوب الأوامر والنواهي سواء كانت الأوامر واجبات أم مندوبات أم مباحات، والنواهي سواء كانت محرمات أم مكروهات، ثم يأتي الأسلوب القصصي، والأسلوب الخبري... إلخ، ويهدف القرآن من خلال هذا الاتجاه إلى توجيه الأفراد، والمجتمعات نحو السلوك القويم، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وتعزيز القيم والأخلاق الفاضلة، وإضافة إلى ما سبق يمكن بيان ما يأتي:

القرآن مصدر للعلم والهداية: لأن الله سبحانه وتعالى أنزله ليكون هداية للناس، ويعلمهم بما يهديهم ويصلحهم، يوضح لهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 27)، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: 1)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89)، ولما ذهب عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرض عليه إغراءات قريش أنصت رسول الله لما قال حتى انتهى من قوله، فقال عند ذلك: "أفد فرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم، قال: "فاسمع مني"، قال: أفعل، قال نعم قال اسمع مني قال افعل: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون فمضى رسول الله يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله إلى

السجدة فسجدها ثم قال سمعت يا أبا الوليد قال سمعت قال فانت وذاك ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض تحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورأيي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم (1).

التذكير والتنبية: يستخدم القرآن أسلوب التذكير بنعم الله وآلائه، وكذلك بعواقب الأمم السابقة، كوسيلة لإرشاد الناس وتوجيههم، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم:5)، واستخدام كذلك الأمثال لتقريب الصورة، وتوضيح المفاهيم المجردة وتقريبها إلى الأذهان، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:21)، كما استخدم القرآن أسلوب الترهيب في الثواب والترهيب من العقاب كوسيلة لتوجيه السلوك الإنساني، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٢٦) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الزلزلة:7-8).

التوجيه الفردي والجماعي: يخاطب القرآن الكريم الأفراد بصيغة المفرد والجماعات بصيغة الجمع، مما يعكس اهتمامه بالتوجيه على المستويين الفردي والجماعي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب:70).

مما سبق نجد أن مرحلة التوجيه والإرشاد في القرآن الكريم تهدف إلى بناء الفرد والمجتمع بوعي كامل، وبوضوح تام للقيم العالية والأخلاق الفاضلة، ليكون قادراً على مواجهة التحديات والمشكلات بروح مستنيرة وهداية ربانية، مركزة الأوامر، والنواهي، ووسيلتها تقرير مصدرة القرآن للعلم والهداية، والتذكير والتنبية والأمثال لتقريب الفهم وإيضاح الصورة، أسلوب الترهيب في الثواب والترهيب من العقاب كوسيلة لتوجيه السلوك الإنساني، التوجيه

(1) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية (63/3).

والخطاب الفردي والجماعي، تكرر كل ذلك بصور شتى ومواقع كثيرة ومتعددة، لخلق الفناعة التامة والوعي الكافي لمواجهة مختلف عقبات بكل قوة وثبات، وإذا وجد خلل في المواقف وميول عن الثواب؛ فهو ناتج عن ضعف الاستيعاب وسوء الفهم، وغياب الصورة الحقيقية.

الاتجاه الثاني: التحذير من عواقب مخالفة أمر الله:

بيّن القرآن العواقب الوخيمة للسلوكيات السلبية على الفرد والمجتمع في الدنيا أو الآخرة، سواء كانت هذه السلوكيات ترك للمأمورات، أو فعل للمنهيات، وتعتبر مرحلة التحذير من المخالفات المرحلة الثانية، بعد مرحلة التوجيه، والتنبيه والإرشاد، والتحذير من العواقب اتجه مهم في المنهج القرآن الكريم لمعالجة مشكلات الأمة، ويستخدم القرآن هذا الأسلوب لتنبيه الأفراد والمجتمعات إلى النتائج الوخيمة التي قد تترتب على سلوكياتهم الخاطئة، بهدف دفعهم إلى التوبة والعودة إلى الطريق المستقيم، وتشمل هذا الاتجاه التحذير من عدة قضايا وأمور منها ما يأتي:

- 1- **التحذير من الإعراض عن ذكر الله:** نبّه القرآن الكريم أن الابتعاد عن ذكر الله يؤدي إلى الضنك والشقاء، في الحياة، في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: 124)، وفي المقابل من أقبل على طاعة الله فإنه يحيا حياة طيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (البقرة: 97)، ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة بسبب كفره⁽¹⁾، والإعراض عن ذكر الله الذي هو كتابه⁽²⁾.
- 2- **التحذير من الظلم:** يُحذّر القرآن من عاقبة الظلم، مؤكداً أنه سبب للهلاك والعذاب، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف: 59)، تواترت الأحاديث بالنهي عن ظلمهم⁽³⁾، وعن عبد الله بن عمر رضي

(1) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان (126/4).

(2) انظر: الشقيري، محمد عبد السلام خضر، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات (412).

(3) انظر: الكتاني، محمد بن جعفر، نظم المتناثر (166).

الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الظلم ظلمات يوم القيامة»⁽¹⁾، هذا الحديث فيه التحذير من الظلم، والحث على ضده، وهو العدل، والشريعة كلها عدل، أمرة بالعدل، ناهية عن الظلم⁽²⁾.

3- التحذير من التمادي في المعاصي: يُنبّه القرآن إلى خطورة الاستمرار في الذنوب دون توبة، ما قد يؤدي إلى عقوبات شديدة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف:5)، قال الغزالي: فإننا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتلتها سبب لقلته⁽³⁾، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (المنافقون:3)، وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة:10)، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:14).

4- التحذير من الإعراض عن آيات الله: حذر القرآن من تجاهل آيات الله والإعراض عنها؛ لأن ذلك يؤدي انتقام الله من المجرمين المعرضين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة:22)، وغيرها من خلال هذه التحذيرات، يسعى القرآن الكريم إلى توجيه الأمة نحو الالتزام بتعاليم الله، وتجنب السلوكيات التي تؤدي إلى الهلاك والشقاء، مؤكداً على أهمية التوبة والعودة إلى الطريق المستقيم.

الاتجاه الثالث: التشريع ووضع الحدود: وضع القرآن تشريعات وحدوداً تنظم العلاقات بين الأفراد، وتضمن تحقيق العدالة والمساواة، وقد جاءت التشريعات الإسلامية متكاملة، تعالج مختلف القضايا، وتضع العقوبات المناسبة لكل مخالفة، مما يساهم في بناء مجتمع آمن ومتوازن، ومن ذلك.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (2579) (1996/4).

(2) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار (166).

(3) انظر: الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (39/4).

أولاً: دور التشريع في حل المشكلات الاجتماعية

1. تحقيق العدل والمساواة: من أبرز أهداف التشريع القرآني تحقيق العدل بين الناس، ومنع الظلم والاستبداد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58).
 2. تنظيم العلاقات الاجتماعية: وضع القرآن الكريم أحكاماً واضحة للأسرة، والميراث، والعلاقات بين الأفراد، لضمان التماسك الاجتماعي، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: 11).
 3. منع الفساد والاستغلال الاقتصادي: حرم الإسلام الربا، والاحتكار، والتلاعب بالأسواق، ووضع ضوابط عادلة للمعاملات المالية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 29).
- ثانياً: الحدود في القرآن وأهميتها في معالجة المشكلات.

1. حد السرقة: حماية الأموال والممتلكات: فرض الإسلام حد السرقة لحماية حقوق الأفراد، والحد من الجرائم المالية، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ (المائدة: 38).
2. حد الزنا: حماية العرض والأسرة: وضع الإسلام حد الزنا لحماية المجتمع من الانحلال الأخلاقي وتفكك الأسر، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً﴾ (النور: 2).
3. حد القذف: صيانة كرامة الأفراد: شرع الإسلام حد القذف لحماية سمعة الناس ومنع نشر الفتن والإشاعات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور: 4).
4. حد شرب الخمر: حماية العقل والمجتمع: منع الإسلام الخمر لما له من آثار مدمرة على الأفراد والمجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 90).

5. حد القصاص: تحقيق الأمن ومنع الجريمة: أقر الإسلام مبدأ القصاص لضمان الأمن والردع العادل للجريمة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179).

ثالثاً: الحكمة من تشريع الحدود في الإسلام:

1. حماية المجتمع من الفوضى والانحلال الأخلاقي.
 2. تحقيق الردع العام والحد من انتشار الجرائم.
 3. إقامة العدل وحفظ الحقوق لجميع أفراد المجتمع.
 4. تحقيق الأمن والاستقرار في الدولة الإسلامية.
- الاتجاه الرابع: القصص والعبر: ما ورد من القصص القرآني للأمم السابقة، وما حلَّ بهم نتيجة انحرافهم عن المنهج الإلهي، ليكون ذلك عبرة للمجتمعات اللاحقة، والقرآن لا يذكر القصص لمجرد السرد التاريخي، وإنما يهدف إلى توجيه الإنسان نحو الصواب، وتحذيره من الانحراف.

أولاً: أهداف القصص القرآني في معالجة المشكلات الاجتماعية

1. إيضاح أسباب انهيار الأمم السابقة بسبب انحرافاتها الاجتماعية.
2. تحذير المجتمعات من الظلم، والطغيان، والفساد الأخلاقي.
3. بيان أهمية العدل، والتكافل، والتوبة في بناء المجتمعات الصالحة.
4. تعليم الناس الصبر والثبات أمام الأزمات الاجتماعية.
5. إظهار أن التغيير الاجتماعي يبدأ من إصلاح الأفراد والمجتمعات.

ثانياً: أبرز القصص القرآني وعلاقتها بالمشكلات الاجتماعية:

1. قصة قوم نوح - مشكلة العناد ورفض الإصلاح: واجه قوم نوح مشكلة العناد ورفض التغيير، حيث تمسكوا بالكفر ورفضوا الاستماع إلى نصيح النبي نوح عليه السلام، مما أدى إلى هلاكهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (نوح: 24)، ضرورة تقبل الإصلاح وعدم

الإصرار على الفساد الاجتماعي.

2. قصة قوم لوط - مشكلة الانحراف الأخلاقي: انتشرت الفواحش بين قوم لوط، فأنكروا على نبيهم تحذيره، مما أدى إلى عقابهم الشديد، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (الأعراف: 81)، الانحراف الأخلاقي يؤدي إلى انهيار المجتمعات، ويجب مكافحته بالقيم الصحيحة.

3. قصة قوم شعيب - مشكلة الفساد الاقتصادي والاحتيال: عانى قوم شعيب من الفساد في المعاملات التجارية، فكانوا يغشون الميزان، ويحتكرون السلع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود: 85)، ضرورة تحقيق العدل في الاقتصاد ومحاربة الفساد المالي.

4. قصة فرعون - مشكلة الظلم والاستبداد: تجبر فرعون وظلم الناس، فاستغل سلطته لقهر بني إسرائيل، مما أدى إلى هلاكه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ...﴾ (القصص: 4)، الظلم والاستبداد يؤديان إلى سقوط الدول، والعدل هو أساس الحكم.

5. قصة بني إسرائيل - مشكلة ضعف الإرادة والتخاذل: كان بنو إسرائيل يعانون من ضعف العزيمة، ورفضوا القتال لنيل حريتهم، قال تعالى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: 24)، ضعف الإرادة والتخاذل يؤدي إلى التخلف والحرمان من الحقوق.

6. قصة أصحاب السبت - مشكلة التحايل على الأحكام الشرعية: حاول بعض بني إسرائيل الاحتيايل على حكم تحريم الصيد يوم السبت، فمسخهم الله قرده، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: 65)، التحايل على القوانين الإلهية يؤدي إلى العقوبة الإلهية.

7. قصة يوسف - مشكلة الفتنة الأسرية والظلم الاجتماعي: تعرض النبي يوسف عليه السلام لمؤامرة من إخوته، ثم لظلم المجتمع بعد أن أُلقي في السجن ظلمًا، قال تعالى:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: 90)، الصبر على الظلم والفتن يؤدي إلى النصر والتمكين.

ثالثاً: الدروس المستفادة من القصص القرآني في علاج مشكلات الأمة الاجتماعية:

الدروس المستفادة من القصص القرآني كثيرة، وليس المقام لحصرها، وإنما الإشارة إليها بذكر ما يمكن ذكره، ونوجز ما نراه مناسباً في الآتي:

1. تعزيز الوعي بسنة الله في المجتمعات المسلمة، حيث يبين القرآن أن المشاهد تتكرر، ومن لم يعتبر بهلاك الأمم السابقة، سيقع في نفس الأخطاء.
2. تعليم الأفراد الصبر والثبات في مواجهة الأزمات الاجتماعية للأمة.
3. إبراز أهمية العدل ومحاربة الظلم كقواعد لاستقرار المجتمعات المسلمة.
4. تشجيع المجتمع الإسلامي على محاربة الفساد والانحراف الأخلاقي.
5. تعزيز الالتزام بالتشريع الإسلامي لتجنب العقوبات الربانية.

الخاتمة:

تتمثل نتائج البحث فيما يأتي:

1. المشكلات الاجتماعية ناتجة عن اضطراب الالتزام بالنظم والتشريعات والأعراف والقوانين التي تنظم حياة الناس وعلاقاتهم وتعاملاتهم، وانتهاكها، وانعدام أو ضعف انتقال القيم المطلوبة من جيل إلى آخر.
2. أهم أسس ومنطلقات القرآن الكريم في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية، التوحيد والإيمان بالله، العدالة الاجتماعية، الرحمة والتسامح، التكافل والتعاون، الشورى والمشاركة.
3. لقد استطاع المسلمون أن يترجموا مبدأ العدالة الاجتماعية إلى واقع فعلي فعال، جعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً متراحماً متعاوناً متآخياً متحاباً، متناصرّاً متضامناً وقت اليسار والإعسار.
4. الأخذ بمبدأ الرحمة والتسامح واليسر يوجب الأخذ بيد المسلم، لإنقاذه من عسر أو

- ضيق طارئ.
5. ألزم الشرع كل موسر بالنفقة على المعسر ممن كان من قرابته الأصول أو الفروع، والداخلين في الفروع أو العصبات من الحواشي، واستحب له أن ينفق على ذوي الأرحام، وهذا من التكافل الاجتماعي.
 6. الشورى تساعد في اتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة التحديات الاجتماعية، وتعزز منع التسلط.
 7. الإسلام يرفض الظلم، والفساد بجميع أشكاله، ويحث على مناهضته، ومحاربته في المجتمع.
 8. الإصلاح بين الناس يسهم في إنهاء النزاعات وتحقيق الاستقرار الاجتماعي.
 9. الوحدة بين أفراد المجتمع تمنع حدوث المشكلات الناتجة عن التفرقة.
 10. تمنح الحرية للأفراد شرط ألا تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع.
 11. اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الإنسان في مسرح الحياة بين الحرية والمسؤولية.
 12. من وسائل القرآن في مواجهة المشكلات الاجتماعية، التشريع ووضع الأحكام، وإقرار الزكاة والصدقات، وتحريم الربا، والممارسات الاقتصادية الضارة، إلخ.
 13. واجه القرآن المشكلة الاجتماعية بعدة وسائل مما يؤكد استيعابه لها، وشموليته في معالجتها.
 14. تشريعات القرآن تحفظ الحقوق، وتنظم العلاقات وتحد من مشكلات الأمة الاجتماعية.
 15. المنهج القرآني في معالجة مشكلات المجتمع، منهج نموذجي عملي قابل للتطبيق.
 16. معالجة القرآن لمشكلة الفقر تقضي على الفقر وتحقيق التكافل الاجتماعي، وتعزز النمو الاقتصادي.
 17. أظهر الإسلام ضرر الربا، والاحتكار والميسر، ومازالت إلى هي سبب الداء الاقتصادي.
 18. العمل والكسب الحلال وسيلة ناجعة لمواجهة البطالة والفقر، وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

19. إصلاح ذات البين، وسيلة لحل النزاعات بشكل سلمي ومنع تطورها إلى مشكلات أكبر.

20. أشار البحث إلى عدد من مشكلات الأمة الاجتماعية المعاصرة من منظور قرآني، منها: الفساد الاجتماعي، والتفكك الأسري، والفقر والبطالة، والانحراف الأخلاقي.

21. الفساد من المشكلات التي حطمت عدة مجتمعات، وقد حذر منه القرآن في أكثر من 50 آية.

22. التفكك الأسري من القضايا الاجتماعية المعاصرة التي أثرت سلباً على بنية المجتمعات.

23. المنهج القرآني في معالجة مشكلات الأمة الاجتماعية يتمثل في: الإرشاد والتوجيه، والتحذير من مخالفة أمر الله، والحدود والتعزيرات، والنموذج القصصي.

التوصيات:

1. تكثيف البحوث العلمية حول منهج القرآن في مواجهة مشكلات الأمة الاجتماعية وتوظيفها عملياً.

2. تعميق البحث في القصص القرآني، وتوظيفه كنماذج حياة، وتوظيف الدروس العملية لقصص القرآن.

3. تعميق البحث في المفردات الاجتماعية التي أثارها البحث، مشكلة التفكك الأسري - الفقر والبطالة - الانحراف الأخلاقي - السخرية والتنازع بالألقاب - سوء الظن والتجسس - الفساد الاجتماعي، إلخ.

4. اعتبار القضايا المذكورة في البحث مشاريع للدراسة القرآنية.

المصادر والمراجع

- الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير (ت: 150هـ)، (1424هـ - 2003م)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت: 1270هـ)، (د.ت)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، (1407-1987م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، لبنان، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة.

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت:256)، (1407-1987م)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، (1407هـ-1986م)، قواعد الفقه، ط1، كراتشي.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت:449هـ)، شرح صحيح البخاري، (1423هـ-2003م). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط3، السعودية، الرياض.

البغوي، الحسين بن مسعود (ت:516)، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت:279)، (د.ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

تصدر عن المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، العدد (238).

تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد13.

ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي، ط2، مكتبة ابن تيمية.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت:816)، (1405هـ-)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

الجصاص، أحمد بن علي الرازي (ت:370)، (1405هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الجمال د. هشام مصطفى الجمال، الفساد الاقتصادي.

حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر التميمي الحنبلي (ت:1225هـ-1225)، (د.ت)،

الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب.

ابن خلدون، عبد الرحمن محمد (ت: 808هـ) (1984م)، مقدمة ابن خلدون، ط5، بيروت، دار القلم.

الرُّحَيْلِيّ، د. هبة مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية، (د.ت)، ط4، دار الفكر، سورية، دمشق.

السجستاني، سليمان بن الأشعث (د.ت)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ - 1376)، بحجة قلوب الأبرار، (د.ت). الشقيري، محمد عبد السلام خضر (د.ت)، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، تحقيق: المصحح: محمد خليل هراس، دار الفكر.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت: 1393هـ)، (1415هـ - 1995م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت

الشنقيطي، محمد بن محمد المختار الشنقيطي (د.ت)، شرح زاد المستقنع في الفقه الحنبلي. الشيباني، محمد بن الحسن (ت: 189هـ)، (1400هـ) الكسب، تحقيق: د. سهيل زكار، ط1، دمشق، دار عبد الهادي حرصوني.

الشيبياني، محمد بن الحسن (1400هـ)، الكسب، تحقيق: د. سهيل زكار، ط1، دمشق، دار عبد الهادي حرصوني.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت: 310)، (1405هـ —)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت: 543هـ)، (د.ت)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

العمرائي، د. محمد بن جمعة، السنة التاسعة عشرة (30 يونيو 2024م)، منهج القرآن الكريم

- في منع التفكك الأسري، مجلة البحث العلمي الإسلامي، العدد 58.
- عودة، عبد القادر عودة (ت: 1373هـ - 1373)، التشريع الجنائي في الإسلام، د.ت. غربي، د. صباح، المشكلات الاجتماعية، الجزائر، دار المجد للطباعة والنشر.
- الغزالي، محمد بن محمد (ت: 505هـ)، (د.ت)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- ابن فارس، أبي الحسين أحمد (1420هـ - 1999م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، لبنان، بيروت.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (د.ت)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة.
- الكتاني، محمد بن جعفر (ت: 1345هـ)، (د.ت)، نظم المتنائر من الحديث المتواتر، تحقيق: شرف حجازي، مصر، دار الكتب السلفية.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774)، (د.ت)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق 1420هـ - 1999م، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، ط1، دار كتب العلمية، بيروت.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ)، (د.ت)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية.
- النسفي، (ت: 710هـ) (د.ت)، تفسير النسفي.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، (د.ت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

Contents:

No.	The research	The researcher	Page No.
1.	Intellectual deviation and its impact on Islamic society.	Prof. Dr. Muna Hamed Al Nuaimi	17-42
2.	Rules for Reforming Political Thought in Holy Qur'an, "Surat al-Ma'idah as a Model."	Dr: Esameldin Ahmed Mohammed Babikir	43-78
3.	Educational Problems from a Quranic Perspective.	Dr. Abdul Karim Abdul Wahid Ahmed Abdullah Al-Ahdal	79-118
4.	The problem of human thought and its treatment through Holy Quran.	Dr. Farid Bouderbala	119-156
5.	Qur'anic Approaches to Eliminating Financial Problems and Improving Livelihood.	Dr. Hakim Ebrahim Abdul Jabbar Al-Shamiri	157-195
6.	Holy Quran's approach to treating economic problems - unemployment as a model.	Dr. Abdul Hakim bin Abdullah bin Abdul Rahman Al-Qasim	196-251
7.	The approach of Holy Qur'an in addressing the problems of contemporary education among young people By contemplating the advice of Luqman the Wise to his son.	Dr. Mohammed Salah Setti	252-297
8.	Qur'an and the problem of poverty.	Abdel Aziz Al-Haddioui bin Al-Hassan	298-323
9.	Proposed Sharī'ah Solutions to the Problem of Poverty through Holy Qur'ān.	Dr. Daud Abdul Kareem Zakariyah	324-362
10.	Addressing the Qur'anic Text Toward the Problem of Intellectual Fanaticism.	Dr. Mohammed Hamid Mohammed Bahamish	363-403
11.	Qur'an's Approach to Addressing the Nation's Social Problems.	Prof. Dr. Mohammed Ali Harb Jibrān	404-442

Journal of

HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

A refereed scientific journal issued by: HOLY QURAN &
ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY - YEMEN

Consultation Body

Prof. Dr. Abulhaq Abdldym Al-Qadhi
Prof. Dr. Abdullah Othman Al- Mansouri
Prof. Dr. Hassan Abduljaleel Al-Abadlah
Prof. Dr. Saleh Abdullah Al-Dhabiani
Prof. Dr. Abdulrahman Ibrahim Al-Khamisi
Prof. Dr. Ahmed Saleh Qatran
Prof. Dr. Ali Yousuf A'ati
Prof. Dr. Mohammad Hatem Al-Mikhlaifi
Prof. Dr. Hassan Thait Farhan
Prof. Dr. DAWOOD ABDULMALEK
ALHUDABI
Prof. Dr. Yasser Tarshany
Prof. Dr. Abdulla Alzubair Saleh
Prof. Dr. Amer Fael Balhaf
Prof. Dr. Abdulhamid Mohamed Zaroum
Prof. Dr. Abdulrasheed Olatunji Abdussalam

Editing Body

Chief of Editing

Prof. Dr. Yahya Moqbel Al-Subahi

Director of Editing

Prof. Dr. Abdulhaq Qanem Al-
Qarithi

Editor – in – chief

Prof. Dr. Mohammed Sarhan Al-
Mahmoodi

Prof. Dr. Asma Qhalib Al-Qurashi

Prof. Dr. Abdullah Ahmed Bin
Othman

Prof. Dr. Ahmed Saleh Ba-fadhl

Editorial Secretary

Eng. Shawqi Saleh Ba-Mafroosh

All correspondences to be titled to director of editing on the following
address

Journal of HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY-Yemen
algarizi2012@gmail.com mob. +00967 771161908

Website: <http://journals.uqs-ye.info/index.php/uqs>

E-mail: journals@uqs-ye.info

Republic of Yemen

Ministry of Higher Education

and Scientific Research

HOLY QURAN & ISLAMIC

SCIENCES UNIVERSITY

Journal of

**HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES
UNIVERSITY**

**Special Issue of the third International Qur'anic
Conference, Volume (1)**

September 2025

Journal of

E ISSN : 2617 -5894

ISSN : 3006 -6018

HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY



A refereed semi-annual scientific journal

Issued by: HOLY QURAN &
ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

Special Issue of the third International Qur'anic
Conference, Volume (1). September 2025

Intellectual deviation and its impact on Islamic society.

Prof. Dr. Muna Hamed Al Nuaimi

Rules for Reforming Political Thought in Holy Qur'an, "Surat al-Ma'idah as a Model."

Dr: Esameeldin Ahmed Mohammed Babikir

Educational Problems from a Quranic Perspective. Dr. Abdul Karim Abdul Wahid Ahmed Abdullah Al-Ahdal

The problem of human thought and its treatment through Holy Quran.

Dr. Farid Bouderbala

Qur'anic Approaches to Eliminating Financial Problems and Improving Livelihood .

Dr. Hakim Ebrahim Abdul Jabbar Al-Shamiri

Holy Quran's approach to treating economic problems - unemployment as a model.

Dr. Abdul Hakim bin Abdullah bin Abdul Rahman Al-Qasim

The approach of Holy Qur'an in addressing the problems of contemporary education among young people

By contemplating the advice of Luqman the Wise to his son .

Dr. Mohammed Salah Setti

Qur'an and the problem of poverty .

Abdel Aziz Al-Haddioui bin Al-Hassan

Proposed Shari'ah Solutions to the Problem of Poverty through Holy Qur'an .

Dr. Daud Abdul Kareem Zakariyah

Addressing the Qur'anic Text Toward the Problem of Intellectual Fanaticism .

Dr. Mohammed Hamid Mohammed Bahamish

Qur'an's Approach to Addressing the Nation's Social Problems .

Prof. Dr. Mohammed Ali Harb Jibrán